



الحركة الفكرية

في ظل المسجد الأقصى في العشرين الأيوبي والملوكي

تأليف
الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

تَصْدِير

إنَّ فلسطينَ توأمُ الأردنِّ؛ والقدسَ توأمُ عمَّانَ. من هنا، أعدت وزارةُ الثقافةِ الأردنيَّةُ برنامجًا حافلًا للاحتفاءِ والاحتفالِ بالقدسِ عاصمةً للثقافةِ العربيَّةِ ٢٠٠٩. فالقدسُ في ضميرنا دومًا؛ وهي الرَّمزُ الخالدُ وقدسُ الأقداسِ وزهرةُ المدائنِ، وتستحقُّ أن تكونَ العاصمةَ الأبديةَ للثقافةِ العربيَّةِ. وبتوجيه من جلالة الملك عبد الله الثاني، شكَّلت الوزارة عددًا من اللجان للإشراف على عقْد الندوات والمعارض، وعلى الاحتفالات بالقدس طوالَ عام ٢٠٠٩. وضمت هذه اللجانُ لجنةَ الإصدارات والنشر التي انبرت منذ تشكيلها بكلِّ ما يؤسِّعها لإصدارِ عددٍ من الكتب الجديدة القيمة عن القدس؛ إضافةً إلى إعادة نشر عددٍ من الأعمال الشامخة التي يصعبُ الحصولُ عليها لسببٍ أو لآخر. وركّزت اللجنةُ على الأعمال المقدسيَّة الكاملة لعددٍ من المؤرِّخين المشهود لهم بالمستوى الرفيع والإتقان والإخلاص. ولم تتوانِ الوزارةُ بكلِّ طاقمها عن تيسير الأمور والمساعدة في المتابعة وحلِّ المشكلات. كما لم تتردّد قطً عن الموافقة على أيِّ قرار اتخذته اللجنة؛ بما في ذلك خُطة العمل التي احتوت على موازنة المشروع بأكمله.

فالشكرُ كلُّ الشكر لبلدنا الغالي، ولوزارة الثقافة - وزيراً وأميناً عامّاً والعاملين فيها فرداً فرداً - لما قدّموه بتفانٍ ومحبةٍ وسعةِ أفقٍ للقدس التي لن تنساها الأمةُ أبداً.

الإشراف والمراجعة

لجنة الإصدار والتشريع

احتفالية «القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩»
ونزارة الثقافة/ عمان - الأردن

الأستاذ الدكتور همام بشارة غصيب (مريثاً)

الأستاذ هنزاع البرامري (مقرراً)

الدكتورة هند أبو الشعر

الأستاذ عودة القضاة

الأستاذ محمد يونس العبادي

الدكتور محمد صالح بني عيسى

المهندس نضال يحيى السقرات

سلسلة إصدارات:

احتفالية الأردن بالقدس عاصمة للثقافة العربية

٢٠٠٩

• أعمال عبد الجليل عبد المهدي
المجلد الثاني : الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى

• المؤلف: عبد الجليل عبد المهدي

• الناشر: وزارة الثقافة

شارع وصفي التل

خلف جبيري المركزي

ص ب ٦١٤٠ عمان - الأردن

تلفون: ٥٦٩٩٠٥٤/٥٦٩٦٢١٨

فاكس: ٥٦٩٦٥٩٨

Email: info@culture.gov.jo

• الطباعة: مطبعة السفير ٤٦٥٧٠١٥

• رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٥١٦٤ / ١٢ / ٢٠٠٩)

• جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

كانت بيت المقدس محور اهتمام المسلمين وغيرهم منذ القديم ، واستمر ذلك في العصر الفاطمي ، والعصر الايوبي ، والعصر المملوكي . وعلى الرغم من ذلك الاهتمام ، فان مدينة بيت المقدس لم تحظ ، فيما أعلم ، بدراسة حديثة عن الحياة الفكرية والأدبية فيها . ومن الواجب علينا أن ندرس حياة المدينة المقدسة الفكرية والأدبية ، لقد كانت العناية منصبه على تاريخ بيت المقدس ، واذا ما تحدث الباحثون عن الحياة العقلية في العصر المشار اليه ، نجد أن الحديث عن بيت المقدس ، لم يحظ الا بأقل القليل ، وهو صفحة واحدة ، أو صفحات معدودة . وحري بنا الآن أن نخص بيت المقدس بدراسات تشخص معالم الحياة الفكرية والأدبية ، وبخاصة في هذه الفترة التي تتعرض في المدينة المقدسة لتغيير معالمها الحضارية والفكرية من قبل الغزاة الصهايا . وكانت المدينة قد تعرضت للغزو الصليبي ، فتصدى العالم الاسلامي للغزاة الى أن أخرج آخر فلولهم من البلاد ، والتشابه جلي بين أمس واليوم .

ومن خلال القراءة في الكتب التي عنيت بتلك الفترة ، وجدت أن مدينة بيت المقدس كانت مركزا من مراكز الحياة الفكرية في العالم الاسلامي ، وأن الحياة الفكرية والأدبية فيها جديرة بكتاب بل بكتب عديدة ، وقد رأيت أن أضع كتبنا تتحدث عن الحياة الفكرية والأدبية في بيت المقدس ، فكتاب يتحدث عن الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى ، وثان عن مدارس بيت المقدس ، وما يلحق بها من دور القرآن والحديث ، وبعض الزوايا والخوانق والرباطات ، وثالث عن العلماء وحركة التأليف في بيت المقدس ، ورابع عن الحركة الأدبية هناك .

وقد حددت الفترة التي أحاول أن أتبين فيها دور بيت المقدس في الحركة الفكرية والأدبية ، بالعصرين الأيوبي والمملوكي ، أي بدءا من سنة

٥٨٣هـ ، وهو تاريخ تحرير بيت المقدس من الغزاة الصليبيين ، الى سنة ٩٢٣هـ ، وهو تاريخ نهاية العصر المملوكي ، وكانت الحياة الفكرية والأدبية قد نشطت في بيت المقدس بعد التحرير ، واستمر ذلك النشاط في العصرين المذكورين ، ولا يعني هذا أنني سأتابع تحديدا زمنيا يبتدىء بعام كذا ، وينتهي بعام كذا ، فذلك ما لا يمكن أن يكون في دراسة الحياة الفكرية والأدبية . ولهذا حاولت أن أمهد للموضوع بحديث موجز عن الحركة الفكرية في بيت المقدس قبيل الاحتلال الصليبي ، ثم في ظل الاحتلال نفسه .

وحددت مفهوم المسجد الأقصى ، مستعينا بما كان القدامى من المؤرخين والجغرافيين المسلمين يذهبون اليه . وتبينت أن المقصود بالمسجد الأقصى هو ما دار عليه السور المحيط بالحرم القدسي الشريف .

وكان علي أن أدرس الكثير من مدارس بيت المقدس ، في هذه الدراسة ، ولكن سعة الموضوعات وتشعبها، جعلتني أؤثر أن أخص مدارس بيت المقدس بكتاب خاص .

قامت هذه الدراسة ، في الكتاب الأول عن « الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى » في العصرين الايوبي والمملوكي ، على منهج حاولت أن أتبع فيه معالم الحركة الفكرية في بيت المقدس . وتتمثل تلك المعالم في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، وعلم التاريخ ، والعلوم العملية والعقلية ، كما تتمثل في الحديث عن دور النواب والقضاة والعلماء في رعاية حركة العلم، وتشجيع العلم والعلماء. هذا الى جانب الحديث عن دور الخطباء والأئمة والوعاظ وشيوخ الحرم القدسي ، في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، ودور دار كتب المسجد الأقصى ، وغيرها من المكتبات في الحركة الفكرية أيضا .

جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثمانية فصول ، وتحدثت في الفصل الأول عن العوامل التي أسهمت في الحركة الفكرية في بيت المقدس . وكان

الفصل الثاني في نظام التدريس وطرقه ، والفصل الثالث في تدريس العلوم الشرعية في ظل المسجد الأقصى ، والفصل الرابع في علوم اللغة العربية في ظلّه ، والفصل الخامس في علم التاريخ ، والفصل السادس في العلوم العقلية ، كل ذلك في ظل المسجد الأقصى في بيت المقدس . والفصل السابع في دور الخطباء والأئمة والوعاظ وشيوخ الحرم القدسي ، في الحركة الفكرية . والفصل الثامن في دار كتب المسجد الأقصى ، ودورها في الحركة الفكرية

لقد كان المسجد الأقصى كغيره من المساجد التعليمية ، يقوم بدور فعال في الحركة الفكرية في العالم الإسلامي ، فكانت فيه مشيخات أو أقسام علمية مختلفة ، وفيه شيوخ كثيرون تصدروا للتدريس والافتاء ، والخطابة ، والتصنيف .

وقد ركزت في هذه الدراسة على ظاهرة مهمة من ظواهر الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى ، وهي ظاهرة التدريس ، فقد كانت جل العلوم تدرس فيه . وكان المسجد الأقصى منارات إشعاع في العالم الإسلامي ، وكانت الرحلة إليه ، في سبيل العلم ، فقد قصده الكثيرون من مشهوري العلماء في العلوم المختلفة . وشاركوا مشاركة فعالة في الحركة الفكرية . ورحل علماء بيت المقدس إلى المراكز الفكرية الأخرى ، ونهلوا من العلم على أشهر العلماء ، ثم عادوا ليتصدروا للتدريس في المسجد الأقصى ، والمدارس ، وغير ذلك من المعاهد العلمية .

واستعنت في هذه الدراسة بمصادر ومراجع متنوعة بين أدبية ولفوية ودينية ، وتاريخية وجغرافية ، وكتب تراجم وطبقات ، وكتب في فضائل بيت المقدس ، ومذكرات وسير ، ورحلات ، وكتب عن المدارس والتعليم ، وكتب في الحضارة ، ومعجمات ، وفهارس ، وسجلات ، ووثائق .

وتنوعت هذه المصادر والمراجع بين المخطوط والمطبوع ، والقديم والحديث ، والعربي وغير العربي . وقد جاء القديم غالبا في هذا المجال ،

ويبدو كل هذا جليا من النظر في ثبت المصادر والمراجع في آخر هذه
الدراسة .

ومما أعده مكملا لهذه المصادر والمراجع ، الزيارات المتعددة التي قمت
بها الى بيت المقدس ، والتعرف الى المدارس القديمة فيه . ودار كتب المسجد
الأقصى ، والمتحف ، ودائرة الآثار ، وغيرها . هذا الى جانب الاتصالات
الشخصية .

وحاولت أن أستعين بحديث عن الجامع الأزهر وتاريخه الفكري ، أو
المدرسة المستنصرية وتاريخ علمائها، وذلك للتشابه في الدور الذي قامت به
هذه المراكز الفكرية : الأزهر ، والمستنصرية ، والأقصى . وقد حاولت
الاستعانة بهذه الموازنة في بعض المواضع التي لم تساعدني النصوص على
توضيح معلم من معالم الحركة الفكرية في ظل الأقصى ، مثل الحديث عن
بعض المشيخات ، وشروطها ، وما الى ذلك . وعلي أن أقول ان ذلك كان
موجزا ، قصد منه الوصول الى الهدف المتمثل في محاولة توضيح صورة
الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى .

ومن الجدير بالاشارة انني قمت في هذه الدراسة بتعريف للاعلام ،
والأماكن ، والكتب ، وغيرها حيثما وردت ، وقد استغرق هذا جزءا غير
قصير ، وليس ذلك الا لأنني شعرت بأن الاعلام بحاجة الى تعريف القارىء
بها ، على الرغم من شهرتها في عصرها . ويرجع ذلك الى أن هذه العصور
التي نتحدث عنها ، لم تلق عناية ملموسة من الباحثين .

وأرجو أن أكون قد وفقت في رسم صورة واضحة المعالم للحركة الفكرية
في ظل المسجد الأقصى ، وكلني أمل أن أعذر لوعورة الطريق في هذا البحث
الجديد فيما أعلم ، والله من وراء القصد .

تمهيد

المسجد الأقصى (مفهومه) :

من المتعارف عليه في أيامنا هذه ، أن المسجد الاقصى هو الجامع الكبير الواقع في الجهة القبليية من ساحة الحرم الشريف . ولكن هذا المفهوم للمسجد الاقصى ، لم يكن هو المفهوم المتعارف عليه في القديم ، فقد كان يطلق المسجد الاقصى ، على ما كان داخل سور الحرم الشريف ، من معابد ، وقباب ، ومدارس ، وأروقة ، ومنابر ، وأبواب ، وغيرها من المعابد الدينية ، والمعاهد العلمية .

ويؤيد هذا ما يذهب اليه المؤرخون والجغرافيون والرحالة المسلمون، فعندما تحدثوا عن بناء الصخرة الشريفة ، قالوا انها أقيمت في وسط المسجد الأقصى (١) وممن قال بذلك : ابن الفقيه (١) ، وابن عبد ربه (٢) ، وابن البطريق (٣) ، والمقدسي (٤) ، والادريسي (٥) ، وياقوت (٦) ، وغيرهم (٧) .

-
- (١) قال : وسط المسجد دكان - دكة - والصخرة وسط الدكان .
(أنظر : البلدان / ١٠٠ ، عن بلدانية فلسطين العربية / ٢٤٣) .
- (٢) قال : وفيه الصخرة (أنظر العقد الفريد ٦ / ٢٦٣ - ٢٦٦ ، بلدانية فلسطين العربية / ٢٤٣) .
- (٣) قال : بني الوليد بن عبد الملك مسجد بيت المقدس ، وصير الصخرة في وسط المسجد .
(أنظر : بلدانية فلسطين العربية / ٢٤٤) .
- (٤) قال : وأما المسجد الاقصى فهو على قرنة البلد من الجهة الشرقية نحو القبلة وفي الوسط قبة الصخرة .
- (أنظر : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ١٦٨ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٤٧ - ٢٤٨) .
- (٥) قال : وفي وسط الجامع قبة عظيمة تعرف بقبة الصخرة .
(أنظر : وصف فلسطين وبر الشام ٤ ، عن بلدانية فلسطين العربية / ٢٥٩) .
- (٦) قال : وفي وسط صحن هذا الموضع - الاقصى - مصطبة عظيمة ، وفي وسط هذه المصطبة قبة الصخرة .
- (أنظر : بلدانية فلسطين العربية ٢٦٧ ، ٢٦٢) .
- (٧) أنظر بلدانية فلسطين العربية ٢٤٢ - ٢٦٤ .

ويؤيد هذا تحديدهم طول المسجد الأقصى وعرضه ، فقد حدد بعضهم طوله بألف ذراع ، وحدد عرضه بسبعمائة ذراع^(٨)، وهذا لا ينطبق على المسجد الأقصى المتعارف عليه في أيامنا هذه ، ولكنه ينطبق على ما أشرنا إليه .

وعندما تحدثوا عما أقيم في الأقصى ، ذكروا أن فيه ثلاث مقاصير للنساء ، وفيه عدد من المحاريب ، والقباب ، والمنابر ، والأروقة ، والأبواب ، والآبار ، والخلوي ، والحواصل ، والمصاطب ، والأبواب ، والمدارس ، وغيرها^(٩) . وهذا يبين أن مفهوم المسجد الأقصى ، يقصد

(٨) حدد ابن الفقيه والمقدسي طوله بألف ذراع ، وعرضه بسبعمائة ذراع . وحدد ابن عبد ربه طوله بـ ٧٨٤ ذراعا ، وعرضه بـ ٤٦٥ ذراعا بذراع الامام . وحدد ناصر خسرو طوله بـ ٧٥٤ ذراعا ، وعرضه بـ ٤٥٥ ذراعا بنزاع الملك في خراسان ، وهو اقل من ذراع ونصف . وحدد ابن بطوطة طوله بـ ٧٥٢ ذراعا ، وعرضه بـ ٤٣٥ ذراعا . وحدد الهروي طوله بـ ٧٠٠ ذراع ، وعرضه بـ ٤٥٥ ذراعا ، وحدد الادريسي طوله بمائتي باع ، وعرضه بمائة وثمانين باعا .

(انظر : البلدان ١٠٠ ، احسن التقاسيم ١٦٨ ، العقد الفريد ٦/٢٦٣ ، سفرنامه ٥٨ ، رحلة ابن بطوطة ١٢١ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٤٢ - ٢٦٢ ، ٢٨٢) .

(٩) ذكر ابن الفقيه أن فيه أربع منائر للمتنوعه ، ومنارة للمرتزقة ، وثلاث مقاصير للنساء ، وذكر ثمانية من أبوابه ، وأربعة محاريب ، والبراق ، وزاوية من زواياه . وذكر ابن عبد ربه أن فيه ثلاث مقاصير للنساء ، وعشرة محاريب ، وخمس عشرة قبة ، وأربعة وعشرين جبا للماء ، وأربع منائر ، والبراق ، وأحد عشر بابا . وذكر المقدسي ثلاثة عشر بابا من أبوابه ، وأوصل عددها الى ستة وعشرين بابا . وذكر اربع قباب ، واربعة محاريب من محاريبه ، ومقامين من مقاماته ، وغير ذلك من الاماكن الدينية .

وذكر ناصر خسرو عددا من اروقتة وأبوابه ومحاريبه وآباره وقبابه ، وغيرها . وذكر الادريسي عددا من أبوابه . وذكر أبو الفدا عددا من قبابه . وذكر الصمري المدرسة المعظمة ، وقبة الملك المعظم ، ومزولة المدرسة . وذكر المدرسة الكريمة ، والمدرسة الاسعردية ، والمدرسة الجاولية . وذكر عددا من أبوابه ، ومصاطبه ، وآباره ، والخلوي والحواصل فيه .

به ساحة الحرم الشريف وما فيها ، وهو بعبارة أخرى : ما دار عليه
السور .

وحدد عدد منهم المسجد الأقصى المتعارف عليه اليوم ، بأنه المكان
الذي كانت تقام فيه صلاة الجمعة (١٠) ، وما تزال .

ومما يلفت النظر أن الناس كانوا يعرفون المسجد الأقصى ، في القرن
التاسع الهجري ، بأنه يقصد به ما هو متعارف عليه في أيامنا . ذكر
مجير الدين الحنبلي «أر عارف عند الناس ، أن الأقصى من جهة القبلة
الجامع المبني في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير» . ويبين
مجير الدين أن ما كان الناس يتعارفون عليه في عصره ، بالنسبة للمسجد
الأقصى ، غير صحيح ، كما يبدو في قوله : « وحقيقة الحال : أن الأقصى
اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور ٠٠٠ ، والمراد بالمسجد الأقصى :
هو جميع ما دار عليه السور ، كما تقدم » (١١) .

وهكذا يتبين لنا أن المسجد الأقصى ، يقصد به ما أحاط به السور ،
مما يوجد في ساحة الحرم القدسي الشريف . ويمكن تفصيل ذلك بأن
المسجد الأقصى بمفهومه الصحيح يقصد به المسجد الأقصى الذي
كانت تقام فيه صلاة الجمعة ، وما تزال ، والصخرة المشرفة ، وجامع

= (أنظر : البلدان ١٠٠ ، العقد الفريد ٦/٢٦٢ - ٢٦٥ . احسن التقاسيم ١٦٨ ،
سفر نامه ٢٧ ، وصف بر الشام وفلسطين ٤ . تفويم البلدان ٢٢٧ ، مسالك الابصار
١٣٩/١ - ١٦٧ ، الانس الجليل ١١/٢ - ٢٧ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٤٢ -
٢٨٣) .

(١٠) ذهب ناصر خسرو الى ان « مسجد الجمعة يقع على حافة وادي جهنم ، وقال ياقوت :
وفي نحو القبلة ، أي القبلة بالنسبة للأقصى ، المصلى الذي يخطب فيه للجمعه .
(أنظر : سفرنامه ٥٣ ، معجم البلدان ٤/٥٦٤ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٤٩ .
٢٦١) .

(١١) الانس الجليل ٢/٢٤ .

عمر (١٢) ، وجامع المغاربة (١٣) ، وجامع النساء (١٤) ، ودار الخطابة (١٥) ،
والزاوية الختنية (١٦) والزاوية البسطامية (١٧) ، وقبة السلسلة (١٨)

(١٢) قيل انه يقع بداخل الاقصى عند زاويته القبليّة من الشرق . وسمي بذلك لانه
من بقية بناء عمر رضي الله عنه ، وذكر أنه بناه عمر في الموضع الذي يقوم عليه الاقصى
الآن ، وهو غير جامع عمر المعروف اليوم .

(أنظر : الانس الجليل ١٢/٢ - ١٣ ، تاريخ الحرم القدسي ٤٢ ، ٦٩ ، حضارة العرب -
لوبيون ١٦١) .

(١٣) يقع بظاهر الجامع الاقصى من جهة الغرب ، في صحن المسجد وكانت تقام فيه صلاة
المالكية (أنظر : الانس الجليل ١٣/٢ ، تاريخ الحرم القدسي ٨٠) .

(١٤) يقع في الجانب الغربي من الاقصى ، الى القبلة . ويقال : انه من بناء الفاطميين .
(أنظر : مسالك الابصار ١٥٣/١ ، الانس الجليل ١٣/٢ ، بلدانية فلسطين العربية
٢٧٣ ، تاريخ الحرم القدسي ٧٠) .

(١٥) تقع بجوار الزاوية الختنية .

(أنظر : سفرنامة ٢١ ، الانس الجليل ١٣/٢ ، ٤٠ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٥٢)

(١٦) تقع بجوار الاقصى ، خلف المنبر .

انظر : الانس الجليل ٣٤/٢ ، خطط الشام ١٥٠/٦ ، المفصل في تاريخ القدس
٢٣٦ ، بلدانا فلسطين - في بيت المقدس ج ٩ ق ٢ ، ٢٠٧) .

(١٧) تقع بحارة المشاركة في شرقي القدس .

(أنظر : الانس الجليل ٤٨/٢ ، ١٦٢ ، خطط الشام ١٥٠/٦ ، بلدانا فلسطين
٣١٤) .

(١٨) وهي على صفة قبة الصخرة ، وتقع شرقيها على بعد بضعة أمتار من بابها المعروف
بباب داود .

(انظر : أحسن التقاسيم ١٦٨ ، سفرنامة ٢١ ، معجم البلدان ٥٦٤/٤ ، الانس
الجليل ١٨/٢ ، تاريخ الحرم القدسي ٧٥ - ٧٦ ، القدس الخالدة ٢٠٦ ، حضارة
العرب - لوبيون ١٦٢) .

وقبة المعراج (١٩) ، وقبة موسى (٢٠) ، وغيرها من القباب (٢١) . وكذلك الأروقة (٢٢) ، والمنائر (٢٣) ، والمصاطب (٢٤) ،

(١٩) تقع غربي مسجد الصخرة الى الشمال . وقيل : بنيت تذكارا لعروج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أعاد بناءها الأمير عز الدين سعيد السعداء أبو عمرو عثمان بن علي ابن عبد الله الزنجيلي ، متولي القدس الشريف في سنة ٥٩٧ هـ .

(أنظر : احسن التقاسيم ١٦٨ ، معجم البلدان ٥٦٤/٤ ، الانس الجليل ١٩/٢ - ٢٠ ، تاريخ الحرم القدسي ٧٧ ، القدس الخالدة ٢٠٨) .

(٢٠) تقع تجاه باب السلسلة . أنشئت بأمر من الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٩ هـ . وكانت تعرف بقبة الشجرة . ولم تصح نسبتها الى النبي موسى عليه السلام . (أنظر : الانس الجليل ٢١/٢ ، تاريخ الحرم القدسي ٧٩) .

(٢١) ومنها : قبة الطومار ، وقبة (مقام أو مصلى) الخضر ، وقبة يوسف ، وغيرها . (أنظر : احسن التقاسيم ١٦٨ ، سفريامة ٢١ ، مرصد الاطلاع ١٣١/٣ ، مسالك الابصار ١٦٥/١ ، الانس الجليل ٢٠/٢ ، ٢١ ، ٢٣ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨١ ، تاريخ الحرم القدسي ٧٧ - ٨٠) .

(٢٢) سنتحدث عنها في الفصل الاول : عوامل الحركة الفكرية في بيت المقدس ، وذلك عند الحديث عن المنشآت المعمارية التي أنشئت في العصرين الايوبي والمملوكي ، وكان لها أثر جلي في الحركة الفكرية .

(٢٣) وهي اربعة : مئذنة باب المغاربة ، ومئذنة باب السلسلة ، ومئذنة باب الغوانمة ، ومئذنة باب الاسباط .

(أنظر : الانس الجليل ٢٦/٢ - ٢٧ ، تاريخ الحرم القدسي ٨٢ - ٨٤) .

(٢٤) توجد مصاطب كثيرة منها : مصطبة قبة الصخرة ، ومصطبة تقع في اول السور القبلي من جهة الغرب ومصاطب بأبواب السور الغربي ، ومصطبة امام جامع النساء ، ومصطبتان بحدي باب حطة ، ومصطبة تلو باب شرف الانبياء ، ومصطبة امام خلوة شيخ الحرم قرب المدرسة الجاولية . وذكرت بعض المصاطب باسمائها ، ومنها : مصطبة الكرك ، في الزاوية الشرقية الجنوبية من فناء الصخرة . ومصطبة علاء الدين البصري ، الى الشرق من باب الناظر . انشأها سيف الدين جركس الناصري ، ناظر الحرمين الشريفين ، ونائب السلطنة في القدس . وذلك في سنة ٧٩٥ هـ . وغيرها من المصاطب . وكانت هذه المصاطب تستخدم للصلاة والتدريس ، وخاصة في فصل الصيف .

(أنظر : مسالك الابصار ١٣٩/١ - ١٦٧ ، الانس الجليل ٢٢/٢ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، تاريخ الحرم القدسي ٨١) .

والأبواب (٢٥) ، والآب (٢٦) ، وغرف للسكن (٢٧) ، وغير ذلك مما تقدم .

(٢٥) وهي : باب الاسباط ، وباب حطة ، وباب شرف الانبياء (أو الباب العتم ، أو باب الدويدارية ، أو باب الملك فيصل) ، وباب الغوانمة (أو باب درج الغوانمة ، أو باب الوليد) ، وباب الناظر (أو باب علاء الدين البصير ، أو باب الحبس ، أو باب ميكائيل) ، وباب الحديد (أو باب أرغون) وباب القطنين ، وباب المتوضأ (أو باب المظهرة) ، وباب السلسلة (أو باب داود) ، وباب المغاربة (أو باب النبي) ، وهذه عشرة أبواب مفتوحة اليوم .

وتوجد اربعة ابواب مغلقة ، وهي : باب السكينة (أو الباب المغلق ، أو باب السحرة) ، وباب الرحمة ، وباب التوبة ، وباب اليراق (أو باب الجنائز أو الباب الذهبي) .
وذكر بعض المؤرخين ابوابا أخرى .

(أنظر : أحسن التقاسيم ١٦٨ ، سفرنامة ٥٨ - ٦٠ ، مسالك الابصار ١٤٤/١ - ١٦٣ ، الانس الجليل ١٣/٢ ، ٢٧ - ٣١ ، تاريخ الحرم القدسي ٨٧ ، ٩٢ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

(٢٦) ذكر ابن عبد ربه أن في المسجد الأقصى اربعة وعشرين بئرا ، وذكر ناصر خسرو أن احواضا وصهاريج كثيرة حفرت فيه . وذكر العمري أن فيه سبعة آبار منها : بئر الرمانة ، وبئر الشوك ، وبئر الورد ، وبئر الجنة ، وبئر الكاس . وأن فيه خمسة عشر حوضا ، ومنها : بئر الورقة ، والبئر الاسود ، وبئر البحيرة . وذكر مجير الدين الحنبلي أن فيه اربعة وثلاثين بئرا .

(أنظر : العقد الفريد ٢٦٤/٦ ، سفرنامة ٢١ ، مسالك الابصار ١٥٠/١ - ١٥١ ، الانس الجليل ١٣/٢ - ١٤ ، ٢٣ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٧١ - ٢٧٢) .

(٢٧) ذكر أن فيه عددا من الخلاوي للسكن ، وكانت للمتصوفة وبعض الفقهاء المجاورين ، وبعض المتصدرين في الحرم ، وشيخ الحرم ، والناظر ، والقيم ، والبوابين ، والخدم . وذكر أنها ست عشرة غرفة «أنشئت خصيصا ليجلس فيها سادة الحرم ورجاله من ائمة ، وخطباء ، ومؤذنين ، ومدرسين ، وحراس . وأغلب الظن أنها من منشآت القرن الثاني عشر الهجري .

(أنظر : سفرنامة ٥٩ ، مسالك الابصار ١٤٧/١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ - ٢٧٩ ، تاريخ الحرم القدسي ٧٩) .

ويضاف الى هذا كله ، المدارس ، والزوايا ، والخوانق ، والرباطات الواقعة في الجهتين الغربية والشمالية للمسجد الاقصى . وسنتحدث عنها ، وعن دورها في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، في كتاب خاص قادم ، وذلك لسعة الموضوع وشموله .

ومن الجدير بالاشارة أن علماء المسلمين في بيت المقدس وغيرها ، أصدروا فتوى في سنة ١٩٦٧م ، بيتوا فيها أن المسجد الاقصى ، يقصد به ما دار عليه السور . واعتمدوا في ذلك على نصوص دينية وتاريخية موثوقة (٢٨) .

(٢٨) انظر : مكانة القدس في الاسلام ٧ .

الحركة الفكرية في بيت المقدس قبيل الاحتلال الصليبي

تعددت مظاهر الحركة الفكرية في بيت المقدس ، قبيل الاحتلال الصليبي ، في أواخر القرن الخامس الهجري . وفي هذه الفترة نجد في بيت المقدس عددا من المعاهد العلمية ، فالى جانب الاقصى والصخرة وغيرهما في ساحة الحرم الشريف ، نجد دارا للعلم أنشأها الفاطميون في بيت المقدس ، وكانت تلك الدار « فرعا لدار العلم الفاطمية بالقاهرة » ، وذكر أنه كانت لدار العلم فروع في سائر البلاد التي امتدت اليها الدولة الفاطمية (٢٩) . ومن المعروف أن دار العلم بالقاهرة ، كانت تهدف الى نشر المذهب الفاطمي ، وكانت تعقد فيها المجالس الكثيرة ، وكانت مركزا يعج بالنشاط الفكري ، فهل كانت دار العلم في بيت المقدس كذلك ؟ ان المصادر التي وقفنا عليها ، لم تسعفنا بمعلومات وافية عن دار العلم في بيت المقدس . ولعلنا نستطيع القول بأنه كان لها دور في هذا المجال ، ولعل ما ذكره ناصر خسرو ، يغلب الظن على أنها كانت تقوم بدورها ، فقد ذكر أن عدد سكان بيت المقدس عندما زارها في سنة ٤٣٧هـ ، كان نحو عشرين ألف ، وكان جلهم شيعة (٣٠) . ولعل هذا يعني أن دار العلم كانت ذات أثر حقا فيما نتحدث عنه .



وتحدث ناصر خسرو عن البيمارستان الذي أنشأه الفاطميون في بيت المقدس ، وقد وصف ذلك البيمارستان بأنه « مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ، ويصرف لمرضاء العديدين العلاج والدواء ، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف » (٣١) .

(٢٩) المعاهد المصرية في بيت المقدس ٤ ، أهل العلم بين مصر وفلسطين ٧ ، الفصل في تاريخ القدس ١٣ ، تاريخ القدس ٦٢ .
(٣٠) سفرنامه ٥٦ ، تاريخ القدس ٦٢ .
(٣١) سفرنامه ٥٧ ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ٢٣٠ ، ٢٣١ ، المعاهد المصرية في بيت المقدس ٥ - ٦ ، أهل العلم بين مصر وفلسطين ٧ ، تاريخ القدس ٦٢ ، الفصل في تاريخ القدس ١٧٨ .

كان في البيمارستان أقسام مختلفة ، وكان كل قسم منها مخصصا لمعالجة مرض معين ، وكان فيه قسم للرجال ، وآخر للنساء ، كما كانت له صيدلية يشرف عليها صيدلي البيمارستان ، وكان يعمل فيه الأطباء المتخصصون ، ويشرف عليه ناظر يكون مسؤولا عن ادارة الأوقاف وغيرها (٣٢) .

ومثل هذا ، كان في بيمارستان بيت المقدس ، فقد عين له ناظر يشرف عليه ، وعمل فيه أطباء متخصصون ، وكانت فيه أدوية وعقاقير غزيرة حفظت لمعالجة المرضى . وكان الطب يدرس فيه نظريا الى جانب الناحية العملية (٣٣) .

ومما يزيد أن الطب كان موضوعا للدراسة في بيت المقدس ، ما ذكره ابن أبي أصيبعة ، فقد ذكر ، في ترجمته لطبيب مقدسي هو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي ، من أطباء القرن الرابع الهجري ، أن هذا الطبيب قرأ علم الطب في بيت المقدس ، كما قرأه في المدن التي ارتحل إليها أيضا . ثم اشتغل التميمي بالطب في بيت المقدس وغيره ، وصنف مصنفات فيه (٣٤) . وهناك أطباء آخرون نشأوا في بيت المقدس لا مجال للحديث عنهم الآن (٣٥) .



ومن المعاهد العلمية في بيت المقدس ، المدرسة أو الزاوية النصرية أو الغزالية ، وتنسب الى الشيخ أبي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي ، كما تنسب الى الامام أبي حامد الغزالي .

(٣٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ١٨ - ٢٥ ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ٢٢٧ - ٢٣٠ .

(٣٣) أنظر : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ١٨ - ٢٥ ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ٢٢٧ - ٢٣٠ .

(٣٤) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٥٤٦ - ٥٤٨ .

(٣٥) أنظر : نفسه ٥٨٧ - ٥٨٩ ، ٦٩٧ - ٧٠٦ .

درّس الشيخ نصر المقدسي في المدرسة المذكورة ، وأخذ عنه طالبو العلم ، وسمعوا منه .

وكان أبو نصر المقدسي قد جد في طلب العلم ، فقد ذكر أبو القاسم بن عساكر ، وتاج الدين السبكي ، وابن العماد أنه سمع في بيت المقدس ، ودرّس فيه مدة لم تحدد (٣٦) . ورحل نصر المقدسي طالبا العلم ، وذكر أنه قام برحلات عديدة وعمره نحو عشرين عاما . وفي رحلاته المتعددة تلك ، سمع بغزة ، ودرس في صور ، وديار بكر على عدد من أشهر العلماء ، وقد صحب الشيخ الامام أبا الفتح سليم بن أيوب الرازي (٣٧) ، أربع سنين ، وعلق عنه تعليقه في ثلاثمائة جزء كما يقول عدد من المؤرخين (٣٨) . وسمع الشيخ المقدسي المذكور بدمشق ، وأكثر من السماع فيها ، فسمع من عدد من العلماء المشهورين . وسمع في مراكز علمية أخرى (٣٩) . ولا شك أن هذه الرحلات العلمية أهلت الشيخ المقدسي للعمل على نشر العلم بدوره . وقد درّس في صور ، ودمشق ، وبيت المقدس ، وغيرها . وذكر أنه أقام في صور عشر سنين ينشر العلم ، ثم انتقل منها الى دمشق ، فأقام بها تسع سنين ، يحدث ، ويفتي ، ويدرّس . وهو على طريقة واحدة من الزهد ، والتقشف ، وسلوك منهاج السلف» (٤٠) . ونحن لا نذكر هذا الا لتبين أن الشيخ

(٣٦) أنظر : تبين كذب المفتري ٢٨٦ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣٥٢/٥ ، العبر ١٨٤/٣ ، شذرات الذهب ٣٩٥/٣ .

(٣٧) أنظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣٨٨/٤ - ٣٩١ ، وفيات الاعيان ٣٩٧/٢ - ٣٩٩ ، شذرات الذهب ٢٧٥/٣ .

(٣٨) أنظر : شذرات الذهب ٣٩٥/٣ ، محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ٢٧٠ - ٢٧٣ .

(٣٩) أنظر : تبين كذب المفتري ٢٨٦ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣٥٢/٥ ، شذرات الذهب ٣٩٥/٣ .

(٤٠) تبين كذب المفتري ٢٨٦ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣٥٢/٥ ، طبقات الشافعية للاستنوي ٣٩٠/٢ ، شذرات الذهب ٣٩٥/٣ .

المقدسي قد اشتغل بالعلم دارسا ومدرسا ، وشارك مشاركة فعالة في الحركة الفكرية في عدد من البلاد الاسلامية . ونتبين ، الى جانب ذلك ، أنه قد اشتغل بالتدريس والافتاء قبل أن يشتغل بهما في بيت المقدس . وهذا هو الذي يهمننا بصورة خاصة .

ذكر الأسنوي ، وابن العماد ، ومجير الدين الحنبلي ، أن أبا نصر المقدسي أقام بالقدس مدة طويلة ، واشتغل بالتدريس والافتاء فيها ، وحدّث، وسمع منه الكثيرون، وأخذوا عنه(٤١) . ودرّس أبو نصر بالمدرسة أو الزاوية النصرية في الحرم المقدسي الشريف ، فنسبت المدرسة اليه . وذكر مجير الدين الحنبلي أن أبا نصر المقدسي « أقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية التي تقع على باب الرحمة المعروفة بالناصرية(٤٢) ، والصحيح النصرية نسبة الى الشيخ نصر .

ودرس الكثيرون من طالبي العلم على الشيخ المذكور ، في بيت المقدس ودمشق وغيرهما من المراكز العلمية الأخرى . وقد أملى مجالس كثيرة ، وروى عنه العديد من تلامذته ، والتقى به الغزالي ، وأبو بكر بن العربي ، في دمشق ، وأخذوا عنه(٤٣) .

لم تحدد المصادر التي وقفنا عليها ، الفترة التي أقامها الشيخ المقدسي في القدس ، وفي دمشق ، ويبدو أنه كان يتنقل بينهما ، فقد ذكر أنه قدم الى دمشق سنة ٤٨٠ هـ ، ودرس فيها بالمدرسة الغزالية بالزاوية الشمالية الغربية في الجامع الأموي ، وكانت هذه المدرسة تعرف بالشيخ أبي نصر ، ثم درّس فيها الغزالي فنسب اليه . وذكر أن المقدسي المذكور كان أول من درّس بها(٤٤) .

(٤١) طبقات الشافعية للأسنوي ٣٩٠/٢ ، شذرات الذهب ٣٩٥/٣ ، الانس الجليل

٢٩٨/١ ، تاريخ الادب العربي - بروكلمان ١٧٩/٦ .

(٤٢) الانس الجليل ٢٩٨/١ .

(٤٣) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣٨٨/٤ ، ١٩٨/٦ ، ٣٢٠/٧ ، ٣٢١ ، الدارس

١٨٠/١ ، ١٨٣ ، ٢٢٧ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٥٣ ، وغيرها .

(٤٤) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣٢١/٧ ، الدارس ٤١٤/١ ، ٤١٥ .

لقد كان الشيخ أبو نصر المقدسي عالماً من كبار العلماء ، وسأهم مساهمة فعالة في الحركة الفكرية ، وأشاد به العديد من العلماء ، فقد ذكر أبو القاسم بن عساكر ، أنه سمع بعض من صحب المقدسي يقول : « لو كان الفقيه أبو الفتح في السلف ، لم تقصر درجته عن واحد منهم ، لكنهم فاتوه بالسبق . وكانت أوقاته كلها مستغرقة في عمل الخير ، اما في نشر علم ، واما في اصلاح عمل » . وفضل بعض أهل العلم طريقة الشيخ أبي نصر المقدسي على طريقة امام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وطريقة الشيخ أبي اسحق الشيرازي (٤٥) .

ويكفي بيت المقدس أن يكون فيه عالم مثل أبي نصر المقدسي ، وقد كان ينشر العلم فيه قبيل الاحتلال الصليبي . وكان أبو نصر « اماما علامة مفتيا محدثا حافظا » (٤٦) ، وكان شيخ مذهبه بالشام .

ولم يقتصر دور هذا العالم الكبير على التدريس والافتاء ، والحديث ، فقد شارك في حركة التأليف ، وصنف مصنفات عديدة في الفقه والحديث (٤٧) . وله مصنف ألفه على أساس محاضرات له عام ٤٤٤ هـ ، وهو كتاب أو رسالة في نسب النبي وقرابته ، (٤٨) .

واستمر الشيخ أبو نصر المقدسي يؤدي دوره الكبير في الحركة الفكرية في بيت المقدس وغيره ، الى أن توفي بدمشق في سنة ٤٩٠ هـ (٤٩) .

(٤٥) تبين كذب المفتري ٢٨٦ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣٥٣/٥ .

(٤٦) شذرات الذهب ٣٩٥/٣ .

(٤٧) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣٥١/٥ - ٣٥٢ ، طبقات الشافعية للاستنوي ٣٩١/٢ ،

الانس الجليل ٢٩٨/١ ، شذرات الذهب ٣٩٦/٣ ، الاعلام ٢٢٧/٨ .

(٤٨) تاريخ الادب العربي - بروكلمان ١٧٩/٦ .

(٤٩) تبين كذب المفتري ٢٨٦ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣٥٣/٥ ، طبقات الشافعية

للاستنوي ٣٩٠/٢ ، الانس الجليل ٢٩٨/١ ، شذرات الذهب ٣٩٥/٣ .

وفي المدرسة النصرية هذه ، أقام الامام أبو حامد الغزالي ، عندما قدم الى بيت المقدس ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أن الغزالي « أقام بالقدس مدة طويلة » بالمدرسة المذكورة . وقد عرفت بالغزالية نسبة الى الامام الغزالي . وقضى الغزالي أوقاته في بيت المقدس في العلم ، والعبادة ، والطاعة ، وزيارة المشاهد والمواضع العظيمة ، وأخذ في التصانيف المشهورة ببيت المقدس فيقال : انه صنّف في القدس احياء علوم الدين(٥٠) .

كان الغزالي قد دخل دمشق ، ثم توجه الى بيت المقدس في سنة ٤٨٩هـ ، فقد ذكر تاج الدين السبكي أن الغزالي « دخل دمشق ، في سنة ٤٨٩هـ ، فلبث فيها يويّمات يسيرة ، ثم توجه الى بيت المقدس ، فجاور به مدة»(٥١) . وذكر ابن الأثير أن الغزالي ، في سنة ٤٨٨هـ ، توجه الى الشام ، والقدس ، وفي هذه السفارة ، صنّف احياء علوم الدين(٥٢) . وذهب الذهبي(٥٣) ، وابن العماد(٥٤) ، وابن هداية(٥٥) الى مثل ذلك . وعلى الرغم من هذا الخلاف البسيط ، فلعل الغزالي قدم في أواخر سنة ٤٨٨هـ أو أوائل سنة ٤٨٩هـ . والمهم في هذه الدراسة أن نتبين متى توجه الغزالي الى القدس ، وكان ذلك في سنة ٤٨٩هـ ، كما تقدم . وتحدث الغزالي نفسه عن اقامته بالقدس ، فذكر أنه كان يدخل في كل يوم الى الصخرة الشريفة ، ويعتكف للعبادة(٥٦) . هذا الى جانب الاشتغال بالعلم

(٥٠) انظر : وفيات الاعيان ٢١٧/٤ ، الوافي بالوفيات ٢٧٥/١ ، طبقات الشافعية للسبكي ١٩٧/٦ ، الانس الجليل ٢٩٩/٦ .

(٥١) طبقات الشافعية للسبكي ١٩٧/٦

(٥٢) الكامل في التاريخ ٢٥٢/١٠ .

(٥٣) العبر ٣١٩/٣ .

(٥٤) شذرات الذهب ٣٨٣/٣ .

(٥٥) طبقات ابن هداية ١٩٤ .

(٥٦) المتقد من الضلال ١٧٧ .

في مدرسته المذكورة . وشارك الغزالي في الحركة الفكرية خلال اقامته في بيت المقدس ، وأخذ عنه طالبو العلم .

ويبدو أن الغزالي بقي في بيت المقدس حتى سنة ٤٩٠هـ ، فقد روى تاج الدين السبكي حكاية تتضمن أن الغزالي قدم من بيت المقدس الى دمشق ، ووصل اليها بعد دفن الشيخ نصر المقدسي مباشرة ، وكان ذلك في سنة ٤٩٠هـ (٥٧) . وهذا يعني أن الغزالي أقام حوالي سنة في بيت المقدس .

ان ما ذهب اليه مجير الدين الحنبلي حول تصنيف كتاب احياء علوم الدين في بيت المقدس ، وتابعه فيه محمد كرد علي (٥٨) ، بحاجة الى مناقشة ، وقد تقدم القول في أن ابن الأثير ، والذهبي ، وابن العماد ، وابن هداية ، ذهبوا الى أن الغزالي صنف كتاب الاحياء في دمشق . وذكر الغزالي نفسه أنه حرر لأهل القدس مصنفا سماه « الرسالة القدسية في قواعد العقائد » ، وأضاف الغزالي أنها « مودعة في الفصل الثالث من هذا الكتاب » ، أي من كتاب قواعد العقائد ، وهو عبارة عن أربعة فصول ، والفصل الثالث منه في « لواحق الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس » كما يقول الغزالي (٥٩) . وهكذا يتبين لنا أن الغزالي لم يصنف في بيت المقدس الا الرسالة القدسية في قواعد العقائد ، وأما كتاب الاحياء ، فقد صنفه في دمشق . وتقع هذه الرسالة في أركان أربعة : الركن الاول في معرفة ذات الله تعالى ، والثاني في صفاته ، والثالث في أفعاله ، والرابع في السمعيات ، ويقوم كل ركن على عشرة أصول (٦٠) ، ولا مجال لتفصيل ذلك في هذه الدراسة .

(٥٧) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ١٩٨/٦ .

(٥٨) خطط الشام ١١٧/٦ .

(٥٩) احياء علوم الدين ١٠٤/١ .

(٦٠) انظر : احياء علوم الدين ١٠٤/١ - ١٢٤ ، تبين كذب المفتري ٢٩٩ - ٣٠٦ .

وذكر حاجي خليفة هذه الرسالة باسم « الرسالة القدسية بأدلتها البرهانية » في علم الكلام (٦١) . وهكذا يكون الغزالي قد شارك مشاركة فعالة في الاشتغال بالعلم ، والتصنيف . وواضح مما ذكره الغزالي أنه صنف الرسالة المذكورة اجابة عن أسئلة سئل عنها في بيت المقدس . ولا شك أنه سئل كثيرا ، وأخذ عنه طالبو العلم ، وسمعوا منه في تلك الفترة التي قضاها في بيت المقدس .



ذكر ابن العربي في رحلته التي قسام بها الى بيت المقدس ، أن فلسطين « كانت تعج بالعلماء من أهلها ومن الوافدين » مما دعاه الى أن يطيل الإقامة فيها ، ويرجى الحج (٦٢) . وذكر أبو بكر بن العربي عددا من مدارس بيت المقدس التي شاهدها هناك ، ومنها مدرسة عند باب الأسباط ، وكان فقهاء الشافعية يجتمعون فيها للدرس والمناظرة ، ومنهم عطاء المقدسي (٦٣) ، الآتي ذكره . ومن مدارس الحنيفة مدرسة أبي عقبة (٦٤) . وذكر أبو بكر بن العربي أنه ألقى بالمدرسة الشافعية «جماعة علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة عند شيخهم القاضي يحيى بن علي ابن عبد العزيز المعروف بابن الصائغ (٦٥) ، وكان قد تفقه في دمشق ، وصحب الشيخ نصرا المقدسي ، ثم تفقه ببغداد على أبي بكر الشاشي ، وسمع من عدد من العلماء ، وقرأ العربية على أبي علي الفارسي (٦٦) ، وكان قد استخلفه عليهم الشيخ نصر المقدسي . وكانوا يتناظرون على عاداتهم كما يقول ابن العربي . ومن علمائهم الذين ذكرهم ابن العربي ،

(٦١) انظر : كشف الظنون ١/٨٨١ .

(٦٢) انظر : رحلة ابن العربي الى المشرق - بقلم الدكتور احسان عباس - مقال بمجلة اباحث - سنة ١٩٦٨ - الجامعة الامريكية - بيروت .

(٦٣) نفسه ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٠ .

(٦٤) نفسه ، ٦٥ ، ٨٣ .

(٦٥) توفي سنة ٥٣٤هـ . (انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٧/٣٣٤ - ٣٣٥ ، شذرات الذهب ٤/١٠٥) .

(٦٦) طبقات الشافعية للسبكي ٧/٣٣٤ ، ٣٣٥ ، شذرات الذهب ٤/١٠٥ .

قاضي القضاة أبو المعالي مُجَلِّسِي بن جَمَيْع بن نجا المخزومي (٦٧)، و«كان من أئمة الأصحاب ، وكبار الفقهاء ، واليه ترجع الفتيا بديار مصر» (٦٨) . وكان قد قدم أبو المعالي الى بيت المقدس كما هو واضح .

وذكر أبو بكر بن العربي أنه كان يدخل « الى مدارس الحنفية والشافعية المشار اليها في كل يوم لحضور التناظر بين الطوائف » (٦٩) .

ومن الحلقات بمدرسة أبي عقبة الحنفية ، حلقة الشيخ القاضي الريحاني ، شيخ المدرسة ، وكان يشارك فيها عدد من العلماء الوافدين (٧٠) .

ومن المراكز الفكرية الأخرى في ساحة الحرم القدسي الشريف ، موضع يقال له الغوير ، الواقع بين باب الأسباط ، ومحراب زكريا ، وكان يقيم فيه الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، وكان طالبو العلم يأخذون عن الطرطوشي المذكور في ذلك المكان . وذكر ابن العربي أن العلماء كانوا يتناظرون في ذلك المكان المسمى بالغوير . وكانوا يجلسون للعلم بباب السكينة أيضا كما ذكر ابن العربي ، فقد بين أنه لقي الطرطوشي هناك ، وسمع كلامه ، وحظي به ثم قال « وانفتح لي به الى العلم كل باب ، ونفعتني الله به في العلم والعمل ، وتيسر لي على يديه أعظم أمل ، فاتخذت ببيت المقدس مباءة ، والتزمت فيه القراءة ، لا أقبل على دنيا ، ولا أكلم انسيا ، نواصل الليل بالنهار ، وخصوصا بقبة باب السلسلة » (٧١) . وسنفصل القول في دور الطرطوشي ، وابن العربي في الحركة الفكرية ، فيما بعد .

(٦٧) توفي سنة ٥٥٠هـ . (انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٢٧٧/٧ - ٢٨٤ ، وفيات

الاعيان ١٥٤/٤ ، شذرات الذهب ١٥٧/٤)

(٦٨) طبقات الشافعية للسبكي ٢٧٧/٧ .

(٦٩) رحلة ابن العربي الى المشرق ٨١ .

(٧٠) انظر : نفسه ، ٨٣ .

(٧١) انظر : نفسه ٨٠ ، ٨١ .

أنجبت مدينة بيت المقدس الكثير من العلماء الذين كان لهم دور فعال في الحركة الفكرية هناك ، فحدثوا ودرّسوا ، وصنفوا ، وشاركوا في الحركة الفكرية خارج بيت المقدس أيضا ، في دمشق ، وصور ، ومصر ، وبغداد ، وغيرها .

ومنهم الشيخ سلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسي المتوفي سنة ٤٨٠هـ ، وكان عالما مشهورا في بيت المقدس ، وقد أثنى عليه جماعة ، ومنهم أبو الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسي ، فقد ذكر أبو الفتح أن الشيخ سلامة « كان عديم النظر في زمنه ، لأجل ما خصه الله تعالى به من حضور القلب ، وصفاء الذهن ، وكثرة الحفظ » . وذكره شمس الدين محمد بن محمد الصوفي (٧٢) في كتاب له في تاريخ بيت المقدس ، وكان قد جاور هناك مدة طويلة (٧٣) . ولا شك قد تفقه على الشيخ سلامة العديد من طالبي العلم . وصنف مصنفات عديدة منها كتاب «الوسائل في فروق المسائل» (٧٤) ، وغيره . وشرح كتاب «المفتاح» (٧٥) في فروع الشافعية للشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد المعروف بابن القاص الطبري المتوفي سنة ٣٣٥هـ (٧٦) ، وهو من الكتب المهمة التي عني بها الشافعية .

(٧٢) سمع ببغداد وغيرها ، وحدث ، وسمع منه طالبو العلم . ورحل الى الحجاز حاجا ، وجاور في بيت المقدس كما تقدم ، وحدث . وله آثار في التصوف . توفي في بيت المقدس سنة ٦٨٢هـ (انظر : تاريخ علماء بغداد ١٩٩ - ٢٠٠) .

(٧٣) تاريخ علماء بغداد ٢٠٠ .

(٧٤) انظر : كشف الظنون ٢/٢٠٠٧ .

(٧٥) انظر : نفسه ٢/١٧٦٩ .

(٧٦) كان امام عصره ، وصاحب التصانيف المشهورة مثل : المفتاح ، وادب القاضي ، وغيرها . حدث ابن القاص بطبرستان . وكان ابن القاص يعظ الناس ، وسمي بذلك لوعظه الناس ، وقصة عليهم . وشهر بابن القاص وقيل انه ولي القضاء في طرسوس ، وتوفي فيها سنة ٣٣٥هـ أو ٣٣٦هـ (انظر : وفيات الاعيان ١/٦٨ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٥٩) .

ومنهم فقيه الشافعية أبو الفضل عطاء المقدسي ، وكان « شيخ الشافعية بالقدس الشريف فقها وعلمًا . وكان شيخ الصوفية طريقة . وكان شيخ الشافعية بالمسجد الأقصى » (٧٧) . وذكره أبو بكر بن العربي في رحلته ، وأضاف أن الشيخ أبا الفضل حضر إلى مجلس كان العلماء يتناظرون فيه ، وأنه سمع أبا بكر بن العربي ، وأشاد به ، وكان الامام الطرطوشي مشاركاً في ذلك المجلس ، فقال للشيخ أبي الفضل مينا اعجابه بابن العربي : «قيضت (٧٨) فراخنا ، فقال له عطاء : بل طارت» ، وكان ذلك حوالي سنة ٤٨٤هـ (٧٩) . ويدل حديث ابن العربي هذا على أن أبا الفضل كان من كبار العلماء في بيت المقدس ، وكان بمصاف الطرطوشي ، كما يدل على أن الحركة الفكرية في بيت المقدس ، وفي الأقصى بخاصة ، كانت نشطة ، فكانت تعقد فيه المناظرات ، والمجالس المختلفة ، وغير ذلك .

ومنهم الشيخ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم ابن محمد الأنصاري الرُمَيْلي (٨٠) الشافعي الحافظ ، وهو من أهل بيت المقدس ، ولد في أوائل سنة ٤٣٢هـ ، ونشأ ببلده ، ثم أكثر من الرحلة في سبيل العلم ، فرحل إلى بيت المقدس ، ومصر ، ودمشق ، وعسقلان ، وصور ، وطرابلس ، وبغداد ، والبصرة ، والكوفة ، وواسط ، وتكريت ، والموصل ، وغيرها . وسمع في كل منها ، وأخذ عن العلماء في كل بلدة توجه إليها . ووصفه بعضهم بأنه «أحد الجوالين في الآفاق ، وكان كثير النصب والسهر والتعب ، طلب وتغرب ، وجمع . وكان ثقة

(٧٧) طبقات الشافعية للسنوي ٤١٣/٢ ، الانس الجليل ٢٩٨/١ .

(٧٨) قيضت : شقت قشرة البيضة عنها .

(٧٩) رحلة ابن العربي إلى المشرق ٧٣ ، ٨١ .

(٨٠) وهو منسوب إلى الرميطة ، وهي قرية من قرى بيت المقدس (معجم البلدان ٧٣/٣) .

متحريا ورعا ، ضابطا» . ثم حدث أبو القاسم ، وسمع منه الكثيرون من طالبى العلم في بغداد ودمشق وبيت المقدس ، وغيرها (٨١) .

ومن هذا يبدو لنا أن أبا القاسم المذكور سَمِعَ في بيت المقدس . وقد ذكر تاج الدين السبكي أن أبا القاسم سَمِعَ من العديد من العلماء في بيت المقدس ، ثم حدث فيه (٨٢) . وشارك في الحركة الفكرية ، ولكن ذلك توقف في سنة ٤٩٢ هـ ، فقد أسره الفرنج في بيت المقدس في السنة المذكورة . ولما علموا أنه من علماء بيت المقدس ، طلبوا ألف مثقال لاطلاق سراحه ، فلم يمكن ذلك ، فقتلوه في تلك السنة . وكان واحدا من العلماء الذين استشهدوا على اثر الغزو الصليبي (٨٣) .

ومن الجدير بالقول أن أبا القاسم الرميلى لم يقتصر على الاشتغال بالحديث ، فقد اشتغل بالافتاء أيضا ، وذكر أن «الفتاوى كانت تجيئه من مصر والساحل ودمشق» (٨٤) .

واشتغل أبو القاسم بالتصنيف ، فقد ذكر أنه «شرح في تاريخ بيت المقدس وفضائله» ، وجمع فيه أشياء كثيرة ، ولكنه لم يكمله (٨٥) .

(٨١) انظر تذكرة الحفاظ ٤/١٢٢٩ ، العبر ٣/٣٣٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١/٣٨ ، الوافي بالوفيات ٧/١٩٧ ، طبقات الشافعية للسبكي ٥/٣٣٢ ، ٣٣٣ ، الانس الجليل ١/٢٩٩ ، شذرات الذهب ٣/٣٩٨ .

(٨٢) طبقات الشافعية للسبكي ٥/٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ٤/١٢٣٠ ، طبقات الشافعية لالاسنوي ١/٥٨٣ ، العبر ٣/٣٣٤ .

(٨٣) طبقات الشافعية للسبكي ٥/٣٣٣ ، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٣٠ ، طبقات الشافعية لالاسنوي ١/٥٨٣ ، العبر ٣/٣٣٤ ، الانس الجليل ١/٢٩٨ .

(٨٤) طبقات الشافعية للسبكي ٥/٣٣٣ ، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٣٠ ، الانس الجليل ١/٢٩٨ .

(٨٥) طبقات الشافعية للسبكي ٥/٣٣٢ ، طبقات الشافعية لالاسنوي ١/٥٨٣ ، الانس الجليل ١/٢٩٨ .

ومنهم الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي المعروف بابن القيسراني ، وهو منسوب الى قيسارية ، غير أنه ولد في بيت المقدس سنة ٤٤٨هـ ، ونشأ وطلب العلم فيه ، فسمع من العلماء . وكان أول سماعه سنة ٤٦٠هـ ، وقد سمع في بيت المقدس من الشيخ نصر المقدسي ، وأبي عثمان بن ورقاء ، وجماعة آخرين (٨٦) . ثم توجه ابن القيسراني الى بغداد في سنة ٤٦٧هـ طالبا العلم ، وسمع فيها من عدد من أشهر العلماء (٨٧) .

وعاد ابن القيسراني الى بيت المقدس ، ولم تحدد المصادر ، التي اطلعنا عليها ، تاريخ عودته ، ولكنها ذكرت أنه توجه الى مكة حاجا ، وأحرم من بيت المقدس . وسمع في الحجاز .

كان ابن القيسراني « أحد الرحالين في طلب الحديث » ، فأكثر من الرحلة ، وسمع في الكثير من مدن مصر والشام والعراق وفارس . وروى عن « كبار في سائر البلاد » كما يقول الصفدي (٨٨) .

وعاد ابن القيسراني الى بيت المقدس ، وأقام فيه (٨٩) ، وأصبح علما من أعلام الحركة الفكرية هناك ، وشارك فيها مشاركة فعالة . وحدث ابن القيسراني في بيت المقدس . وكان مشهورا بحفظه ومعرفته بعلوم الحديث . وقيل انه كتب « البخاري ، ومسلم ، وأبا داود ، وابن ماجه سبع مرات بالوراقة » كما روى السلفي عن ابن القيسراني نفسه (٩٠) .

(٨٧) تذكرة الحفاظ ١٢٤٢/٤ - ١٢٤٣ .

(٨٨) وفيات الاعيان ٢٨٧/٤ ، الوافي بالوفيات ١٦٦/٣ ، ١٦٧ ، تذكرة الحفاظ ١٢٤٢/٤ - ١٢٤٣ .

(٨٩) انظر : تاريخ الادب العربي - بروكلمان ١٧٩/٦ .

(٩٠) انظر : تذكرة الحفاظ ١٢٣٤/٤ ، المعبر ١٤/٤ ، ١٩٢ ، شذرات الذهب ١٨/٤ ، ١٨٢ .

وقد أشاد به السلفي المذكور ، فوصفه بأنه كان «ثقة عالما بالصحيح والسقيم ، حسن المعرفة بالرجال والمتون ، كثير التصانيف ، جيد الحفظ لازما للأثر ، بعيدا عن الفضول والتعصب» (٩١) .

ولم تقتصر مشاركته في الحركة الفكرية على هذا ، فقد أكثر من التصنيف في الحديث ، والأنساب ، والتصوف ، ومنها كتاب «أطراف الكتب الستة» في الحديث ، وكتاب «تذكرة الموضوعات» ، وهو أحاديث رواها الكذب والمذلسون ، وكتاب «الجمع بين الصحيحين» . وله في الأنساب كتاب «الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط» (٩٢) ، وله في التصوف كتاب «صفوة التصوف» (٩٣) . ونظم ابن القيسراني شعرا حسنا كما يذكر ابن خلكان ، ومجير الدين الحنبلي (٩٤) ، ولكنهما لم يرويا شيئا منه . وروى الصفدي والذهبي قليلا منه (٩٥) .

ذكرت المصادر أن ابن القيسراني توجه ثانية الى بغداد ، ولعله توجه اليها في سنة ٤٩٢هـ على اثر الاحتلال الصليبي . واستمر في بغداد الى أن توفي سنة ٥٠٧هـ هناك (٩٦) .

-
- (٩١) انظر : تذكرة الحفاظ ٤/١٢٤٣ - ١٢٤٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ١/٣٧٦ .
- (٩٢) انظر : وفيات الاعيان ٤/٢٨٧ ، تاريخ الادب العربي - بروكلمان ٦/١٨٠ .
- (٩٣) ذكر الصفدي هذا الكتاب ، وغض منه ابن الجوزي ، والصفدي ، ودافع عنه الذهبي . وذكر ابن خلكان أنه كانت لابن القيسراني معرفة بعلم التصوف وأنواعه ، وأنه صنف فيه هذا الكتاب .
- (انظر : الوافي بالوفيات ٣/١٦٧ ، وفيات الاعيان ٤/٢٨٧ ، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٤٣ - ١٢٤٤ ، كشف الظنون ٢/١٠٧٩ ، تاريخ الادب العربي - بروكلمان ٦/١٨٠) .
- (٩٤) انظر : وفيات الاعيان ٤/٢٨٧ ، الانس الجليل ١/٣٠٠ .
- (٩٥) أنظر : الوافي بالوفيات ٣/١٦٧ ، ١٦٨ ، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٤٤ ، ١٢٢٥ .
- (٩٦) وفيات الاعيان ٤/٢٨٧ ، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٤٥ ، الانس الجليل ١/٣٠٠ ، شذرات الذهب ٤/١٨ .

ومنهم أبو الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسي الشافعي ، وهو مقدسي المولد والنسأة ، فقد ولد في بيت المقدس سنة ٤٤٢هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، وسمع من أبي عثمان بن ورقاء وغيره ، وتفقه على الشيخ نصر المقدسي ، وسلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسي ، وغيرهما (٩٧) . واستمر أبو الفتح مشتغلا بالعلم في بيت المقدس دارسا ومدرسا ، الى أن توجه الى مصر سنة ٤٧٠هـ (٩٨) . وشارك في الحركة الفكرية ، في مصر ، مشاركة فعالة ، وقرأ عليه الكثير من طالبي العلم . واستمر أبو الفتح كذلك الى أن توفي سنة ٥١٨هـ (٩٩) .



كانت مدينة بيت المقدس محط الأنظار ، وقبلة الزائرين ، وملتقى العلماء ، ويبدو هذا جليا في قدوم الكثير من العلماء الى بيت المقدس ، والمشاركة في الحركة الفكرية هناك ، قبيل الاحتلال الصليبي . وقد تقدم الحديث عن الدور الذي قام به الغزالي في المدرسة الغزالية بالمسجد الأقصى ، في بيت المقدس .

ومن قدم الى بيت المقدس ، وشارك في الحركة الفكرية هناك ، شيخ الاسلام أبو الفرج عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي المقدسي ، ثم الدمشقي ، الحنبلي ، المتوفى سنة ٤٨٦هـ ، فقد ذكر أنه قدم الى الشام ، وسكن في بيت المقدس ، ونشر مذهب الامام أحمد بن

(٩٧) طبقات الشافعية للاستوي ٥٠/٢ - ٥١ ، الانس الجليل ٣٠٠/١ - ٣٠١ ، شذرات الذهب ٥٨/٤ .

(٩٨) طبقات الشافعية للسبكي ٩٤/٧ ، العبر ٤٢/٤ - ٤٣ ، طبقات الشافعية للاستوي ٥٠/٢ - ٥١ ، الانس الجليل ٣٠١/١ ، شذرات الذهب ٥٨/٤ .

(٩٩) ذكر أنه توفي سنة ٥٣٥هـ ، وهو غير صحيح . وانفرد ابن العماد بهذه الرواية ، وروى هذه الرواية الى جانب القول بأن وفاته كانت سنة ٥١٨هـ .

(انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٩٤/٧ ، تذكرة الحفاظ ١٢٧٠:٤ ، شذرات الذهب ٥٩/٤) .

حنبل فيما حوله • وكان أبو الفرج الشيرازي فقيها واعظا ، وكان « اماما عارفا بالفقه والأصول ، شديدا في السنة ، زاهدا عارفا ، عابدا ذا أحوال وكرامات (١٠٠) » وكان « وافر العلم ، متين الدين ، حسن الوعظ » كما يذكر ابن القلانسي (١٠١) • ولا شك أن أبا الفرج قد شارك مشاركة فعالة في الحركة الفكرية ، وكيف لا ، وهو الذي عمل على نشر المذهب الحنبلي في بيت المقدس ؟ وأغلب الظن أنه درّس ، وناظر ، وغير ذلك • هذا بالإضافة الى ما صنّفه من مصنفات عديدة في الفقه وأصوله ، وفي أصول الدين ، والتفسير (١٠٢) • ونسائل : هل درّس أبو الفرج هذه الكتب أو بعضها على الأقل ؟

لم تحدد المصادر الفترة التي قضاها أبو الفرج في بيت المقدس ، ولكنها ذكرت أنه أقام بدمشق أيضا ، ونشر المذهب الحنبلي فيها ، وتخرج بسنه الأصحاب (١٠٣) • وهكذا نشر أبو الفرج المذهب الحنبلي في القدس والشام ولم يكن يعرف قبله فيهما (١٠٤) • توفي بدمشق في سنة ٤٨٦هـ كما تقدم ، وقيل في سنة ٤٨٠هـ (١٠٥) •

ومنهم أبو بكر الطرطوشي (١٠٦) ، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ، وكان فقيها ، حافظا ، أدبيا • وقد تقدمت الاشارة اليه في حديث ابي بكر بن العربي عن الحركة الفكرية ودوره فيها ،

-
- (١٠٠) الذيل على طبقات الحنابلة ٦٩/١ ، الدارس ٦٦/٢ •
(١٠١) ذيل تاريخ دمشق ١٢٥ ، شذرات الذهب ٣٧٨/٣ •
(١٠٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٧١/١ ، الانس الجليل ٢٩٧/١ ، شذرات الذهب ٣٧٨/٣ ، الدارس ٦٦/٢ ، الاعلام ٣٢٧/٤ •
(١٠٣) شذرات الذهب ٣٧٨/٣ ، الانس الجليل ٢٩٧/١ ، الدارس ٦٦/١ •
(١٠٤) الذيل على طبقات الحنابلة ٦٩/١ ، ذيل تذكرة الحفاظ ١٨٢ •
(١٠٥) الذيل على طبقات الحنابلة ٦٨/١ ، الانس الجليل ٢٩٧/١ ، شذرات الذهب ٣٧٨/٣ ، الدارس ٦٦/٢ •
(١٠٦) ينسب الى طرطوشة ، وهي مدينة في آخر بلاد المسلمين بالاندلس •
(انظر : معجم البلدان ٣٠/٤ ، وفيات الاعيان ٢٦٥/٤) •

وكيف أن ابن العربي تلقى العلم عليه ، وكان الطرطوشي من العلماء العظماء المشهورين في بيت المقدس آنذاك (١٠٧) ، وأضاف ابن العربي قائلا : « مشيت الى شيخنا أبي بكر الفهري « الطرطوشي » رحمة الله عليه ، وكان ملتزما من المسجد الأقصى بموضع يقال له الغوير ، فلم نلقه بها ، واقتصصنا أثره الى موضع منه يقال له السكينة ، فالفيناها بها ، فشاهدت هديه ، وسمعت كلامه » (١٠٨) .

• وكان الامام الطرطوشي قد رحل من الأندلس الى المشرق سنة ٤٧٦هـ . ودخل بغداد والبصرة ، وتفقه على أبي بكر بن أحمد الشاشي وغيره . ثم سكن الشام مدة ، ودرس فيها ، وسمع منه الكثير من طالبي العلم (١٠٩) .

تقدم حديث ابن العربي عن الطرطوشي ومشاركته في الحركة الفكرية في المسجد الأقصى ، وذكر مجير الدين الحنبلي أنه قدم الى بيت المقدس (١١٠) ولم يحدد مجير الدين الفترة التي قضاها الطرطوشي في بيت المقدس ، ولكنه كان فيه حوالي سنة ٤٨٤هـ أو ٤٨٥هـ ، فقد ذكره ابن العربي كما تقدم . وكان ابن العربي قد رحل من بلده سنة ٤٨٤هـ . ويبدو أن الطرطوشي بقي في بيت المقدس سنوات أخرى ، فقد قضى ابن العربي فيه أكثر من ثلاث سنوات ، كما يبدو في قوله : « ٠٠٠ فدخلنا الأرض المقدسة ، وبلغنا المسجد الأقصى ، فلاح لي بدر المعرفة ، فاستنرت به أزيد من ثلاثة أعوام » (١١١) ، ولم يذكر ابن العربي أن شيخه الطرطوشي غادر بيت المقدس في تلك السنوات . وذكر الطرطوشي نفسه أنه كان نائما في بيت المقدس ، فبينما هو في جنح الليل ، سمع صوت حزين ينشد :

(١٠٧) رحلة ابن العربي الى المشرق ٦٥ .

(١٠٨) نفسه ، ٨٠ .

(١٠٩) وفيات الاعيان ٢٦٠/٤ ، ٢٦٤ ، الانس الجليل ٣٠١/١ ، شذرات الذهب ٦٢/٤ .

(١١٠) الانس الجليل ٣٠١/١ .

(١١١) رحلة ابن العربي الى المشرق ٧٩ .

أخوف ونوم ان ذا لعجيب تكلتك من قلب فانت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا لما كان للاغماض منك نذصيب
وقال : فايظ النوم . وأبكى العيون (١١٢) .

ثم توجه الطرطوشي الى الاسكندرية واستوطنها . وتوفي فيها
سنة ٥٢٠هـ (١١٣) .

وأما أبو بكر بن العربي ، فقد قدم الى بيت المقدس طالبا العلم كما
تقدم ، وذكر أنه بعد وصوله ، صلى بالمسجد الأقصى ، ثم عمد الى مدرسة
الشافعية ، التي تقدم ذكرها ، وحضر فيها مجلس العلم والمناظرة ،
وسمع من المشاركين في ذلك المجلس من أمثال القاضي يحيى بن علي المعروف
بابن الصائغ ، وقاضي القضاة مجلي بن جميع المخزومي ، وغيرهما من
العلماء (١١٤) . وبعد ذلك طلب ابن العربي من والده أن يذهب الى الحج
وحده ، فقد قرر ابن العربي أن يبقى في بيت المقدس طالبا العلم ، ويبدو
هذا واضحا في قوله مشيدا بالحركة العلمية في بيت المقدس : « اذا كانت
لك نية في الحج ، فامض لعزمك ، فاني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم
علم من فيها ، واجعل ذلك دستورا للعلم ، وسلمنا الى مراقبها » (١١٥) ،
ثم اجتمع ابن العربي بشيخه الطرطوشي ، وأخذ عنه كما تقدم . والتزم
ابن العربي القراءة في بيت المقدس ، معرضا عن الدنيا ، مواصلا الليل
بالنهار ، في سبيل العلم ، « وخصوصا بقبة السلسلة » كما ذكر ابن
العربي نفسه (١١٦) . وهكذا تفرغ ابن العربي للاشتغال بالعلم في بيت

(١١٢) وفيات الاعيان ٢٦٤/٤ ، شذرات الذهب ٦٣/٤ .

(١١٣) وفيات الاعيان ٢٦٣/٤ ، ٢٦٤ ، المغرب في حلى المغرب ٤٢٤/٢ ، الانس الجليل

٣٠١/١ ، شذرات الذهب ٦٢/٤ ، ٦٣ .

(١١٤) رحلة ابن العربي الى المشرق ٨٠ .

(١١٥) نفسه ، ٦١ ، ٨٠ .

(١١٦) نفسه ، ٨١ .

المقدس ، وأشار الى ذلك بقوله « ٠٠٠ » وأدخل الى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور التناظر بين الطوائف ، لا تلهينا تجارة ولا تشغلنا صلة رحم ، ولا تقطعنا مواصلة ولي ، وتقاة عدو «(١١٧) .

وذكر ابن العربي أن بيت المقدس كان مركزا لنشاط عدد من الفرق الاسلامية مثل الكرامية(١١٨) ، والمعتزلة ، والمشبهة ، كما كان ملتقى المتناظرين في الأديان الثلاثة : الاسلام ، النصرانية ، واليهودية ، وذكر انه حضر مجلسا عظيما ، تناظر فيه حبر اليهود المعروف بالتستري ، والطرطوشي(١١٩) . وبين أبو بكر بن العربي أنه اطلع على علوم ثلاثة : «علم الكلام ، وأصول الفقه ، ومسائل الخلاف» . وذكر أنه قرأ كتاب «المدونة» بالطريقة القيروانية التي تقوم على التمثيل ، والطريقة العراقية التي تقوم على الاستنباط واستخراج العلل ، فقد كانت الطريقة في بيت المقدس تقوم على الجمع بين الطريقتين«(١٢٠) .

ومن هذا يتبين لنا كيف أن الحركة الفكرية في بيت المقدس ، كانت تعج بالنشاط آنذاك كما تقدم . ولهذا أقام فيه أبو بكر بن العربي فترة طويلة تزيد على ثلاثة أعوام ، لم تنقطع فيها مناظرة ، ولا بطل التدريس(١٢١) .

(١١٧) رحلة ابن العربي الى المشرق ، ٨١ .

(١١٨) نسبة الى محمد بن كرام المتكلم ، وهي فرقة من الفرق الاسلامية ، ومحمد هذا هو أبو عبدالله السجستاني .

(انظر : الانس لجليل ٢٩٦/١) .

(١١٩) انظر : رحلة ابن العربي الى المشرق ٦٥ ، ٨١ - ٨٢ .

(١٢٠) نفسه ، ٦٥ ، ٨٢ .

(١٢١) نفسه ، ٦٧ .

وذكر أبو بكر بن العربي عددا من العلماء الوافدين الى بيت المقدس ،
وهم جماعة من علماءخراسان(١٢٢) ، وقد شاركوا في الحركة الفكرية ، وذكر
ابن العربي محاوره جرت بين ائدهم وهو الزوزني ، وبين عطاء المقدسي ،
واخرى بين الصاغانى ، والقاضي الريحاني شيخ مدرسة ابن عقبة
الحنفية(١٢٣) .

وهكذا تصور لنا رحلة ابن العربي وغيرها أن بيت المقدس ، قبيل
الاحتلال الصليبي ، كان مركزا فكريا من المراكز الفكرية المهمة في العالم
الاسلامي .

(١٢٢) رحلة ابن العربي الى المشرق ، ٦٥ . ٨٢ .

(١٢٣) نفسه ، ٨٣ - ٨٤ .

الحركة الفكرية في ظل الاحتلال الصليبي

ركدت الحركة الفكرية في بيت المقدس ، في ظل الاحتلال الصليبي ، ونكصت الى الوراء كما يقول رنسيما ، و « الواقع أن الحياة العقلية في الشرق الفرنجي كانت مخيبة للامال ، اذا جرت مقارنتها بما حدث في صقلية واسبانيا ، اذ كان متوقعا أن يثير الاتصال بين الفرنج وأهل الشرق النشاط العقلي » (١٢٤) . ومن الواضح أن رنسيما يقرر أن الحياة الفكرية كانت مخيبة للامال ، وبخاصة عند موازنة الاثار الناجمة عن الاتصال بين الفرنج مع المسلمين في صقلية واسبانيا من ناحية ، ومع المسلمين في الشام ومصر من ناحية أخرى ، وكيف أنها كانت مثمرة في الأولى ، مخيبة للآمال كما تقدم ، في الثانية . ومن الواضح أيضا ، أن الاتصال بين الأمم باعث من بواعث الحركة الفكرية ، ولكنه لم يكن كذلك ، ولم تنجم عنه حركة فكرية جلية ، في بيت المقدس ، في ظل الاحتلال الصليبي . ومن الجدير بالاشارة أن ما يهمننا هنا هو ما تركه ذلك الاتصال الناجم عن الاحتلال من أثر في الحياة الفكرية ، في بيت المقدس ، لا في الغرب الاوروبي .

ويعلل هذا الركود ، في الحياة الفكرية ، بالطبيعة الحربية التي كان الفرنج يضعونها في الدرجة الأولى ، فقد صرفتهم عن كل اهتمام آخر في غالب الأحيان ، وبخاصة في الرحلة التأسيسية الأولى ، بل في المراحل التالية ، حيث بقي الصراع مستمرا بين الطرفين ، منذ أن وطئت أقدام الغزاة الصليبيين أرض بيت المقدس ، الى أن أخرج منها آخر رجل منهم .

وذهب عدد من المستشرقين الى تعليل ركود الحركة الفكرية ، في مملكة بيت المقدس اللاتينية ، كما يسمونها ، بالانصراف الى الشؤون الحربية والتجارية ، وقالوا بأن المجتمع الفرنجي في الشرق « كان يتألف بأسره من العساكر والتجار » (١٢٥) ، ومن الطبيعي أن يكون الاهتمام منصبا في ظل

(١٢٤) تاريخ الحروب الصليبية - رنسيما ٨١٧/٣ .

(١٢٥) نفسه ٨١٧/٣ .

هؤلاء ، على النواحي الحربية والتجارية . وهذا ما كان حقا ، فالى جانب اهتمامهم بالنواحي الحربية ، كان الاهتمام بالنواحي التجارية في المرتبة الثانية ، بل في المرتبة الاولى عند فئات من الغزاة مثل الجنويين والبنادقة ، وغيرهم ، وهكذا فمن غير المحتمل أن تقوم حركة فكرية نشطة في ظل الاحتلال الصليبي .

ويؤيد هذا ما يذهب اليه « باركر » ، فقد ذهب الى أن الحروب الصليبية قد اتسمت « بطابع ظاهر ، ونتائج خاصة ، منها قيام العهد الفروسي ، وانشاء البنادقة والجنويين مؤسسات تجارية في الثغور السورية ، ونمو الروابط التجارية والتبشيرية في قلب آسيا» (١٢٦) . وخص « باركر» المملكة اللاتينية في بيت المقدس ، كما يسمونها ، بالحديث، فبين أنها كانت مستعمرة اقطاعية « استوعبت مهاجري الاقطاع » ، وأن الحروب الصليبية أنشأت أسواقا تجارية ارضاء لمطامع الموانئ الايطالية المتعاطمة القوة» (١٢٧) . وأضاف « باركر » ان مملكة الصليبيين في بيت المقدس ، آنذاك ، كانت « معسكرا حربيا خشنا ، لا روح فيه ، أو بكلمة أخرى معسكرا لا وقت كاف لديه للمساهمة في بناء الحضارة» (١٢٨) .

والى مثل هذا ، يذهب « أنتوني وبست » ، فقد ذكر أن الفرنج جاءوا غازين ، ولم يأتوا في سبيل طلب العلم ، وبقوا مستنفرين عسكريا في خلال اقامتهم في الشرق بعامة ، وفي بيت المقدس بخاصة (١٢٩) .

وينتهي عدد من الباحثين الغربيين ، الى أن الحياة العقلية لم يكن لها وجود حقيقي في بيت المقدس في ظل الحكم الصليبي ، فقد ذهب « باركر » الى أن الحياة الثقافية في بيت المقدس ، لم يكن لها وجود فعلي ، ويعجب

(١٢٦) تراث الاسلام ٧٦ .

(١٢٧) نفسه ٨٢ .

(١٢٨) نفسه ، ٩٢ .

(١٢٩) تاريخ الحروب الصليبية - أنتوني وبست ١٧٧ ، ١٧٨ .

من ذلك فيقول : « ان انعدام الامتزاج الثقافي أو بالأحرى عدم وجود أي مستوى من الثقافة ، مهما كان شكله في مملكة اللاتين ، لأمر يدعو الى العجب حقا » (١٣٠) .

ويصف « رنسيما » الحياة العقلية في الشرق في ظل الفرنج ، بأنها « ليست الا حياة عقلية لمستعمرة فرنجية ، اذ اختصت قصور الملوك والأمراء بسحر مختلط ، على أن عدد العلماء المقيمين بالشرق الفرنجي كان قليلا » . ويعلل ذلك بالحروب ، وسوء الحالة الاقتصادية ، والمتاعب المالية التي منعت من « قيام نظام لانشاء مراكز فعلية للدراسة ، حيث يجري ارتشاف علم الوطنيين والمجاورين » (١٣١) .

ويذهب «جوستاف لوبون» الى أن الجيوش الصليبية اذ كانت جاهلة للعلماء ، لم تكن تبالي بالمعارف والأصول (١٣٢) .

لقد كان العلماء والمتعلمون قلة بين الصليبيين ، كما يقول « أنتوني وبست » ، وكانت الحروب الصليبية «تمثل هجوماً جماعات جاهلة على عالم متحضر متمدن» (١٣٣) ، كما يقول الكاتب نفسه ، فهل يرجى تقدم علمي في ظل هؤلاء ؟ ومما يزيد الأمر سوءاً ، أن جزءاً من الفرنج كانوا يجهلون القراءة والكتابة ، ويفضون من شأنها ، وكانوا ينظرون الى قضية القراءة والكتابة على أنها « حيلة رهبانية لا تليق بالرجال ، فوقت الفارس لا يساعده على تعلم أمور مثل هذه ، كما أن الفرسان لا يحتاجون الى معرفة بذلك ، فيوسعهم دوماً استثمار كاتب ما لحفظ قيودهم . واستغرب الصليبيون عندما وجدوا النبلاء في البلاط البيزنطي يحسنون الكتابة اضافة الى

(١٣٠) تراث الاسلام ٩٢ .

(١٣١) تاريخ الحروب الصليبية - رنسيما ٣/٨٢٢ .

(١٣٢) حضارة العرب ٣٣٨ .

(١٣٣) تاريخ الحروب الصليبية - انتوني وبست ١٧٧ . ١٧٨ .

القراءة «(١٣٤) . واذا كان الفرنج كذلك ، فكيف تتحقق حركة فكرية في ظلهم ؟

لقد أخذ الغزو الصليبي الحركة الفكرية التي كانت تشيع في بيت المقدس ، قبيل الاحتلال ، وهذا ليس غريبا على اولئك الغزاة الذين لم يضعوا الاهتمامات العلمية نصب أعينهم ، كما تقدم . ومما يؤيد ما نحن بصدده ، أنهم أحرقوا المكتبات مثل مكتبة دار العلم في طرابلس (١٣٥) . وأحرقوا مكتبات أخرى عامة وخاصة ، ومنها مكتبة أسامة بن منقذ (١٣٦) ، وحولوا المسجد الأقصى الى كنيسة ، وسكن للفرسان ، ومستودع للذخيرة ، واسطبل ، وحولوا الصخرة المشرفة الى كنيسة ، علما بأن الأقصى والصخرة كانا مركز الحركة الفكرية في بيت المقدس قبل الاحتلال الصليبي . ولكن الغزاة أطفأوا شعلة الحركة الفكرية تلك بتحويلهم مراكزها الى غايات أخرى تعمل على خمود فكري دون شك . والى جانب ذلك كله ، فان استشهاد عدد كبير من المفكرين والأدباء نتيجة الغزو الصليبي ، وهجرة عدد كبير آخر الى مصر والشام . كانا سببين لهما أثر في ركود الحركة الفكرية ، في ظل الاحتلال الصليبي .

ان الفترة التي قضاها الصليبيون الغزاة ، في بيت المقدس ، تقارب قرنين من الزمان ، وكانوا طوال هذه الفترة « في معركة تنازع كبرى ، لهذا كانت الدولة الصليبية في حقيقتها دولة عسكرية دينية ليست لها رغبة مباشرة في التزود بالقيم العربية الاسلامية » (١٣٧) .



-
- (١٣٤) تاريخ الحروب الصليبية - أنتوني وبست ، ١٧٠ ، ١٧١ .
(١٣٥) خطط الشام ١٩١/٦ ، وانظر : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ١٩٣ - ١٩٤ .
(١٣٦) خطط الشام ١٩٢/٦ .
(١٣٧) علاقات بين الشرق والغرب - عبد القادر يوسف ٢٦٨ .

وعلى الرغم من هذا كله ، فإن الصليبيين ، في بيت المقدس ، اتصلوا بعدد من أهلها ، وتأثروا بهم ، ولكننا إذا ما تساءلنا عن التمازج الحضاري والفكري بين العناصر اللاتينية الغازية ، والعناصر الوطنية التي احتلت أراضيها ، فاننا لا نجد مثل ذلك التمازج الفعلي بسبب الحروب المتتالية. ولكن هذا لا يعني أنه لم يحدث تمازج مطلقا ، بدليل أن عددا من علماء الغرب أبدوا استعدادا للأخذ عن أهل البلاد ، وذلك بفضل «التماس اليومي مع مسلمي الشرق» ، ذلك التماس الذي جعل أولئك العلماء على استعداد « للاستعارة من فلاسفة العرب ، وقد بدأ بعضهم يدرس اللسان العربي » كما يقول « باركر » (١٣٨) . وفي هذا المجال ، يصوب باركر ما ذهب إليه أحد المستشرقين ، حيث قال الأخير بأنه « في أغلب نواحي التطور الثقافي نجد التماس القوي الأول الحاصل بين العناصر الشرقية والغربية ، قد تم على يد افرنج فلسطين ، وان هذا التمازج والاختلاط يجب اعتباره أولى الصلات المستديمة بين الشرق والغرب» . ويبين باركر أن ما ذهب إليه الأخير فيه مبالغة ، فقد تناسى اثر صقلية واسبانيا في هذا المجال (١٣٩) . وتتأكد تلك المبالغة عندما «راح يجعل من فلسطين المعبر الأكبر ، بل كاد يجعلها المعبر الوحيد» (١٤٠) ، كما تقدم . وهكذا يذهب باركر الى أن هذا التمازج لم يكن موجودا كما ينبغي ، وبخاصة اذا ما وازنا بينه وبين التمازج الثقافي في صقلية واسبانيا ، يقول « لم نر في سوريا ذلك التأثير الناجم عن امتزاج الثقافات كما نراه في صقلية ابان حكم روجر الثاني ، وفرديريك الثاني» . يضاف الى هذا «أن لاتين سوريا ، كما يقول باركر ، عجزوا تماما عن التشرب بثقافة الاسلام الغنية ، وهي بعد ثقافة أجنبية ، ولكنها قريبة في متناول أيديهم ، لا كما أفلح مسيحيو غرب البحر المتوسط في الاستفادة من ينابيع ثقافة قرطبة واسبانيا المسلمتين» . ويتابع باركر

• (١٣٨) تراث الاسلام ١١٤

• (١٣٩) نفسه ، ٨٩

• (١٤٠) انظر : نفسه ، ٨٩

فيبين أن مملكة بيت المقدس الصليبية كانت جحافل أجنبية تعسكر في الحصون والقلاع لا تكلف نفسها عبء انشاء صلة وثيقة بمزارعي حقول القرى السورية ، ولا بالصناع المهنيين الذين كانوا في المدن» (١٤١) . ومن هذا ، يستنتج باركر أن الفرنج في مملكة بيت المقدس لم يتعلموا «في ميدان الحضارة الا القليل من مدنية الاسلام» (١٤٢) .

ويذهب ادوارد جيبيون الى أن «أتباع النبي الأوفياء لم تغرهم قط أية رغبة بدراسة قوانين المشركين ولغتهم» كما يقول (١٤٣) . وهذا ما قلل من الامتزاج الثقافي بين الجانبين ، ومع العلم بأن اختلاطا قد حدث بينهما ، الا أن «احتياجات اللاتين الذهنية والفكرية ووسائل اشباعها ، فأمر جاء الاحساس به في بطء أكبر» ، ويبين جيبيون أن الصليبيين نظروا بلا مبالاة طائشة الى آداب اليونان والعرب . وكان من الممكن أن تنتقل بعض المعارف الأولية في الرياضيات والطب ، وفي الحياة العملية ، وفي الحساب ، كما أنه كان من الممكن أن تخلق الحاجة بعض المترجمين في انجاز أعمال التجار والجنود» . وواضح أن اللامبالاة التي اتسم بها الصليبيون في النظرة الى أدب العرب ، عملت على التقليل من التمازج بين الطرفين أدبيا ، كما عملت على ركود في الحركة الفكرية أيضا . ولم يكتف جيبيون بهذا ، فقد بين أن العقيدة الدينية هي التي أبعدت الصليبيين عن لغة القرآن (١٤٤) ، كما أبعدتهم عن العلوم التي تتصل به غالبا ، وقد أدى كل ذلك ، الى ضالة الامتزاج الثقافي الفعلي . ومن هذا يتضح أنه لم يكن لدى الصليبيين استعداد ملموس للتشرب بشيء من مدنية الاسلام .

ويحاول باركر تحليل الحركة الفكرية ووضعها ، في ظل الفرنج ، بتأخر الشرق فكريا وأدبيا آنذاك كما يقول . ويفصل ذلك قائلا : «دخلت

(١٤١) انظر : تراث الاسلام ٩١ - ٩٣ .

(١٤٢) نفسه ، ٩٥ .

(١٤٣) اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ٣/٢٦٥ .

(١٤٤) نفسه ، ٢٦٩ .

الفلسفة دور الاضمحلال منذ ابتداء الحرب الاولى الصليبية ، ونضب معين الشعر المحلي بتأثير معارك الحدود خلال القرن الثاني عشر ، وتوفي عدد من كبار الفلاسفة من أمثال الغزالي ، وابن سينا ، وغيرهما . ويضيف باركر قائلاً : «في أيام كهذه ، كان من الصعب جدا ، أن يتعلم لاطين الشرق على المسلمين ، أو أن تحملهم شؤون الحياة الجديدة التي يعيشون فيها الى ابداع أي شيء ، فلم يظهر شعر وفن جديدان في الأرض المقدسة . وكان المغنون الذين أرخوا ملاحم الحروب الصليبية، من أهل الغرب» (١٤٥) .

وعلى الرغم من هذا ، فانه قد تغيرت الأمور بعد استقرار الفرنج في البلاد ، واتصالهم بأهلها اتصالا أدى الى محاولة تذوق «ما عند العرب من آيات العلم والفن والادب ، فتطورت نظرتهم ، وهدأت ثورتهم ، وراحوا يقلدون ما عند الأهالي من مظاهر اجتماعية ، وأنظمة ادارية ، وعناصر فكرية» . وبهذا كانت الحروب الصليبية عاملا من العوامل التي أدت الى انتشار معارف الشرق في الغرب (١٤٦) .

ساعدت بعض العناصر السكانية المحلية الفرنج في المضمار الثقافي ، فالسريان كانوا عنصرا له «أكبر الفضل في تعريف الفرنج بالحركة الثقافية» وذكر أن عددا من السريان كانوا يتوسطون بين العلماء من العرب والافرنج (١٤٧) .

كان الطب مجالا من المجالات التي ساعد السريان الافرنج فيها ، ولم يقتصر الأمر في ذلك على السريان وحدهم ، فان العلماء المسلمين كانوا ذوي باع في هذا المجال ، وكان الافرنج يعتمدون في ذلك عليهم ، ويؤيد هذا أن بعض الباحثين الغربيين يذهب الى أن التطبيب كان من اختصاص الوطنيين ، ورجال الدين من اليعاقبة والسريان خاصة (١٤٨) .

(١٤٥) تراث الاسلام ٩٤ ، ٩٥ .
(١٤٦) انظر : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ١٩٤ ، ١٩٥ .
(١٤٧) نفسه ، ١٩٥ ، ١٩٦ .
(١٤٨) انظر : تاريخ الحروب الصليبية - رنسيان ٢/٨١٨ ، ٨١٩ ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ١٩٧ ، ٢٠٨ .

وأما أطباء الافرنج ، فقد كانوا جهلة في هذا المجال . وتكفي الإشارة الى ما ذكره أسامة بن منقذ عنهم في هذا المجال (١٤٩) . وبقي الأطباء الافرنج «تخيم على عقولهم أوهام ماضيهم بتعصباته الدينية حتى في المجالات الطبية» (١٥٠) .

وذكر أن الصليبيين أقاموا مستشفى بجانب كنيسة القديسة مريم ، وقيل انهم وسعوا المستشفى الذين كان الفاطميون قد أقاموه . ومن الجدير بالاشارة أن الفاطميين كانوا قد أنشأوا أول مستشفى في بيت المقدس ، وقد ذكره ناصر خسرو عندما زار بيت المقدس سنة ٤٣٧هـ ، وقيل ٤٣٨هـ (١٥١) .

وترجم عدد من الكتب الطبية من العربية الى اللاتينية . ومن الجدير بالقول أنه لم يترجم الا كتاب «كامل الصنعة الطبية» أو «المالكي» (١٥٢) ، وكتاب «سر الأسرار في طب العيون» (١٥٣) .

(١٤٩) انظر : الاعتبار ١٣١ - ١٣٣ .

(١٥٠) علاقات بين الشرق والغرب - عبد القادر يوسف ٢٦٨ .

(١٥١) انظر : سفرة ٥٧ ، المعاهد المصرية في بيت المقدس ٥ - ٦ ، المفصل في تاريخ القدس ١٤١ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، أهل العلم بين مصر وفلسطين ٧ ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ٢٣١ ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ٢٠٨ .

(١٥٢) ذكر حاجي خليفة أن مصنفه علي بن عباس المجوسي ، وقد صنفه العضد الدولة . ورتبه في عشرين مقالة ، عشرة في العلمي ، وعشرة في العملي ، وهو جامع لكل ما يحتاج اليه المتطبب ، كما يقول حاجي خليفة .
(انظر : كشف الظنون ١٣٨٠/٢) .

(١٥٣) ذكر فيليب حتي أن « فيليب الطرابلسي » عثر على مخطوطة عربية للكتاب في انطاكية . ومال الى القول بأن ارسطو وضع الكتاب لتلميذه الاسكندر المقدوني . ونقله فيليب الى اللاتينية ، وضمنه خلاصة الحكمة العملية ، وعلم البصريات .

وكانت قوانين مملكة بيت المقدس اللاتينية «تنظم حالة الأطباء في المستعمرات الافرنجية في البلاد المقدسة ، كما يسمونها ، ومن ذلك أنها لم تكن تسمح لأي طبيب وفد الى البلاد لمعاظة المعالجة فيها ، قبل أن يؤدي امتحانا يحضره أفضل أطباء البلاد في مجلس يرأسه الأسقف» (١٥٤) .

وأما في مجال القانون ، فقد حدث اهتمام يمكن تعليقه بوضع القوانين التي قامت عليها المملكة اللاتينية التي أقامها الصليبيون في بيت المقدس وظهر عدد من رجال القانون ، فقد تقدمت الاشارة الى تأليف كتب في القانون صنفها حنا الابليني ، وفيليب النافاري .

ويذكر رنسيومان أن كتابي الأولين هما «المصدران الرئيسيان اللذان يعالجان المسائل الدستورية» ، وكان كتاب الابليني «دراسة رائعة عن الفقه الدستوري ، كتبها كونت يافا» ، ويضيف رنسيومان أن «قوانين المحكمة البرجوازية التي جرى تصنيفها بين سنتي ١٢٤٠ و ١٢٤٤م ، تصنف الاجراءات التجارية» (١٥٥) . وأما كتاب النافاري ، فان «أكثر ما اهتم به الاجراءات الدستورية» (١٥٦) .

ومما يذكر في هذا المجال ، أن الملك «بلدوين الثالث» ، قد درس التاريخ والقانون ، وأن الملك «أمريك الأول» كان واسع الامام بالأمور القانونية (١٥٧) .

-
- = وذكر حاجي خليفة أن الكتاب ترجم من اليونانية الى العربية في زمن المأمون .
واصله تأليف حكيم الفه في تدبير الممالك والرعية والعسكر للاسكندر .
(انظر : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ٢٠٩ ، ٢١٠ ، كشف الظنون ٢/٩٨٠) .
- (١٥٤) انظر : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ٢٠٨ .
(١٥٥) تاريخ الحروب الصليبية - رنسيومان ٣/٨٠٨ ، ٨٠٩ .
(١٥٦) نفسه ٣/٨٠٨ ، ٨٠٩ .
(١٥٧) نفسه ٢/٥٨٤ ، ٥٨٦ .

وأما في العلوم ، فلم يحدث تقدم ملموس ، ويؤيد هذا ما ذهب اليه جوستاف لوبون في حديثه عن عدم وجود العالم من الفرنج ، غير أننا نجد باحثا من الغربيين يذهب الى أنه «كما كان للشريعة وللأدب والتاريخ ، من شغف بها من الافرنج ، كذلك كان عدد كبير من النبلاء بينهم ، قد شغفوا بالعلوم الدقيقة» (١٥٨) . ومما يقلل من قيمة هذا القول ، أن قائلة يتحدث عن اهتمام بعلم الرياضيات ، وعلم النبات ، في الأندلس أولا ، ثم في دمشق (١٥٩) ، ولا نجد صدى لهذه الاهتمامات أو غيرها ، في بيت المقدس . ومع هذا كله ، فقد كان الشغف الذي يتحدث عنه الباحث غير واضح ، فلو كان ذلك الشغف قويا كما يتحدث عنه الباحث المذكور ، لظهرت له نتائج ملموسة في هذا المجال .

وأما في مجال الفلسفة ، فلم يقبل الفرنج «على هذا النوع من الدراسة ، بدليل قلة ما ورد عنها في كتبهم لذلك العهد» (١٦٠) ، ولم يطلب الفرنج الفلسفة الا في حدود ضيقة ، مثلما فعل «بلدوين الاول» عندما طلب من الأسقف «غليوم» أن يسرد على مسمعه البراهين والحجج التي تدل على خلود النفس» (١٦١) . ويؤيد هذا ما يذهب اليه باركر ، في حديثه عن الفلسفة ، في ظل الاحتلال الصليبي ، فقد بين أن الفلسفة كانت في «دور الاضمحلال منذ ابتداء الحرب الصليبية الأولى» كما تقدم .

وفي التاريخ ، ظهر عدد من المؤرخين الذين أرخوا للحروب الصليبية ، وصنف في هذا المجال العديد من المصنفات ، ولكن مصنفها صنفوها في الغرب ، باستثناء تاريخ وليم الصوري ، وتاريخ أحد المذيلين عليه (١٦٢) .

(١٥٨) انظر : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ٢٠٣ .
(١٥٩) انظر : تراث الاسلام ٩١ ، ١٠٥ ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١٦٠) انظر : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ٢٠٩ .

(١٦١) انظر : نفسه ، ٢١٠ .

(١٦٢) تاريخ الحروب الصليبية - درنسيان ٨١٩/٣ .

ولذلك ، فلا مجال للحديث عن الكتب التي وضعت في الغرب ، لأن هذا البحث يقوم على تصوير بعض معالم الحركة الفكرية في بيت المقدس .

وذكر أن كتاب المؤرخ «أرنول» تذييلا لكتاب وليم الصوري . وقد تحدث فيه عن مملكة بيت المقدس منذ سنة ١١٨٤ حتى سنة ١٢٢٧م . وكان هذا المؤرخ قد عاصر الأحداث ، و «شهد السنوات الدقيقة الحرجة من حياة مملكة بيت المقدس ، زمن صلاح الدين . وشهد معركة حطين ، واشترك فيها ، ثم لاذ بالفرار الى بيت المقدس مع بطريقها هرقل» . ولما حرر صلاح الدين بيت المقدس ، رحل أرنول الى حصن قرب الرملة ، وهناك عكف على تأليف حولياته (١٦٤) .



تعددت اللغات المستخدمة ، في مملكة بيت المقدس ، آنذاك ، نظرا لتعدد الجنسيات المشتركة في الحروب الصليبية ، ومنها : اللاتينية ، والفرنسية ، والايطالية .

وكانت اللاتينية «لغة الكنيسة والدولة أحيانا» ، وكانت الفرنسية «لغة البارونات العامة» ، وكانت الايطالية «لغة التجارة» (١٦٥) . وأما اللغة العربية ، فكانت لغة أهل البلاد ، وكان هؤلاء يخاطبون الفرنج بواسطة الترجمة عند الحاجة .

(١٦٣) انظر : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي ٤٥ .

(١٦٤) انظر : تاريخ الحروب الصليبية - رنسيان ٧٧٥/٢ ، المؤرخون لصلاح الدين الايوبي ٥٢ - ٥٣ .

(١٦٥) سورية - الأب لامنس ٢٦١/١ ، تراث الاسلام ١١١ ، ١١٢ ، العلاقات الاجتماعية ... النقاش ١٩٧ .

ثم أقبل بعض الفرنج على تعلم اللغة العربية ، فقد أشار «غروسيه» الى الاقبال على تعلمها ، من قبل عدد من النبلاء والسادة والمولدين ، وذلك لأغراض التعليم ، والتفاهم مع الوطنيين ، والتجارة ، وفي ذلك يقول: «كان الكثيرون من سادة الاقطاعات ، فضلا عن المولدين ، قد أتقنوا اللغة العربية ، وذلك للتفاهم مع أتباعهم من البلديين ، وللادارة ، والتجارة» (١٦٦) . وممن أقبلوا على تعلم العربية : «رينالد» سيد صيدا ، فقد ذكر أنه كان له ولع خاص بالآداب العربية ، وذكر بهاء الدين بن شداد أن صاحب صيدا المذكور «كان يعرف العربية ، وعنده اطلاق على شيء من التواريخ ، وبلغني أنه كان عنده مسلم يقرأ له ، ويفهمه» (١٦٧) . وكان «همفري» سيد تبين «خير من يجيد اللغة العربية في جيش الفرنج ، وكان همفري المذكور ، الترجمان في المفاوضات التي دارت بين الصليبيين والملك العادل الأيوبي سنة ١١٩٢م . وكان الأخ «ايفنز» ، من جماعة الاخوان البشريين ، يعرف اللسان العربي (١٦٨) ، وكان «هيو» حاكم قيصرية ، أحد البارونات البارزين في المملكة اللاتينية ، في بيت المقدس ، يعرف العربية (١٦٩) ، وغير ذلك .

وتبدو اللغة العربية مستخدمة في الأغراض التجارية كما تقدم ، واستخدمت العربية في سك النقود ، ففي عهد لويس التاسع ، يشير أحد المستشرقين الى أن «الافرنج كانوا يستخدمون ، قبل ذلك ، عملة على النسق الاسلامي ، منقوش عليها بالعربية اسم الرسول ، والسنة الهجرية ، وذلك ضمانا لاستمرار حركة المعاملة والتبادل التجاري مع جيرانهم المسلمين» . ومن هذا القول ، يتضح ارتباط استعمال العربية

(١٦٦) انظر : العلاقات الاجتماعية . . . النقاش ١٩٧ .

(١٦٧) النوادر السلطانية ٨٠ .

(١٦٨) القديس لويس (مذكرات جوانفيل) ٢٠٠ .

(١٦٩) انظر : المؤرخون المعاصرون لصالح الدين الايوبي ٤٨ .

بالعامل الاقتصادي ، وهو من أهم العوامل عند الجاليات الإيطالية وغيرها .
ومن الممكن القول بأن هدف التجار البنادقة من استخدام الكتابة العربية،
كان لدوافع اقتصادية بحتة، . وقد عمدت الجاليات الإيطالية الى كتابة
التاريخ الميلادي ، وبعض العبارات النصرانية باللغة العربية عند سك
العملة ، وذلك تهربا من الأوامر البابوية التي أوصت بعدم التعامل مع
المسلمين(١٧٠) .

ولم يقتصر الأمر على اقبال الفرنج على تعلم العربية ، فقد أقبل بعض
الوطنيين في الشام على تعلم اللغة اللاتينية ، من أمثال الحكيم «تأدرس
الأنطاكي» وغيره(١٧١) . وازاء هذا ، فلا شك أنه قد انتقلت ألفاظ من
العربية الى اللغات الأخرى ، كما انتقلت ألفاظ من تلك اللغات الى
العربية . ويؤيد هذا أننا نجد ألفاظا عربية في اللغات الأوروبية الغربية ،
في مجالات التجارة ، والملاحة ، والفنون ، والصناعات ، والعلوم(١٧٢) .

يذكر جوستاف لوبون أنه «من الطبيعي أن تقتبس فرنسا وإيطالية
من العرب ، الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن من
الميلاد ، أكثر اصطلاحات البحرية(١٧٣) ، وأن تقتبس جيوشها ألقاب
ضباط جيوش المسلمين ، وتعابير وغي الحرب ، واستعمال بارود المدافع
والقنابل والحراقات والقذائف ، وأن تؤخذ عن حكومة بغداد ، وحكومة
قرطبة التعابير الادارية(١٧٤) ، وأهم من ذلك كله اصطلاحات العلوم(١٧٥) ،
وغير ذلك .

(١٧٠) انظر : العدوان الصليبي على بلاد الشام ٣٢٧ - ٣٣٠ .

(١٧١) انظر : العلاقات الاجتماعية ٠٠٠ النقاش ١٩٨ .

(١٧٢) انظر : نفسه ، ١٩٧ .

(١٧٣) انظر : حضارة العرب - لوبون ٤٤١ .

(١٧٤) انظر : نفسه ، ٤٤١ .

(١٧٥) انظر : نفسه ٤٤١ - ٤٤٢ .

ويذكر باركر عددا من الألفاظ الغربية التي تسربت الى اللغة العربية(١٧٦) وعددا من الألفاظ العربية التي تسربت الى اللغات الأوروبية(١٧٧) . ويضيف باركر قائلا : «أما الكلمات العربية التي دخلت اللغات الغربية فأكثر بكثير» .

لقد كانت اللغة العربية «ذات أثر عميق في اللغات اللاتينية ، وقد ألف «دوزي» وغيره معجما في الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية(١٧٨) . واذا أغنت علوم الشرق اللغة اللاتينية ، كما أغنت الآداب اللاتينية عن طريق صقلية واسبانيا . فكذلك أغنت قصص الرحالة وتواريخ الصليبيين عدة نواح أخرى من الحياة الأوروبية(١٧٩) .

* * *

أبدى عدد من قادة الافرنج اهتماما بالآداب العربية ، فقد تقدم القول أن «رينالد» سيد صيدا ، كان له ولع خاص بالآداب العربية . واهتم عدد من رجال الكنيسة بالآداب أيضا ، ومنهم «جيمس فيتري» أسقف عكا ، فقد قيل انه كان يهتم «بما كان يجري حوله من حياة علمية»(١٨٠) . وذكر رنسيمان أن الأسقف المذكور كتب رسائل ، في الشرق ، عن الحملة الصليبية الخامسة ، ووصف بيت المقدس(١٨١) .

واستوحى عدد من الشعراء والكتاب ، الآداب العربية ، وتاريخ الحروب الصليبية ، فظهرت قصائد عديدة تتحدث عن الحروب الصليبية وأحداثها وأبطالها ، وانتصاراتها ، وهزائمها ، وجيوشها ، وأسلحتها . وأنشئت رسائل وخطب ، وظهرت كتب في الأدب وغيره .

(١٧٦) انظر : تراث الاسلام ٩٦ .

(١٧٧) انظر : نفسه ٩٦ - ٩٨ .

(١٧٨) حضارة العرب - لويون ٤٤١ .

(١٧٩) تراث العصور الوسطى ٢٣٩/١ .

(١٨٠) تاريخ الحروب الصليبية - رنسيمان ٨١٨/٣ .

(١٨١) نفسه ٨٠٦/٣ ، ٨٠٩ .

قسم رنسيماان الانتاج الأدبي ، في الشرق الأدنى في عصر الحروب الصليبية الى ثلاثة أقسام : الحوليات والتواريخ ، وكلها باستثناء تاريخ الصوري ، وذيله الذي صنغه أرنول ، ألفها رجال نشأوا بالغرب ، وجروا على تقليد الكتابة التاريخية هناك . وثانيهما : «الانتاج الضخم من المؤلفات القانونية ، اذ اشتد اهتمام النزلاء وسلالتهم بالأمر القانونية ، وحرصوا على تدوين آرائهم وأحكامهم القضائية الى حد لا مثيل له في الغرب» ، غير أن قوانين مملكة بيت المقدس اللاتينية ، كما يقولون ، ومؤلفات يوحنا الابليسي ، وفيليب النافاري القانونية ، استندت الى القانون في الغرب(١٨٢) . وهذا الذي ذهب اليه رنسيماان لا يمكن قبوله ، فاننا لا نستطيع أن نعد الكتب التاريخية والقانونية انتاجا أدبيا . ولكننا نستطيع أن نعدّها انتاجا فكريا . ومن الانتاج الأدبي الذي يتحدث عنه رنسيماان ، القسم الثالث الذي أشار اليه ، وهو «الشعر القومي والعاطفي» . وذكر رنسيماان أنه توجه مع الحملات الصليبية عدد من الشعراء الغنائيين(١٨٣) .

وقد تنوع هذا الشعر بين الشعر القومي ، كما تقدم ، والرثاء ، والحنين ، وغير ذلك من الفنون الشعرية ، ولكنه لم يقل في بيت المقدس ، وقيل جله في الغرب ، وهو مما لا يدخل في هذه الدراسة .

(١٨٢) تاريخ الحروب الصليبية - رنسيماان ٢/٨١٩ .

(١٨٣) انظر : نفسه ٣/٨٢٠ ، ٨٢١ .

الفصل الأول

عوامل الحركة الفكرية في بيت المقدس

عاشت بيت المقدس حياة فكرية نشطة بعد زوال الاحتلال الصليبي ، فقد تعددت روافد تلك الحياة الفكرية ، وتمثلت في انشاء الكثير من المراكز العلمية ، من مدارس ، ومساجد ، ومكتبات ، وبیمارستانات (١) ، وزوايا ، وخوانق ، ورباطات ، وغيرها .

وفي تلك المراكز العلمية ، درست العلوم المختلفة : العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، وعلم التاريخ ، والعلوم العقلية والعملية .
وظهر الكثير من المفكرين والأدباء ، ووضعت مصنفات كثيرة في مختلف مجالات العلوم . ونال التراث اهتماما كبيرا .

وتمثلت الحياة الفكرية أيضا ، في الفنون الأدبية من شعر وكتابة وخطابة ، وغيرها . وسنفصل القول في ذلك كله في كتاب آخر .

ويصور العماد الأصفهاني بعض معالم الحياة الفكرية في بيت المقدس بعد تحريرها من الاحتلال الصليبي ، كما يبدو في كتاب عمادي كتبه الى ديوان الخلافة في بغداد مبشرا بتحرير بيت المقدس ، يقول : « فما ترى الا قارنا باللسان الفصيح ، وراويا للكتاب الصحيح ، ومتكلما في مسألة ، ومتفحصا عن مشكلة ، وموردا لحديث نبوي ، وذاكرا لحكم مذهبي ، وسائلا عن لفظ لغوي ومعنى نحوي ، أو مقرضا بقريض ، أو معرضا بتصريح أو مصرحا بتعريض ، أو ناشدا بنشيد ، أو مسمعا بتغريب وتغريد» (٢) .

ومن الواضح أن هذا القول يبين النشاط الفكري ، في مجالات علمية عديدة : قرآن وقرآيات ، وتفسير ، وحديث ، وفقه ، ولغة ، ونحو ، وشعر ، وغير ذلك من المجالات العلمية والأدبية .

(١) بيمارستان : كلمة فارسية ، وتتكون من « بيمار » بمعنى مريض ، و « ستان » بمعنى المنزل أو المكان ، أي مستشفى . (انظر : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ٤) .

(٢) الفتح القدسي ١٥١ .

ويؤكد العماد الأصفهاني هذا النشاط الفكري ، في حديثه عن الاستعداد لأول خطبة تلقى في المسجد الأقصى بعد تحريره من الاحتلال ، اذ يقول : «وتذاكر العلماء ، وتناظر الفقهاء ، وتحدث الرواة ، وروى المحدثون ، ولخص المفسرون ، وفسر الملخصون ، وانتدى الفضلاء ، وانتدب الخطباء ، وكثر المترشحون للخطابة ، المتوشحون بالاصابة ، المعروفون بالفصاحة ، الموصوفون بالحصافة ، فما فيهم الا من خطب الرتبة ، ورتب الخطبة ، وأنشأ معنى شائعا ، ووشى لفظا رائقا» .
ويضيف العماد مبينا أن عددا من أولئك الأدباء ، عرضوا عليه ما أنشأوه ، وطلبوا تقويمه ، ليفوز كل واحد منهم ببغيته ، وهي أن يلقي أول خطبة في الأقصى بعد تحريره (٣) .

لا شك أن قول العماد هذا ، يعكس عددا من معالم الحياة الفكرية ، في بيت المقدس ، بعد التحرير ، ويدل على النشاط الأدبي والفكري المتمثل في المجالس العلمية والأدبية ، ومناظرة العلماء والأدباء ، والاهتمام بالحديث والتفسير ، والتركيز على الخطابة . هذا بالاضافة الى أن هذا القول ، يعكس لنا أن أعدادا كبيرة من الأدباء والفقهاء والعلماء ، شاركت في ذلك النشاط الفكري ، وهو ما سنتبينه بالتفصيل في الصفحات المقبلة .

ومما يؤكد حديث العماد هذا ، ما ذكره عبد اللطيف البغدادي (المتوفي سنة ٦٢٣هـ) مصورا بعض معالم الحياة الفكرية في بيت المقدس ، عندما قدم إليها ، حيث يبين أن أول ليل حضره في بيت المقدس ، وجد مجلسا حافلا بأهل العلم ، وأصحابه «يتذاكرون في أصناف العلوم» ، وكان صلاح الدين الأيوبي بينهم «يحسن الاجتماع والمشاركة ، ويتفقه ، ويأتي بكل معنى بديع ، ويعمل أصحابه على ترتيب الأمور في بيت المقدس» (٤) . وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على شيوع النشاط الفكري كما

(٣) انظر : الفتح القدسي ١٢٨ ، اتحاف الأنصا - السيوطي ، ورقة ٧١ ، ٧٢ ، اتحاف

الأنصا - الهيتمي ٢١١ .

(٤) عيون الانبياء في طبقات الاطباء ٦٨٨ .

تقدم ، ويدل على مشاركة السلطان للعلماء ولأدباء . لقد كان صلاح الدين من «بناة النهضة العلمية وحماة أربابها» (٥) . وكيف لا يكون الأمر كذلك ، ورجال صلاح الدين من أشهر الأدباء والمؤرخين ، وغيرهم ، فالقاضي الفاضل وزيره ، والعماد الأصفهاني كاتبه ، وابن شداد كاتبه الخاص ومؤرخه .

ويضيف البغدادي متحدثا عن اجتماعه بهم ، وتذاكره في مسائل من علم الكلام مع العماد الأصفهاني ، وفي مسائل لغوية وأدبية مع القاضي الفاضل (٦) .

ومما يؤكد تشجيع صلاح الدين للأدباء والعلماء ، المكانة التي حظي بها عبد اللطيف البغدادي عنده ، فقد حظي بتقدير صلاح الدين ، وكتب له راتبا شهريا مقداره ثلاثون دينارا . وشاركه أولاده في ذلك ، فكتبوا رواتب أخرى للبغدادي المذكور حتى تقرر له مائة دينار شهريا (٧) . وكان للبغدادي دور ملموس في الحياة الفكرية في بيت المقدس ، سنتبينه فيما بعد .

وهكذا ، نشطت الحياة الفكرية في بيت المقدس ، في ظل صلاح الدين ، بعد التحرير من ربة الاحتلال سنة ٥٨٣ هـ . وأنشأ صلاح الدين المراكز العلمية والطبية ، وشاعت في عهده المجالس الأدبية ، والمحاورات والمناظرات . وشجع العلماء والأدباء كما يتضح فيما تقدم من أقوال العماد الأصفهاني ، والبغدادي ، والسيوطي .

ويؤكد تشجيعه الحركة الفكرية قول العماد ، متحدثا عن دور صلاح الدين ، مبينا أنه لم يترك «قارئا الا اقراه ، ولا راويا الا أشبعه وأرواه ، ولا حافظ حديث الا حفظه من الحدثنان ، ولا محسن صنعة الا اصطنعه

(٥) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢/٢٤٠ .

(٦) عيون الانباء ٦٨٧ .

(٧) نفسه ، ٦٨٨ .

بالاحسان ، ولا ناظم مدائح الا نظم له المنائح ، ولا موافيا بقريض الا وفى قروضه ، وأعجز عن القيام بحمله نهوضه» (٨) .

ويؤيد هذا ما ذكره ابن شداد في قوله متحدثا عن صلاح الدين : «أقام - رحمه الله - يجمع الأموال ، ويفرقها على الأمراء والعلماء» . والفقهاء والشعراء ، وغيرهم . وقد أنفق في ذلك مائتين وعشرين ألف دينار (٩) . وروي أنه قيل له : «لو ادخرت هذا المال لأمر يحدث ، فقال : أملني بالله قوي» (١٠) .

ويصور ابن شداد أثر التحرير في الحركة الفكرية ، ويبين أن بيت المقدس أصبحت تستقطب أعلام الفكر والأدب ، فبعد أن من الله على المسلمين بالنصر المبين ، وقد كان فتوحا عظيما شهده من أهل العلم خلق عظيم ، ومن أرباب الخرق والطرق والزهد عالم ، وذلك أن الناس لما بلغهم ما يسره الله تعالى على يد - صلاح الدين - من فتوح الساحل ، وشاع قصده القدس قصده العلماء من مصر والشام ، بحيث لم يتخلف معروف عن الحضور (١١) .

وجلس صلاح الدين مجلسا عظيما بعد تحقيق أمل المسلمين . وفي ذلك المجلس ، عمل على انشاء المدرسة الصلاحية ، والخانقاه الصلاحية ، وذلك بعد أن «فاوض جلساءه من العلماء والأبرار والأتقياء والأخيار ، في مدرسة للفقهاء الشافعية ، ورباط للصلحاء والصوفية» ، وتم ذلك ، ووقف عليهما أوقافا كثيرة . «وارتاد أيضا مدارس للطوائف ليضيفها الى ما أولاه لأهل العلم والخير والدين والصلاح من العوارف» . وفعل صلاح

(٨) الفتح القدسي ١٨٢ .

(٩) النوادر السلطانية ٨٢ ، الكامل في التاريخ ٥٥٣/١١ .

(١٠) الانس الجليل ٣٤١/٢ ، وانظر : مفرج الكروب ٢٤٢/٢ .

(١١) النوادر السلطانية ٨٢ ، وفيات الاعيان ١٩٧/٧ .

الدين ذلك في سبيل العلم من ناحية ، والتصوف باعتباره مظهرا من مظاهر الحركة الفكرية ، من ناحية أخرى (١٢) .

وأقام صلاح الدين البيمارستان في بيت المقدس ، فقد ذكر ابن شداد أن صلاح الدين طلب منه أن يبقى في بيت المقدس لعمارة البيمارستان ، وإدارة المدرسة الصلاحية (١٣) . وقد سبقت الإشارة الى أن الفاطميين أنشأوا أول بيمارستان في بيت المقدس . وكان الصليبيون قد وسعوا هذا المستشفى ، وهو المستشفى (الاسبتار) الذي وقفه صلاح الدين على الرباط والمدرسة كما تقدم (١٤) .

أشاد المؤرخون بهذا البيمارستان ، ووصفوه بأنه مستشفى عظيم ، وذكروا أن صلاح الدين وقف عليه أوقافا يصرف منها لتسيير أموره ، «ووضع فيه ما يحتاجه من الأدوية والعقاقير الخزيرة» (١٥) . وقد أدى هذا البيمارستان دورا كبيرا آنذاك ، تمثل في معالجة الجرحى والمرضى ، وتوزيع الأدوية دون مقابل (١٦) ، وعمل فيه عدد من أشهر الأطباء من أمثال أبي الفضل رشيد الدين بن علي الصوري ، ويعقوب بن صقلاب المقدسي ،

(١٢) انظر : الفتح القدسي ١٤٥ ، وفيات الاعيان ٢٠٧/٧ ، الكامل ٥٥٣/١١ ، ٨٧/١٢ ،
مرآة الزمان ج ٨ ق ٥٩/٢ ، السلوك ج ١ ق ٩٧/١ ، اتحاف الأخصا - السيوطي ،
ورقة ٧٦ ، ٧٧ ، اتحاف الأخصا - الهيثمي ، ورقة ٢٢٣ ، الأنس الجليل ٣٤٠/٢ ، ٣٤١ ،
(١٣) خطط الشام ١٣٦/٦ .

(١٤) يقال : ان البيمارستان اسسه الفاطميون ، ثم وسعه الصليبيون ، ثم وسعه صلاح الدين . وذكر أن هذا البيمارستان « انهار كثيرا من المباني مع الايام ، وأن الزلزال الذي حدث عام ١٤٥٨م أتى على البقية الباقية من أنقاضه » ، واغلب الظن أن هذا البيمارستان استمر يؤدي دوره حتى القرن الثامن عشر الميلادي . (انظر : المفصل في تاريخ القدس ١٧٨ ، ١٧٩ ، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والاقصى المبارك ٣١) .

(١٥) انظر : الأنس الجليل ٣٩١/١ ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ٢٣١ .

(١٦) انظر : المفصل في تاريخ القدس ١٧٨ .

وغيرهما . وكان الأطباء يأخذون مرتباتهم من وقف البيمارستان المذكور
كما تقدم .

كانت البيمارستانات مفخرا عظيما من مفاخر الاسلام ، ومنها
البيمارستان المذكور في بيت المقدس (١٧) .

وعني صلاح الدين بالمسجد الأقصى ، والصخرة الشريفة ، بعد
عودة الاسلام اليهما ، كما قيل ، فقد عين خطيبا في المسجد الأقصى ، وعين
في الصخرة «اماما من أحسن القراء تلاوة ، وأزينهم تلاوة ، وأنداهم صوتا ،
وأسماهم في الديانة صيتا ، وأعرفهم بالقراءات السبع بل العشر ، وأطيبهم
في العرف والنشر» . ووقف عليه وقوفا عديدة تمثلت في دار وأرض
وبستان (١٨) .

وحمل صلاح الدين المصاحف الى الأقصى والصخرة ، كما يبدو في قول
العماد الأصفهاني : « وحمل اليها ، والى محراب المسجد الأقصى ، مصاحف
وختمات ، وربعات معظمات ، لا تزال بين أيدي الزائرين على كراسيها
مرفوعة ، وعلى أسرتها موضوعة» . ورتب صلاح الدين للقبّة «خاصة ،
وللبيت المقدس عامة ، قومة يقومون بأمرها ، ويسرون مصالحها ، وكانوا
من الرجال العارفين » كما يقول العماد (١٩) .

وعاد المسجد الأقصى ، والصخرة الشريفة ، مركزي علم وعبادة ،
ودنا المسجد الأقصى للراكن والساجد ، وامتلا ذلك الفضاء بالأتقياء ،
وطنت أوطانه بقراءة القرآن، ورواية الحديث، وذكر الدروس (٢٠) . وهكذا

(١٧) رحلة ابن جبير ٢٥٦ .

(١٨) الفتح القدسي ١٤١ - ١٤٢ ، مفرج الكروب ٢/٢٣٠ ، اتحاف الأخصا - السيوطي
٧٦ ، اتحاف الأخصا - الهيتمي ٢٢١ .

(١٩) الفتح القدسي ١٤٢ ، وانظر : مفرج الكروب ٢/٢٣٠ ، الكامل ١١/٣٦٤ ، تاريخ
قبة الصخرة ٨٠ .

(٢٠) الفتح القدسي ١٩٨ .

عاد المسجد الأقصى ليكون منارة العلم والايمان ، كما كان شأنه قبل
الاحتلال الصليبي .

وتمثلت العناية بالأقصى والصخرة في مجالات عديدة : دينية وفكرية
كما تقدم، وعمرانية كما يبدو فيما فعله صلاح الدين ومن تبعه من الأيوبيين،
فقد أمر صلاح الدين بترخيم محراب المسجد الأقصى ، ثم أمر بنقل المنبر ،
الذي صنع في عهد نور الدين زنكي ، الى الأقصى (٢١) .

واستمرت عناية الأيوبيين كبيرة بالأقصى والصخرة ، فالملك العادل
فعل آثارا جميلة في الأقصى ، والملك المظفر تقي الدين عمر نظف الصخرة
بنفسه ، وغسلها بماء الورد ، ثم فرق مالا عظيما على الفقراء ، والملك الأفضل
نور الدين علي بن صلاح الدين فعل أنواعا من البر والخير والبناء ، والملك
العزیز عثمان بن صلاح الدين ، ترك خزانة سلاحه في القدس، «فاستظهرت
بها المدينة ، وتوثقت بها عراها المتينة» . وعني العزیز عثمان بمحراب داود
عليه السلام ، «ورتب له اماما ، ومؤذنين ، وقواما . وليس هذا فحسب ،
فقد أمر بتعمير المساجد كلها ، وصيانة المشاهد (٢٢) .

وعمر صلاح الدين الزاوية الخنئية في الأقصى ، وكان لها دور ملموس
في الحياة الفكرية سنتبينه فيما بعد .

ورمم صلاح الدين أسوار المدينة وأحكمها ، وحفر الخنادق ، وبنى
الأبراج ، وشارك هو وأولاده ، وأخوه العادل ، وأمرأؤه، في العمل . وشارك
فيه العلماء والقضاة والفقهاء ، والمتصوفة ، والعسكر ، والعامّة (٢٣) .

وعمر صلاح الدين قبة يوسف (٢٤) ، ووسع جامع جبل الطور ، بناء
على رسالة كتبها القاضي الفاضل باسم أبناء القدس .

(٢١) الفتح القدسي ١٤٣ ، الكامل ٣٦٥/١١ ، الانس الجليل ٣٤٠/١ .

(٢٢) الفتح القدسي ١٤٥ ، مفرج الكروب ٢٣٠/٢ ، الانس الجليل ٣٤٠/١ .

(٢٣) عيون الانباء ٦٨٨ ، الانس الجليل ٣٨٣/١ - ٣٨٤ .

(٢٤) تقع جنوبي الصخرة ، بين القبة النحوية ومنبر برهان الدين (انظر : تاريخ الحرم

القدس ٧٨ ، قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك ٢١٠) .

وواضح من هذا ، أن حركة عمرانية شملت بيت المقدس في عهد صلاح الدين وغيره من الأيوبيين . ولكن الأهم من ذلك ، الحركة الفكرية التي عمت بيت المقدس ، وهي صلب ما نتحدث عنه . لقد نشطت الحركة الفكرية في ظل صلاح الدين ، نشاطا كبيرا ، لم تعهده في القرون السابقة . ويكفي أن نشير الى العلماء ، والأدباء ، والفقهاء ، والمتصوفة ، وغيرهم ، الذين حضروا الى بيت المقدس ، وشاركوا في الاحتفال بالتحجير ، والتغني بالانتصار المجيد ، وممن كان لهم دور فعال في ذلك : القاضي الفاضل ، والعماد الاصفهاني ، وابن شداد ، والقاضي أبو المعالي محمد بن علي القرشي (المتوفى سنة ٥٩٨هـ) ، وأبو الحسن زين الدين علي بن ابراهيم ابن نجا الواعظ (المتوفى سنة ٥٩٩هـ ، وقيل ٦٠٠هـ) ، وغيرهم . وكتبت رسائل كثيرة تبشر بتحجير بيت المقدس ، وأنشئت خطب عديدة ، وعقدت مجالس وعظ عديدة أيضا . وكان لتحجير بيت المقدس أثر كبير في الحركة الفكرية والأدبية في بيت المقدس ، فقد أحدث حركة أدبية مزدهرة ، لم يقتصر أثرها على بيت المقدس ، بل انعكس على الأقطار والمدن الاسلامية الأخرى . ولننظر في القدسيات ، وهي ما قيل من أدب حول بيت المقدس منذ احتلالها الى تحريرها ، فانها تمثل ظاهرة أدبية متقدمة كما وكيفا . وشارك فيها الكثير من الشعراء ، والخطباء ، والكتاب .

توجت الحركة الفكرية في بيت المقدس ، بما تغنى به الشعراء مشيدين بالبطل ، متغنين بالنصر العظيم ، وهم كثيرون ، ومنهم : العماد الأصفهاني ، وابن الساعاتي ، وابن سناء الملك ، والحكيم أبو الفضل عبد المنعم الجلياني ، ونجم الدين يوسف بن الحسين بن المجاور ، والرشيدي بن بدر النابلسي وغيرهم من الشعراء .

ومن ذلك ما أنشأه الخطباء ، وعلى رأسهم القاضي ابن الزكي المذكور ، وهو أول خطيب خطب في المسجد الأقصى بعد تحريره ، ثم جلس زين الدين الواعظ ، وعقد مجلس وعظ بعد أن انتهى ابن الزكي من خطبته .

ولم تقتصر تلك الحركة الأدبية على الرسائل والأشعار والخطب ،
ومجالس الوعظ ، فقد صنفت مصنفات كثيرة في العلوم المختلفة .

وهكذا كانت الحركة الفكرية ، في بيت المقدس ، متقدمة في ظل صلاح الدين ، فقد « فتحت المدارس ، وأقيمت المساجد ، وبني عدد كبير من الحمامات والمستشفيات ، والزوايا والرباطات ، للحجاج القادمين من مختلف الاقطار » . وفي ظله « أعيد للحرم الشريف بهاؤه وعمارته ، كما بنيت السبل وأقنية الماء وصهاريجه ، واتخذوا من ساحته وأروقته مدارس يدرسون مختلف العلوم ، يفد عليها الطلاب من مختلف الامصار » (٢٥) .

ولم يقتصر الأمر على ما أنشأه صلاح الدين من منشآت علمية ، فقد أنشأ بعض الأمراء ، في عهده المدرسة الميمونية التي أنشأها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله القصري ، خازن دار (٢٦) الملك صلاح الدين . وأنشأ الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي أحد أمراء صلاح الدين ، المدرسة الجراحية ، وكان لها وقف ، ووظائف مرتبة » (٢٧) .

واستمرت الحركة الفكرية متقدمة في ظل أبناء صلاح الدين ، وبخاصة الملك الأفضل ، فقد أنشأ المدرسة الأفضلية سنة ٥٨٨هـ ، والمسجد العمري سنة ٥٨٩هـ . ووقف أوقافا على المغاربة ، سنة ٥٨٨هـ ، « على اختلاف

(٢٥) انظر : بلادنا فلسطين - في بيت المقدس - ج ٩ ق ٢ - ٨/١ - ٩ ، ٢٠٤ .
(٢٦) لقب فارسي ، مركب من لفظين : احدهما عربي وهو خزانة ، وهي ما يخزن فيه المال ، والثاني فارسي وهو دار ، ومعناه ممسك ، فحذفت بعض الحروف استئقلا ، فصار خزندار . ومعناه « ممسك الخزانة » ، والمراد المتولي لامرها . وتعني وظيفه الخزندارية « التحدث في خزائن الاموال السلطانية ، والخلع ، والتشاريح السلطانية . وكانت وظيفة من وظائف ديوان الانشاء ، ثم اصبحت تعني وظيفة صاحب المجلس ، وهو بمثابة امير خزندار (انظر : صبح الاعشى ١/١٣٠ ، ١٣٥ ، ٤٨١/٣ ، ٢١/٤ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ٤٦٢/٥ - ٤٦٣) .

(٢٧) الانس الجليل ٤٨/٢ ، الحضرة الانسية ١٣ ، الفصل في تاريخ القدس ٢٣٩ .

أجناسهم ، ذكرهم وأنثاهم ، وحجاجهم ، وفقهائهم ، وطلابهم الذين أخذوا يتوافدون اليها من مختلف أقطار أفريقية الشمالية ، فنسب الحي اليهم» ،
ف قيل : حي المغاربة (٢٨) .

وأنشأ الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ، منشآت عديدة في بيت المقدس ، ومنها المدرسة النحوية سنة ٦٠٤ (٢٩) ، والمدرسة المعظمية سنة ٦٦٠ هـ (٣٠) . وأنشأ بدر الدين محمد بن القاسم الهكاري ، أحد أمراء الملك المعظم ، المدرسة البدرية في سنة ٦١٠ هـ (٣١) .

وعني الملك المعظم عيسى بالبيمارستان الذي أقامه صلاح الدين ، كما عني بالاطباء الذين كانوا يعملون فيه ، وخاصة يعقوب بن صقلاب ، حيث كان « يعتمد عليه في كثير من الآراء الطبية وغيرها ، فينتفع بها ، ويحمد عواقبها » . ومن الجدير بالذكر أن ابن صقلاب المذكور امتنع عن تولي أمور الدولة ، « واقتصر على مداومة صناعة الطب ، ولما توفي الملك المعظم ، وملك ابنه الملك الناصر داود ، رعى ابن صقلاب ، وأمر له بجميع ما كان مقررا في عهد أبيه (٣٢) . ويدل هذا على الاهتمام الذي لقيه الطب والاطباء في بيت المقدس .

وعني الملك المعظم عيسى بالمسجد الأقصى والصخرة الشريفة عناية خاصة ، فقد جدد في أروقة الأقصى (٣٣) وأبوابه . ومما جده فيه ، الرواق الممتد من باب المدرسة الدويدارية الى باب الغوانمة ، والواقع في الجهة الشمالية للأقصى ، وتقع على هذا الرواق خمس مدارس وهي : المدرسة

(٢٨) الانس الجليل ٤٥/٢ ، ٤٦ .

(٢٩) نفسه ٢٧٠/٢ .

(٣٠) نفسه ٢٧٠/٢ .

(٣١) نفسه ٤٧/٢ .

(٣٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٩٨ . ٦٩٩ .

(٣٣) انظر : تاريخ الحرم القدسي ٤٤ . ٥٣ .

الأمينية ، والمدرسة الفارسية ، والمدرسة الملكية ، والمدرسة الاسعدية ،
والمدرسة الصببية ، وقد بنى مع كل مدرسة ما تحتها من الرواق . وهذا
واضح فيما هو مكتوب على جدار باب شرف الانبياء : « جدد هذا الرواق في
أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى بن
السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، خلد الله ملكه ، سنة ٦١٠ هـ ،
والحمد لله وحده ، في ولاية الامير الامجد عز الدين بن عمر بن يعقوب (٢٤) » .

وأنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل قبة موسى ،
في سنة ٦٤٩ هـ ، وقيل ٦٤٧ هـ . وكانت تسمى قبة الشجرة . ونجد
ذلك واضحا فيما كتب على جدارهما الشمالي : « بسم الله الرحمن الرحيم .
أمر بعمارة هذا المكان مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدنيا والدين
ابن الملك الكامل » (٣٥) .

ولم يقتصر الأمر في العصر الأيوبي على انشاء المراكز الفكرية المذكورة
فحسب ، فقد أنشئت الرباطات والزوايا والخوانق ، وهي مؤسسات كان
لها دور علمي واجتماعي وديني . ومن تلك المراكز : الخانقاة
الصلاحية (٣٦) التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي كما تقدم . وكانت هذه
الخانقاه من أهم المراكز آنذاك ، وكان لها دور ملموس في الحركة الفكرية .

ومنها الزاوية الختنية (٣٧) ، وقد وقفها صلاح الدين على الشيخ جلال
الدين محمد بن أحمد الشاشي ، وكان مجاورا في بيت المقدس ، ثم وقفها

(٣٤) الانس الجليل ٢/٢٢ ، وانظر : تاريخ الحرم القدسي ٤٨ ، ٨٦ .

(٣٥) الانس الجليل ٢/٢٧٥ . تاريخ الحرم القدسي ٧٩ .

(٣٦) تقع هذه الخانقاه قرب كنيسة القيامة من ناحيتها الشمالية .

(انظر : الانس الجليل ٢/٤٧ ، خطط الشام ٦/١٥٠) .

(٣٧) تقع هذه الزاوية بجوار الاقصى خلف المنبر . وذكر أن بناءها قديم من زمن الروم ،
ولكن بناء الدار التي بداخلها جديد .

(انظر : الانس الجليل ٢/٣٤ ، خطط الشام ٦/١٥٠) .

على من يخذو حذوه (٣٨) . وكان لها دور في الحركة الفكرية أيضا كما
أشرنا فيما تقدم .

ومنها زادية الدرّكاه (٣٩) ، وقد وقفها الملك المظفر شهاب الدين غازي
ابن الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب ، في سنة ٦١٣هـ (٤٠) .

ومن هذا يتبين لنا مدى اهتمام الأيوبيين ببيت المقدس ، والعمل على
تقدم الحركة الفكرية فيه .



ولم يقتصر عملهم في هذا المضمار على انشاء المراكز العلمية ، فقد
عملوا على تشجيع العلم والعلماء كما تقدم ، وليس هذا بغريب عليهم ،
فانهم كانوا يتذوقون الشعر ، وينشؤونه ، ويشاركون في حركة التأليف ،
وغير ذلك ، فصلاح الدين كان «يستحسن الشعر ، ويردده في مجلسه ،
ومدحه كثير من الشعراء ، وانتجوه من البلدان» (٤١) . وكان صلاح
الدين محبا للشعر والشعراء ، بل كان مشغوبا ببعضهم ، فقد ذكر العماد
الأصفهاني أنه كان في مجلس صلاح الدين ، فذكر صلاح الدين «جماعة
من الشعراء ، وعنده ديوان الامير مؤيد الدين أسامة ، وهو به مشغوف
وقد استحسن قصيدة له طائية لو عاش الطائيان لأقرأ بفضلهما» (٤٢) .
ويصور العماد معرفة صلاح الدين بالأدب ونقده له ، وحفظه من محاسن

(٣٨) الانس الجليل ٣٤/٢ ، خطط الشام ١٥٠/٦ .

(٣٩) تقع بجوار اليمارستان الصلاحي ، وكانت دار الاستتار في زمن الافرنج . وقيل :
انها من بناء هيلانة أم قسطنطين . ويقع قسم منها الآن داخل كنيسة الالمان (الدباغة) ،
والباقي خراب .

(انظر : الانس الجليل ٤٧/٢ ، خطط الشام ١٥٠/٦) .

(٤٠) الانس الجليل ٤٧/٢ ، خطط الشام ١٥٠/٦ .

(٤١) السلوك ، ج ١ ، ق ١١٣/١ .

(٤٢) سنا البرق الشامي ١٨٦/١ .

أشعار العرب ، وسيرهم ، وكان «لا يجري في مجلسه ومأنسه الا ما هو من الحكم والكلم الفائق الرائق ، يحب الشعر الجيد ، ويحبوه بشعار جوده» (٤٣) ، كما تقدم . وكان صلاح الدين يحب سماع القرآن ، حتى انه كان يستخبر امامه ، ويشترط أن يكون عالماً بعلوم القرآن العظيم ، متقناً لحفظه» . وسمع صلاح الدين الحديث ، وكان راغباً رغبة كبيرة في ذلك ، فقد ذكر ابن شداد أن صلاح الدين تردد الى الحافظ السلفي ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، كما قرأ الحديث بنفسه . وقرأ صلاح الدين كتاباً في الفقه على ابن شداد (٤٤) . وسمع منه كتاباً صنفه في الجهاد في سنة ٥٧٦هـ (٤٥) . لقد كان صلاح الدين مهتماً بالفكر والأدب . وطبيعي أن ينعكس أثر ذلك على الحركة الفكرية أينما يحل صلاح الدين ، في بيت المقدس أو في غيرها . وقد مر بنا كيف أن صلاح الدين عمل على تشجيع العلم والعلماء ، والأدب والأدباء ، ورعى المحدثين والفقهاء ، وعقد المجالس العلمية ، وغير ذلك .

وكان الملك المعظم عيسى يشتغل بالعلم ، وقد تفوق في مضماره و «مهر في العلوم ، وعرف الخلف والفقه والأصول» ، وكان مغرماً بمجالسة أهل العلم من الفقهاء والشعراء (٤٦) . واشتغل المعظم عيسى بالعربية ، فقرأ كتاب سيبويه متناً وشرحاً على المختصين في النحو ، وقرأ الحماسة ، كما قرأ الايضاح لأبي علي الفارسي (٤٧) .

(٤٣) خريدة القصر - بداية قسم شعراء الشام ٧٨ .

(٤٤) النوادر السلطانية ٩ ، ١٠ ، ٢٨ ، السلوك ، ج ١ ، ق ٦٤/١ ، سير اعلام النبلاء ٢٧/٢٩١ .

(٤٥) سير اعلام النبلاء ٢٧/١٥٦ .

(٤٦) السلوك ، ج ٢ ، ق ٣٥٣/٢ .

(٤٧) الذيل على الروضتين ٩٥ ، ٩٧ - ٩٨ ، معجم الادباء ١١/١٧٤ ، ١٧٥ ، الدارس ١/٤٨٦ ، ٥٨٣ .

وروي أنه كان يذهب الى منزل أستاذه تاج الدين الكندي (٤٨) ، للأخذ عنه ، والكتاب تحت ابطه (٤٩) . وذكر ابن واصل الحموي أنه وقف على «نسخة من كتاب سيبويه ، وعليها خط المعظم في عدة مواضع ، يقول في بعضها : أتممت هذا الكتاب مطالعة ومراجعة ، وأنا منازل مدينة أرسوف» (٥٠) . وفي بعضها يقول : أتممته مطالعة ومراجعة ، وأنا بنا بلس (٥١) . وأصبح الملك المعظم عالما فقيها نحويا (٥٢) . وشارك الملك المعظم في حركة التأليف ، وصنف كتابه «السهم المصيب في الرد على الخطيب» (٥٣) ، أي الخطيب البغدادي . وتحدث فيه عن مسائل في الفقه والنحو . وذكر ابن واصل الحموي أنه وقف على هذا الكتاب في بيت المقدس ، وأنه طالعه ووجده «في غاية الحسن» . وصنف الملك المعظم كتابا أخرى ، ونظم الشعر (٥٤) .

(٤٨) وهو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي البغدادي ثم الدمشقي النحوي ، اللغوي ، المقرئ ، المحدث . ولد ببغداد سنة ٥٢٠هـ ، وقرأ النحو واللغة ، وسمع الحديث ، ثم قدم الى دمشق سنة ٥٦٣هـ ، وتصدر فيها ، وازدحم عليه الطلاب . وكانت له خزانة كتب جليلة في الجامع الاموي . ونظم تاج الدين الشعر ، وله ديوان فيه . وصنف مصنفات عديدة منها شرح على ديوان أبي الطيب المتنبي ، وتعليقات على خطب ابن نباتة ، وغير ذلك . توفي في دمشق سنة ٦١٣هـ . (انظر : الذيل على الروضتين ٩٥ - ٩٩ ، معجم الادباء ١١/١٧١ - ١٧٥ ، العبر ٥/٤٥ ، الدارس ١/٤٨٣ - ٤٨٦) .

(٤٩) الذيل على الروضتين ٩٨ ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٥٧٧/٢ ، مفرج الكروب ٢١٠/٤ - ٢١١ .

(٥٠) تقع بين قيسارية ويافا ، على الساحل ، وبينها وبين يافا ستة أميال . (انظر : معجم البلدان ١/١٥١ - ١٥٢) .

(٥١) مفرج الكروب ٢١٠/٤ - ٢١١ .

(٥٢) انظر : مفرج الكروب ٢١٢/٤ ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٦٤٤/٢ - ٦٤٩ .

(٥٣) انظر : كشف الظنون ٢/١٠١٠ .

(٥٤) انظر : مفرج الكروب ٢١٢/٤ .

وكان الملك المعظم عيسى يباحث العلماء والفقهاء في دقائق العلوم ،
ومن ذلك ما ذكره ابن واصل متحدثا عن المعظم عندما قدم الى بيت المقدس
سنة ٦٢٣هـ ، يقول : «جلس - المعظم - خارج الصخرة الشريفة ،
واستدعى جماعة الفقهاء ، وباحثهم في مسائل لغوية وفقهية . ومما سأل
عنه يومئذ أنه كيف ورد في القراءات الست ، أعني ما عدا قراءة أبي عمر
ابن العلاء ، ان هذان لساحران . وهذه القراءة هي المطابقة لخط
المصحف الامام . ومن شأن ان أن ينتصب ما بعدها ، فقال بعضهم :
ان هنا بمعنى نعم ، كما في قول الشاعر :

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انثه

أي نعم ، فأجاب هذا القائل بعضهم : ان هذا القول يعكر عليه ورود
اللام في الخبر ، فانه لا يقال : «نعم زيد لقائم» ، فقال السلطان - رحمه
الله - : لا يعكر عليه ، بل جاز أن تأتي اللام رعاية للفظ «ان» ، فانه
يقضي جواز وقوع اللام في الخبر ، ورعاية اللفظ ، واعتباره قد جاء
كثيرا ، يقولون : يا زيد الظريف ، فراعون اللفظ ، ويحملون عليه ،
وان كان زيد منصوبا في التقدير ، فاستحسن الجماعة هذا الجواب من
السلطان ، وأطنبوا في الثناء عليه» (٥٥) .

هذا نص أورده ابن واصل الحموي ، ويتبين لنا منه أن السلطان
كان يعقد المجالس الأدبية ، ويشارك فيها مشاركة فعالة ، كما يبدو جليا
فيما تقدم . وقد تعمدا اثبات ما ذكره ابن واصل الحموي لنتبين بعض
تفصيلات ما كان يجري في تلك المجالس الأدبية . ومن الواضح أن المسائل
اللغوية والفقهية كانت تولى عناية كبيرة . ومن الجدير بالاشارة أن ابن
واصل الحموي نفسه كان حاضرا ذلك المجلس الأدبي .

من الطبيعي أن تتنوع الأحاديث في المجالس التي كان السلطان
يعقدها ، ففي المجلس المشار اليه ، نجد السلطان يسأل والد ابن واصل ،

شيخ المدرسة الصلاحية ، في بيت المقدس آنذاك ، عن سور المعرة ، وعن الرأي في رد الأملاك التي كان الافرنج يحتلونها ، هل ترد الى أصحابها بعد تحريرها ، أم ترد الى بيت المال ؟ فأجابه والد ابن واصل بأنه كان لها سور ، ولكنه هدم لما ملك الفرنج المعرة ثم «استنقذها منهم أتاك (٥٦) زنكي الشهيد» . وأضاف والد ابن واصل أن أهل المعرة طلبوا أن ترد عليهم أملاكهم التي كانت بأيديهم قبل أن يملكها الفرنج ، فردها اليهم ، وكان رأي الفقهاء ، وفق المذهب الحنفي ، عدم ردها الى أصحابها ، وردھا الى بيت المال ، ولكن الأتابك قال : «لا والله ، بل نردها عليهم ، اذا كنا نحن نأخذ أملاكهم ، والفرنج يأخذون أملاكهم ، فأى فرق بينهم وبين الفرنج ؟ . وقد فعل الأتابك ما فعله على الرغم من أنه كان حنفي المذهب ، كما أن الملك المعظم عيسى أظهر استحسانه لما ذكره والد ابن واصل ، على الرغم من كونه حنفي المذهب أيضا» (٥٧) .

ومن الواضح أن هذا المجلس الذي عقده الملك المعظم عيسى في الصخرة المشرفة ، دار حول مسائل في اللغة والتاريخ والفقہ ، وغير ذلك . وشارك فيه جمع من أمثال واصل الحموي وابنه ، وعدد من الفقهاء والأدباء والعلماء في بيت المقدس ، وعدد من الفضلاء الذين كانوا لا يفارقون الملك المعظم «في سفر ولا حضر» من أمثال شرف الدين أبي

(٥٦) ذكر القلقشندي أرباب الوظائف من ارباب السيوف ، ومن تلك الوظائف الاتابكية . « ويعبر عن صاحبها باتابك المنكر ، واصله : اطابك ، ومعناه الولد الامير ، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي . وقيل معناه : أمير أب ، والمراد أبو الامراء ، وهو اكبر الامراء المقدمين (صبح الاعشى ١٨/٤) . وواضح أن هذا اللقب يتكون من لفظين تركيبين : أطا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير . (انظر : صبح الاعشى ٥/٦ - ٦ ، السلوك (حاشية) ج ١ ، ق ١٤٦/١) .

(٥٧) مفرج الكرب ٤/٢١٣ ، ٢١٤ .

المحاسن بن عنين (٥٨) ، وجمال الدين بن شيت (٥٩) .
وغيرهما .

وكان الملك الكامل الأيوبي محبا للعلم والعلماء ، مؤثرا مجالستهم .
شغوقا بسماع الحديث النبوي ، وقد حصل على الاجازة في الحديث ،
ثم حدث . وكان الملك الكامل «يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من
فقه ونحو يمتحن بها ، فمن أجاب عنها قدمه وحظي عنده» (٦٠) . وكان
العلماء يحضرون «مجلسه في كل أسبوع يبحثون عنده ، ويتناظرون ،
ويتكلم معهم ، ويشركهم في بحثهم ، ويلزم معهم أدب المناظرة ، ويخاطبهم
أحسن خطاب» (٦١) . وكان يجلب أهل العلم ويرعاهم ، «فنفقت العلوم
والآداب عنده ، وقصده أرباب الفضائل» (٦٢) .

وذكر أن الامبراطور فردريك أرسل الى الملك الكامل أسئلة في
الهندسة والطب والرياضيات للاجابة عنها ، فعرضها على عالم من
العلماء ، فكتب جوابها الى الامبراطور المذكور (٦٣) . ويشير هذا الى مظهر

(٥٨) محمد بن نصر بن الحسين بن علي بن محمد بن غالب المعروف بابن عنين . وهو شاعر
مشهور من الشعراء في العصر الايوبي . وله ديوان مطبوع بتحقيق خليل مردم .
توفي سنة ٦٣٠ هـ .

(٥٩) عبد الرحمن بن علي بن شيت بن اسحاق الكاتب . نشأ في قوص ، وولي الديوان
فيها ، ثم في الاسكندرية ، ثم في بيت المقدس . ثم تولى ديوان الانشاء للملك المعظم
عيسى ، وكان المعظم عيسى قد عين له راتبا . وله شعر ، وله مصنغات منها : معالم
الكتابة ومغانم الاصابة .

(الذيل على الروضتين ١٥٣ ، قوات الوفيات ٣١٢ - ٣١٥) .

(٦٠) السلوك ج ١ ، ق ٢٥٨/١ ، ٢٥٩ ، امرأة الزمان ج ٨ ، ق ٧٠٥/٢ - ٧٠٧ .

(٦١) الحوادث الجامعة ١٠٧ ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد « شيخ المحمدي » ٢٠٠ .

(٦٢) السلوك ، ج ١ ، ق ٢٥٩/١ ، امرأة الزمان ، ج ٨ ، ق ٧٠٥/٢ - ٧٠٧ .

(٦٣) مفرج الكروب ٢٤٢/٤ ، السلوك ، ج ١ ، ق ٢٣٢/١ .

من مظاهر الحركة الفكرية آنذاك ، ويدل على لون من ألوان الاتصال الثقافي بين المسلمين والفرنح . ومن الجدير بالقول أن الاتصال بين الطرفين لم يكن صراعا عسكريا فحسب ، فقد قامت علاقات ثقافية وحضارية واجتماعية واقتصادية بين الطرفين .

وليس من شأننا أن نتحدث هنا عن السلاطين الأيوبيين في هذا المجال ، ولكننا نقصر على من كان له شأن في الحياة الفكرية في بيت المقدس ، وما كان له مساس بها ، أو أثر عليها ، أو انعكاس فيها .

ومما يجدر ذكره في مجال الحديث عن العوامل التي نشطت الحياة الفكرية في بيت المقدس ، بعد ركودها في ظل الاحتلال الصليبي ، الأوقاف التي وقفها السلاطين الأيوبيون على المعاهد الدينية والعلمية التي أنشأوها ، من مساجد ومدارس ، ودور قرآن ، ودور حديث ، وبیمارستانات ، وخوانق ، وزوايا ، ورباطات . وقد وقفوا أوقافا كثيرة عليها كما تقدم (٦٤) . وكانت تلك الأوقاف تمثل موردا ماليا ثابتا يعمل على السير بالحركة الفكرية الى الأمام . وكان المدرسون وغيرهم ، يتلقون مخصصاتهم من تلك الأوقاف ، وكان الطلبة يتلقون مخصصات من الأوقاف أيضا ، وكانوا يتلقون تعليمهم مجانا . وكان الوافدون الى بيت المقدس ، طلبا للعلم ، أو الزيارة ، أو الإقامة ، يلقون رعاية كبيرة ، فيصرف عليهم من الأوقاف ، وتخصص لهم أماكن لا يوائهم .

وهكذا شمل هذا المورد المالي الثابت المراكز العلمية المختلفة في بيت المقدس بعامة ، والمسجد الأقصى ، والصخرة الشريفة ، والمدارس التي أنشئت في ساحة الحرم الشريف بخاصة .

(٦٤) انظر : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ . من هذه الدراسة .

ومن الجدير بالقول أن دور الكتب والمدارس ، تمثل مظاهر مهمة من مظاهر الحركة الفكرية في بيت المقدس ، كما تمثل عاملا فعالا في تقدم الحركة الفكرية .



وفي العصر المملوكي ، نالت بيت المقدس اهتماما كبيرا ، فقد سار سلاطين المماليك على نهج الأيوبيين في تشجيع العلم وأهله، والعناية بالأقصى والصخرة ، وانشاء المدارس ، ودور القرآن والحديث ، والخوانق ، والزوايا ، والرباطات ، فقد أنشيء ما يقارب أربعين مدرسة ، في بيت المقدس ، في العصر المملوكي ، وكانوا بذلك ، أكثر نشاطا من سلاطين الأيوبيين في انشاء المدارس ، حيث ان الأيوبيين أنشأوا عددا أقل من المدارس .

شارك السلاطين والأمراء والشيوخ والعلماء والنظار ، في انشاء المدارس في العصر المملوكي ، كما شاركت النساء في ذلك أيضا .

ان الناظر في العصر المملوكي منذ بدايته ، يجد أن ظاهرة انشاء المدارس لاقت اهتماما كبيرا آنذاك . ويبدو هذا جليا في عهود معظم سلاطين المماليك ، ففي عهد السلطان «كْتَبْغَا المنصوري» أنشئت المدرسة الدويدارية سنة ٦٩٥هـ (٦٥) . وفي عهد السلطان «الناصر محمد بسن قلاوون» أنشئت المدرسة السلامية حوالي سنة ٧٠١هـ (٦٦) ، والمدرسة الوجيهية قبل سنة ٧٠١هـ (٦٧) ، والمدرسة الجاولية سنة ٧١٥هـ (٦٨) ، والمدرسة الكريمة سنة ٧١٨هـ (٦٩) ، والمدرسة التنكزية سنة

-
- ٦٥) الانس الجليل ٣٩/٢ ، خطط الشام ١١٩/٦ .
 - ٦٦) الانس الجليل ٤٢/٢ ، خطط الشام ١٢١/٦ .
 - ٦٧) الانس الجليل ٤٢/٢ ، خطط الشام ١٢١/٦ .
 - ٦٨) الانس الجليل ٣٨/٢ ، خطط الشام ١١٩/٦ .
 - ٦٩) الانس الجليل ٣٩/٢ ، خطط الشام ١٢٠/٦ .

٧٢٩هـ (٧٠) ، والمدرسة الأمينية سنة ٧٣٠هـ (٧١) ، والمدرسة الملكية سنة ٧٤١هـ (٧٢) .

وفي عهد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون أنشئت المدرسة الفارسية سنة ٧٥٥هـ (٧٣) ، والمدرسة الخاتونية سنة ٧٥٥هـ (٧٤) ، والمدرسة الأرغونية سنة ٧٥٨هـ (٧٥) ، والمدرسة القشتمرية سنة ٧٥٩هـ (٧٦) ، والمدرسة الاسعدية سنة ٧٦٠هـ (٧٧) ، والمدرسة الحسنية سنة ٧٦٢هـ (٧٨) .

وفي عهد السلطان المنصور صلاح الدين بن سيف الدين حاجي بن الناصر محمد ، أنشئت المدرسة المتنجكية سنة ٧٦٢هـ (٧٩) ، والمدرسة المحدثية سنة ٧٦٢هـ (٨٠) ، والمدرسة الطائرية سنة ٧٦٣هـ (٨١) .

وفي عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسن حفيد الناصر محمد بن قلاوون ، أنشئت المدرسة البارودية سنة ٧٦٨هـ (٨٢) ، والمدرسة الحنبلية سنة ٧٨١هـ (٨٣) . وفي عهد السلطان المنصور علي بن شعبان ، أنشئت

-
- ٧٠) الانس الجليل ٣٥/٢ ، خطط الشام ١١٧/٦
 - ٧١) الانس الجليل ٣٩/٢ ، خطط الشام ١١٩/٦
 - ٧٢) الانس الجليل ٣٨/٢ ، خطط الشام ١١٩/٦
 - ٧٣) الانس الجليل ٣٣/٢
 - ٧٤) الانس الجليل ٣٦/٢ ، خطط الشام ١١٨/٦
 - ٧٥) الانس الجليل ٣٦/٢ ، خطط الشام ١١٨/٦
 - ٧٦) الانس الجليل ٤٣/٢ ، خطط الشام ١٢١/٦
 - ٧٧) الانس الجليل ٣٨/٢ ، خطط الشام ١١٩/٦
 - ٧٨) الانس الجليل ٤٠/٢ ، خطط الشام ١٢٠/٦
 - ٧٩) الانس الجليل ٣٧/٢ ، خطط الشام ١١٨/٦
 - ٨٠) الانس الجليل ٤٣/٢
 - ٨١) الانس الجليل ٤٥/٢ ، خطط الشام ١٢٢/٦
 - ٨٢) الانس الجليل ٤٣/٢ ، خطط الشام ١٢٢/٦
 - ٨٣) الانس الجليل ٤٤/٢ ، خطط الشام ١٢٢/٦

المدرسة البلدية قبل سنة ٧٨٢هـ (٨٤) ، والمدرسة الطمّثمّرية سنة ٧٨٤هـ (٨٥) .

وفي عهد الملك الظاهر برقوق ، أنشئت المدرسة الجهاركسية قبل سنة ٧٩١هـ (٨٦) ، والمدرسة الطولونية قبل سنة ٨٠٠هـ (٨٧) ، والمدرسة الفنّرية قبل سنة ٨٠١هـ (٨٨) . وفي عهد السلطان الناصر فرج محمد بن برقوق ، أنشئت المدرسة الصّيبية قبل سنة ٨٠٩هـ (٨٩) .

وفي عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودي ، أنشئت المدرسة الكاملية سنة ٨١٦هـ (٩٠) . وفي عهد الأشرف برسباي ، أنشئت المدرسة الباسطية سنة ٨٣٤هـ (٩١) ، والمدرسة الغادرية سنة ٨٣٦هـ (٩٢) ، والمدرسة الحسينية ٨٣٧هـ (٩٣) ، والمدرسة العثمانية سنة ٨٤٠هـ (٩٤) .

وفي عهد الظاهر جقمق العلائي ، أنشئت المدرسة الجوهريّة سنة ٨٤٤هـ (٩٥) . وفي عهد الملك الأشرف قايتباي كانت المدرسة الأشرفية ، وكان قد بوشر بانشائها سنة ٨٧٥هـ في عهد الملك الظاهر خُشْقَدَم (٩٦) .

-
- (٨٤) الانس الجليل ٣٥/٢ ، خطط الشام ١١٧/٦ .
 - (٨٥) الانس الجليل ٤٥/٢ .
 - (٨٦) الانس الجليل ٤٤/٢ ، وخطط الشام ١٢٢/٦ .
 - (٨٧) الانس الجليل ٤٠/٢ ، خطط الشام ١٢٠/٦ .
 - (٨٨) الانس الجليل ٤٠/٢ ، خطط الشام ١٢٠/٦ .
 - (٨٩) الانس الجليل ٣٨/٢ ، ٢٧٤ ، خطط الشام ١١٩/٦ .
 - (٩٠) الانس الجليل ٤٢/٢ ، خطط الشام ١٢١/٦ .
 - (٩١) الانس الجليل ٣٩/٢ ، خطط الشام ١١٩/٦ .
 - (٩٢) الانس الجليل ٤٠/٢ ، خطط الشام ١٢٠/٦ .
 - (٩٣) الانس الجليل ٤٣/٢ ، ٢٧٥ ، خطط الشام ١٢١/٦ .
 - (٩٤) الانس الجليل ٣٦/٢ ، خطط الشام ١١٨/٦ .
 - (٩٥) الانس الجليل ٣٧/٢ ، خطط الشام ١١٨/٦ .
 - (٩٦) الانس الجليل ٣٥/٢ ، ٩٩ ، ٢٨٤ ، خطط الشام ١١٧/٦ .

وفي عهده أنشئت المدرسة المزهرية سنة ٨٨٥هـ (٩٧) ، والمدرسة الزمينية سنة ٨٨٦هـ (٩٨) .

وهكذا يتبين لنا أن العصر المملوكي كان عصرا ازدهر فيه انشاء المدارس . وفي هذا المجال ، يقول غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (٩٩) ، متحدثا عن بيت المقدس : أن فيه أسواقا كثيرة ، ومدارس كثيرة ، وخانات ، وحمامات ، وعمائر حسنة (١٠٠) .

كانت هذه المدارس تنسب الى منشئها ، وكانوا يعينون لها الأوقاف لتسيير شؤونها . وتمثل الأوقاف دخلا ثابتا يساعد المدارس في تأدية رسالتها الفكرية ، وترسيخ نظامها . وكانوا يعينون لها الشيوخ والمدرسين ، ونظار الوقف ، وغيرهم .

ويدل انشاء هذه المدارس الكثيرة ، في العصر المملوكي ، على تقدم الحركة الفكرية في بيت المقدس ، في ذلك العصر ، فقد كانت بيت المقدس آنذاك «مركزا لثقافة اسلامية واسعة النطاق ، وأن رواد العلم والحكمة

(٩٧) الانس الجليل ٢/٣٧ ، خطط الشام ٦/١١٨ .

(٩٨) المفصل في تاريخ القدس ٢٥٥ .

(٩٩) ولد بالقدس سنة ٨١٣هـ ، ونشأ فيها ، ثم تحول الى القاهرة ، وطلب العلم فيها . وكان أميراً من أمراء المماليك . ولي نظر الاسكندرية ثم نيابتها سنة ٨٢٧هـ . ثم استعفى . وفي سنة ٨٤٠هـ ، ولي نيابة الكرك ، فأتا بكية صغد ، فنيابة ملطية . ثم نقل الى أتا بكية حلب . وامتحان فيها ، وسجن بقلعتها . ثم اطلق سراحه ، واقام بحرم الخليل ، ثم نقل الى نيابة القدس ، ثم اعفى . وولي غرس الدين مناصب أخرى . وكان « يتعاني الادب مع اشتغال ومشاركة فيه ، ومذاكرة حسنة بالتاريخ والشعر » . وله ديوان شعر . وصنف مصنفات في الفقه والتفسير والتعبير والتاريخ والانشاء ، وغيرها . توفي بطرابلس سنة ٨٧٣هـ .

(انظر : الضوء اللامع ٣/١٩٥ - ١٩٧ ، هدية العارفين ١/٣٥٣ - ٣٥٤ ، الاعلام

٢/٣٦٧) .

(١٠٠) زبدة كشف الممالك ٢٣ .

كانوا يفتون اليها من جميع الأنحاء(١٠١) في سبيل العلم أو الزيارة .
أو التعبد ، أو في سبيلها جميعا .

وأما دور القرآن والحديث ، فقد أنشئت اثنتان منها ، دار للحديث ،
وأخرى للقرآن ، ففي عهد الظاهر بيبرس ، أنشأ الأمير شرف الدين عيسى
ابن بدر الدين الهكاري(١٠٢) دارا للحديث سنة ٦٦٦هـ(١٠٣) . هذا
بالإضافة الى دار حديث كانت في المدرسة التنكزية(١٠٤) .

وفي عهد حسن بن محمد بن قلاوون ، أنشئت دار للقرآن سنة ٧٦١هـ ،
وقد وقفها سراج الدين عمر بن أبي بكر السلامي ، فنسبت اليه(١٠٥) .

وعني سلاطين المماليك عناية خاصة بالمسجد الأقصى ، والصخرة
الشريفة ، فالظاهر بيبرس «جدد ما تداعى من قبة الصخرة ، وجدد
السلسلة وزخرفها سنة ٦٥٩هـ(١٠٦) . وفي الثالث عشر من جمادى
الآخرة ، سار الظاهر بيبرس الى بيت المقدس لتفقد أحواله ، فخصص
خمسة آلاف دينار للمسجد(١٠٧) للعمل على تسيير أموره العمرانية
والفكرية ، وغيرها .

(١٠١) انظر : الفصل في تاريخ القدس ٢١٨ ، قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى
المبارك ٣٤ .

(١٠٢) عيسى بن محمد بن أبي القاسم بن محمد الكردي الهكاري . مقدسي المولد . وهو
من اعيان الامراء في عهد الظاهر بيبرس . وله وقائع معدودة مع العدو . وكان ذا
معرفة بالادب . وروي له قليل من الشعر . توفي سنة ٦٦٩هـ .

(انظر : النجوم الزاهرة ٧/٢٣٣ ، الانس الجليل ، الاعلام ٥/٢٩٤) .

(١٠٣) الانس الجليل ٢/٤٢ ، خطط الشام ٦/١٢٢ .

(١٠٤) الانس الجليل ٢/٣٥ ، خطط الشام ٦/١١٧ ، الفصل في تاريخ القدس ٢٤٤ .

(١٠٥) الانس الجليل ٢/٤٥ ، خطط الشام ٦/١٢٢ .

(١٠٦) السلوك ، ج ١ ، ق ٤٤٥/٢ ، ٦٠٨ ، فوات الوفيات ١/٢٤٣ ، الانس الجليل
٢/٨٧ ، ٨٩ .

(١٠٧) السلوك ، ج ١ ، ق ٤٩١/٢ ، الاعلاق الخطيرة ٢٣٧ .

وفي عهد المنصور قلاوون «عمر سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة» (١٠٨) . وفي عهد الملك كتبغا ، زين الدين المنصوري ، «جدد عمل فصوص الصخرة الشريفة ، وجدد عمارة السور الشرقي في سنة ٦٩٥هـ (١٠٩) . وفي عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، عمرت الأروقة الواقعة في الجهة الغربية للمسجد الأقصى ، والممتدة «من جهة القبلة الى جهة الشمال ، أولها عند باب المسجد المعروف بباب الغوانمة ، وآخرها عند الباب المعروف بباب الناظر ، وفوقه الى قرب باب الغوانمة» . وقد عمر الرواق الممتد من باب المغاربة الى باب السلسلة في سنة ٧١٣هـ ، وعمر الرواق «الممتد مما يلي منارة باب السلسلة الى قريب باب الناظر في سنة ٧٣٧هـ» ، وكان الرواق «الممتد من باب الناظر الى قرب باب الغوانمة» قد عمر في سنة ٧٠٧هـ (١١٠) . وكانت هذه الأروقة وغيرها من الأروقة في المسجد الأقصى مراكز علمية .

وعني الملك الناصر بالأقصى والصخرة ، فرخم الأقصى ، وجدد تذهيب الأقصى والصخرة (١١١) . وفي عهد الملك الناصر حسام الدين لاجين ، جددت عمارة محراب داود ، عليه السلام ، وعمرت منارة الغوانمة بالمسجد الأقصى (١١٢) .

وفي عهد الملك الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون ، جددت أبواب المسجد الأقصى ، وبنيت الأروقة الواقعة في الجهة الشمالية للمسجد الأقصى ، والممتدة من «باب الأسباط الى المدرسة الجاولية» في سنة ٧٦٩هـ (١١٣) .

* * *

(١٠٨) الانس الجليل ٨٩/٢ .

(١٠٩) نفسه ٩٠/٢ .

(١١٠) الانس الجليل ٢١/٢ ، وانظر : تاريخ الحرم القدسي ٨٥ ، ٨٦ .

(١١١) الانس الجليل ٩٢/٢ ، وانظر : المفصل في تاريخ القدس ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، تاريخ الحرم القدسي ٥٠ .

(١١٢) الانس الجليل ٩١/٢ ، ٢٧١ .

(١١٣) الانس الجليل ٢٢/٢ ، وانظر : تاريخ الحرم القدسي ٨٦ .

ومن مظاهر هذه العناية ما فعله بعض سلاطين المماليك في مجال القراءات ، ففي عهد الملك الأشرف برسباني ، وضع مصحفا شريفا بداخل الجامع تجاه المحراب ، بازاء دكة المؤذنين في الصخرة ، وهو «مصحف كبير عظيم ، أهدي اليه بدمشق» . ووقف عليه وقفا ، وعين الشيخ شمس الدين محمد بن قَطْلُوبُغا الرملي المقرئ للقراءة فيه ، وكان قارئاً مشهوراً في الحفظ وحسن الصوت . ثم حل ابنه زين الدين عبد القادر في وظيفة والده بعد وفاته(١١٤) .

وصنع الملك الظاهر نمق صنيع سابقة ، فوضع مصحفا شريفا بالصخرة ، ورتب له قارئاً من أشهر القراء في بيت المقدس ، وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن خليل بن أبي بكر القباقي(١١٥) ، ثم خلفه ابنه برهان الدين أبو اسحق ابراهيم(١١٦)(١١٧) .

واقتمدى الملك الأشرف اينال بسابقيه ، فوضع مصحفا شريفا بالمسجد الأقصى ، ورتب له قارئاً ، ووقف عليه جهة(١١٨) .

وجاء الملك الظاهر خشقدم ، فصنع صنيعهم ، ووضع مصحفا كبيرا بالصخرة الشريفة بازاء مصحف الملك الظاهر جقمق(١١٩) .

ولا شك أن هذا الصنيع يعكس عاملا من عوامل تقدم الحركة الفكرية في بيت المقدس ، كما يمثل مظهرا من مظاهرها . ولا شك أن أولئك القراء الذين عينهم السلاطين كانوا يقرئون طالبي العلم في هذا المجال وغيره ، ومما يؤيد ذلك أنهم كانوا يختارون من أشهر المقرئين في بيت

(١١٤) الانس الجليل ٩٦/٢ ، ٢٠١ .

(١١٥ و١١٦) سننفضل القول عنهما عند الحديث عن القراءات .

(١١٧) الانس الجليل ٩٧/٢ ، ١٨٠ ، نظم العقيان ١٤٨ .

(١١٨) الانس الجليل ٩٨/٢ ، ٩٩ .

(١١٩) نفسه ٩٩/٢ .

المقدس من أمثال القباقي وابنه كما تقدم ، فالقباقي الوالد ، « انتهت اليه
الرياسة في هذا الفن» ، وصنف في القراءات الأربع عشرة ، وقرأ عليه
'الكثيرون (١٢٠) . وسنفضل القول في هذا في الحديث عن القراءات .

لم يقتصر الأمر على انشاء المدارس ، والعناية بالأقصى والصخرة ،
فقد أنشئت الرباطات والزوايا والخوانق أيضا ، وهي مؤسسات دينية
فكرية اجتماعية كما تقدم ، وتؤدي دورها في مختلف هذه المجالات .
وستبين دورها في الحركة الفكرية فيما بعد ، في كتاب آخر .

أنشئ في عهد الظاهر بيبرس رباط علاء الدين البصير (١٢١) في سنة
٦٦٦هـ ، وقد وقفه على الفقراء القادمين الى بيت المقدس للزيارة (١٢٢) .
ووقف عدة قرى بأعمال الشام والقدس لصرف ريعها لمن يرد الى القدس
من المشاة (١٢٣) .

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون ، أنشأ السلطان نفسه الرباط
المنصوري (١٢٤) نسبة اليه ، في سنة ٦٨١هـ ، ووقفه على الفقراء القادمين
الى بيت المقدس زائرين أيضا (١٢٥) . وواضح من هذا ، أن هذين الرباطين ،
كانا يؤديان مهمات اجتماعية تمثلت في سد حاجات الفقراء الوافدين .

(١٢٠) انظر : الانس الجليل ١٧٩/٢ ، نظم العقبان ١٤٨ ، كشف الظنون ٢٠٩/١ .
(١٢١) يقع هذا الرباط شمالي الطريق الموصلة الى الحرم من جهة باب الناظر . وكان علاء
الدين قدولي نظر القدس ، فعمره ، وكان ناظر الحرمين في ايام الظاهر بيبرس الى
ايام المنصور قلاوون ، وأنشأ منشآت في بيت المقدس والخليل .
(الانس الجليل ٤٣/٢ ، ٢٧٠ - ٢٧١ ، خطط الشام ١٤٩/٦ ، المعاهد المصرية
في بيت المقدس ٧) .

(١٢٢) الانس الجليل ٤٣/٢ ، ٢٧٠ ، وانظر : تاريخ الحرم القدسي ٨٩ .
(١٢٣) السلوك ، ج ١ ق ٥٢١/٢ .
(١٢٤) يقع هذا الرباط قبلي الطريق الموصلة الى الحرم ، من باب الناظر ، تجاه رباط
البصير . (الانس الجليل ٤٣/٢ ، ٨٩ ، خطط الشام ١٤٩/٦)
(١٢٥) الانس الجليل ٤٣/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦ .

لم يكن الرباط مركزا للمتصوفة فحسب ، فقد كان دارا للاعداد للجهاد ، ومركزا للعلم ، ومركزا للتعبد ، ويؤيد ذلك ما ذكر عن «رباط الكرد» الذي أنشأه المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية في سنة ٦٩٣هـ (١٢٦) ، فقد كان مدرسة تسمى «مدرسة رباط الكرد» (١٢٧) ، كما سنتبينه بالتفصيل في الحديث عن دور الرباطات في الحركة الفكرية في كتاب قادم .

ومن هذه الرباطات ، رباط المارديني (١٢٨) ، وقد خصص للوافدين من ماردين (١٢٩) ، وكان موقوفا عليهم ، وقد وقفته امرأتان من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين ، في سنة ٧٦٣هـ (١٣٠) .

وكان العلماء يتخذون من الرباطات أماكن للمطالعة من ناحية ، والكتابة من ناحية أخرى ، وهم يشتغلون فيها بالعلم ، ويؤلفون الكتب ، وبخاصة في مجال التصوف (١٣١) . ومن الجدير بالقول أن هذه الرباطات، أنشئت في ظل ازدهار التصوف الذي نال تشجيعا كبيرا في العصر المملوكي ، وفي العصر الأيوبي قبله .

ومن الزوايا التي أنشئت في بيت المقدس ، زاوية المصمودي أو زاوية المغاربة (١٣٢) ، فقد وقفها الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي

-
- (١٢٦) يقع هذا الرباط بباب الحديد ، جوار السور ، تجاه المدرسة الارغونية .
(الانس الجليل ٣٧/٢ ، خطط الشام ١١٨/٦ ، المعاهد المصرية في بيت المقدس ٨) .
(١٢٧) الانس الجليل ٣٧/٢ .
(١٢٨) يقع هذا الرباط بباب حطة ، مقابل المدرسة الكاملة .
(الانس الجليل ٤٢/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦) .
(١٢٩) ماردين : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة ، وكانت فيها اسواق وخانات ومدارس وربط وخوانق . (معجم البلدان ٣٩/٥) .
(١٣٠) الانس الجليل ٤٢/٢ .
(١٣١) انظر : اصالة الحضارة العربية ٤٠١ - ٤٠٢ .
(١٣٢) تقع بأعلى حارة المغاربة ، وتنسب الى من وقفها .
(الانس الجليل ٤٥/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦) .

المصمودي المجرّد (١٣٣) ، على الفقراء المغاربة في سنة ٧٠٣هـ ، وقد أنشأها من ماله (١٣٤) . وكانت لها مشيخة تولّاها شيوخ مغاربة كما سنتحدّث فيما بعد .

كانت الزوايا تتمتع بمركز ديني وعلمي واجتماعي ، فقد كانت مركزا لاطعام الطعام ، وايواء الوافدين ، وكانت تقام فيها الأذكار والأوراد والأدعية ، كما كانت تعقد فيها المجالس العلمية . وتتجلى أهمية الزوايا العلمية في عنايتها بالعلم من ناحية ، والتصوف - سلوكا وعلمًا - من ناحية أخرى . ولم يكن التصوف هو الموضوع الوحيد الذي يدرس فيها ، فقد كانت الزوايا تدرس موضوعات مختلفة مثل القراءات ، والتفسير ، والحديث ، واللغة ، والأدب ، والتوقيت ، والمنطق ، وغير ذلك . ولا شك أن تدريس هذه الموضوعات يعكس لنا الدور الفكري الذي كانت الزوايا تقوم به . وبهذا يمكن القول : ان الزوايا كانت مراكز للتعبّد من ناحية ، ومراكز للعلم من ناحية أخرى .

ويبدو هذا الدور الفكري جليا فيما قامت به الزوايا في بيت المقدس ، في مضمار الحركة الفكرية ، فزاوية المغاربة المذكورة كانت تؤدي خدمات اجتماعية كما تقدم .

ومثل هذه الزاوية ، زوايا أخرى ، قامت بدور ديني وعلمي واجتماعي ، ومنها الزاوية الوفائية (١٣٥) ، والزاوية البسطامية (١٣٦) ، وزاوية الشيخ

(١٣٣) وهو رجل صالح ، ولم تذكر المصادر التي وقفنا عليها معلومات كافية عنه . توفي

في بيت المقدس . (أنظر : الانس الجليل ٢/٢٤٣) .

(١٣٤) الانس الجليل ٢/٤٥ ، ٢٤٣ ، خطط الشام ٦/١٤٩ .

(١٣٥) تقع بباب الناظر تجاه المدرسة المنجكية ، ويتوصل منها الى المسجد الاقصى .

(الانس الجليل ٢/٣٧ ، ٤١ ، خطط الشام ٦/١٤٨) .

(١٣٦) تقع بحارة المشاركة في شرقي القدس . وذكر أن النصارى الشرقيين في القدس اصلهم

من البلقاء وعمان ، وعرفوا بالشرقيين لأنهم سكنوا محلة في شرقي القدس .

(الانس الجليل ٢/٤٨ ، ١٦٢ ، خطط الشام ١٥٠) .

محمد القرمي (١٣٧) ، وغيرها (١٣٨) . وقد تولى مشيخة كل من الزاويتين
الوفائية والبسطامية عدد من العلماء ، وعقدوا المجالس ، ودرسوا التصوف ،

(١٣٧) كانت هذه الزاوية من جملة أوقاف الامير ناصر الدين محمد بن علاء الدين شاه
ابن ناصر الدين ، وكان الامير المذكور ذا اعتقاد بالشيخ محمد القرمي . وقد وقف
عليه وعلى ذريته ثلث جهاته . (الانس الجليل ١٦١/٢) .

(١٣٨) ومن تلك الزوايا :

- الزاوية الشيوخية نسبة لشيخون ابن واقفها الامير سيف الدين قطيشا بن علي
ابن محمد ، وواقفها من رجال حلقة دمشق ، وكان مجاورا بالقدس ، واشرف
بنفسه عليها ، ثم اشرف ابنه عليها من بعده . وتقع بالقرب من المدرسة الصلاحية .
(الانس الجليل ٤١/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦) .

- الزاوية الممازية نسبة الى الشيخ كمال الدين الممازي . وأنشئت في عهد
المملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، ووقف عليها قرية من اعمال
بيت المقدس في سنة ٧٤٥هـ . وكانت وقفا على المشايخ المقيمين بها . وتقع
بالقرب من المدرسة المعظمية . (الانس الجليل ٤٢/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦) .

- الزاوية المحمدية : تنسب الى واقفها محمد زكريا الناصري ، وقد وقفها في
سنة ٧٥١هـ . وتقع بجوار المدرسة البارودية . وهي خراب في أيامنا هذه .
(الانس الجليل ٤٤/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦) .

- الزاوية اليونسية : تقع مقابل المدرسة البارودية ، وتنسب للفقراء اليونسية ،
وواقفها مجهول . وهي موجودة . (الانس الجليل ٤٤/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦) .

- الزاوية الطراشية : وقفها الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن جلال الدين
ابن عرب بن فخر الدين أحمد ، وكان مجاورا في بيت المقدس في سنة ٧٥٣هـ .
وتقع بحارة الاكراد . (الانس الجليل ٤٥/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦) .

- زاوية البلاسي : تنسب الى الشيخ الصالح أحمد البلاسي . وتقع بظاهر القدس
الشريف من جهة القبلة . (الانس الجليل ٤٦/٢ ، خطط الشام ١٤٩/٦) .

- زاوية الازرق : تنسب الى الشيخ ابراهيم الازرق . وتقع بظاهر القدس الشريف
من جهة القبلة ، شرقي زاوية انبلاسي . (الانس الجليل ٤٦/٢ ، خطط
الشام ١٤٩/٦) .

- زاوية الهنود : كانت للفقراء الرفانية ، ثم نزلت بها طائفة من الهنود، فنسبت
اليهم . وتقع بظاهر باب الاسباط . (الانس الجليل ٤٦/٢ ، خطط الشام
١٥٠/٦) .

- الزاوية الحمراء : كانت للوفائية ، الى جانب زاويتهم السابقة ، وتنسب الى
فقرائهم . وتقع بالقرب من الخانقاه الصلاحية بجوار جامع سيدنا عمر ، رضي الله
عنه . (الانس الجليل ٤٧/٢ ، خطط الشام ١٥٠/٦) .

واشتغلوا بالتدريس خارج الزوايا أيضا ، فدرس بعضهم في الأقصى ،
ودرس بعضهم الآخر في المدرسة الصلاحية • واشتغلوا بنسخ الكتب ،
وغير ذلك (١٣٩) .

وأما الخوانق ، فقد قامت بدورها في الحركة الفكرية أيضا ، كما
كانت تقوم بدور ديني واجتماعي ، وكانت مراكز عبادة وعلم كغيرها
من المؤسسات الدينية الاسلامية •

ومن هذه الخوانق في العصر المملوكي ، الخانقاه الفخرية (١٤٠) ،
وتنسب الى واقفها القاضي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن فضل الله ،
ناظر الجيوش الاسلامية (١٤١) • وكانت هذه الخانقاه مدرسة الى جانب
كونها خانقاه ، كما يقول مجير الدين الحنبلي (١٤٢) • وقد تولى مشيختها
عدد من العلماء الذين اشتغلوا بالعلم فيها ، كما اشتغلوا فيه خارجها ،
في الأقصى والصلاحية ، وغيرهما (١٤٣) • وكانت الخانقاه الفخرية غنية
بالكتب ، فقد كانت فيها دار للكتب (١٤٤) ، ومن هذا يتبين لنا أن الخانقاه
الفخرية كانت تقوم بدور ملموس في الحركة الفكرية ، في بيت المقدس ،
سنتبينه في الحديث عن دور الخوانق في الحركة الفكرية •



(١٣٩) انظر : عن مشايخ الوفاية : الضوء اللامع ٧/١٩٦ ، ١١/٨٤ ، ٨٥ ، الانس الجليل
٢/٢١١ ، ٢١٢ • وانظر عن مشايخ البساطمية : الانس الجليل ٢/١٥٧ •

(١٤٠) تقع بجوار السور من جهة الغرب ، وهي داخل سور المسجد الأقصى ، وبابها من
داخل المسجد ، وهو عند الباب الذي يخرج منه الى حارة المغاربة • وهي الى جانب
ذلك الجامع ، على بعد مائتي متر تقريبا من المسجد الأقصى • (الانس الجليل
٢/٣٤ ، خطط الشام ٦/١٤٨) •

(١٤١) كان فخر الدين مهتما بالعلم وأهله ، وكانت له اوقاف كثيرة • وقد بني عدة
مساجد ومدارس • (الانس الجليل ٢/٣٤ ، خطط الشام ٦/١٤٨) •

(١٤٢) الانس الجليل ٢/٣٤ ، وانظر : الحضرة الانسية في الرحلة القدسية ٣٧ •

(١٤٣) انظر : الضوء اللامع ٧/٨٤ ، الانس الجليل ٢/١٩٣ •

(١٤٤) مجلة المجمع العربي - دمشق - المجلد العشرون ٢٣٨ •

كانت العناية بالوافدين الى بيت المقدس كبيرة ، كما تقدم ، وقد اقتضت تلك العناية انشاء عدد من الخانات ، الى جانب المدارس ، والخوانق والزوايا والرباطات وغيرها . ولا شك أن ذلك يشجع على القدوم الى بيت المقدس ، للتعبد والعلم ، ويعود على الحركة الفكرية فيها بالخير . ومما يذكر في هذا الصدد ، أن سلاطين المماليك ، عمروا الخانات ، ومن ذلك مما عمره الظاهر بيبرس ، فقد عمر خاناً للسبيل بظاهر القدس في سنة ٦٢٦هـ ، وهو المعروف بخان الظاهر ، ووقف عليه نصف قرية لفتا ، وغيرها من القرى (١٤٥) . وبنى بالخان «مسجداً وطاحونا وبستانا وفرناً» وعين اماماً للمسجد (١٤٦) .



كانت بيت المقدس مشهورة بعلمائها ، في العصر المملوكي ، فكان فيها «جماعة من العلماء وشيوخ الاسلام المعتمد عليهم ، منهم : الشيخ تقي الدين القرشندي ، والشيخ كمال الدين بن أبي شريف ، وأخوه برهان الدين بن أبي شريف ، وأبو العباس المقدسي ، والشيخ ماهر المصري ، والشيخ برهان الدين العجلوني ، وغيرهم من الأماثل المعتبرين» (١٤٧) .

ولما زار ابن بطوطة بيت المقدس ، في العصر المملوكي سنة ٧٢٦هـ ، وصفها بأنها كانت عامرة بالعلماء ، ومن العلماء الذين لقيهم ، وذكرهم : قاضي بيت المقدس محمد بن سالم الغزي ، وخطيبها الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي ، ومدرس المالكية أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس ، والشيخ الزاهد أبو علي حسن المعروف بالمحجوب ، والشيخ الصالح كمال الدين المراغي ، والشيخ الصالح العابد أبو عبد

(١٤٥) ذكر ابن تغري بردي أنها : الطرة من اعمال اربد ، والمشرفة من اعمال بصرى في حوران . ويقال ان البناء ما يزال قائماً . (انظر : النجوم الزاهرة ٧/١٢١ ، بلادنا فلسطين ٢٦٠) .

(١٤٦) فوات الوفيات ١/٢٤٣ ، الانس الجليل ٢/٨٧ ، وانظر : النجوم الزاهرة ٧/١٢١ .
(١٤٧) الانس الجليل ٢/١١٦ .

الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أرز الروم، وقد صحب ابن بطوطة الشيخ الأخير ، وأخذ عنه ، ولبس منه خرقة التصوف (١٤٨) . لقد كان هؤلاء العلماء الذين ذكرهم ابن بطوطة قليل من كثير ، وواضح أن العلماء الذين ذكرهم ابن بطوطة كانوا مقادسة أو وافدين الى بيت المقدس .

كانت بيت المقدس مأوى العلماء في عهد الظاهر بيبرس ، وكان بيبرس ممن يعنون بالعلم وأهله ، ومما يذكر في هذا المجال أنه كان يعنى بالتاريخ عناية خاصة ، وروي أنه «كان يميل الى التاريخ وأهله ميلا زائدا ، ويقول: «سماع التاريخ أعظم من التجارب» (١٤٩) .

وكان الملك المؤيد شيخ المحمودي يحب مجالسة العلماء ، ويحرص على الاستماع الى نصائحهم ، ويحسن الى أهل العلم والفضل ، ويفرق «الذهب والفضة على أهل المدارس ، والخوانق ، وأصحاب الزوايا ، حتى لم يُبَقْ منهم أحدا الا وقد شمله شيء من ذهب وفضة مما يكفيه الى مدة طويلة» (١٥٠) وروي أنه كان «يذكر بنفسه المتقطعين من العلماء ، ويرسل اليهم جملة من الذهب» .

وممن أرسل اليهم شيئا من ذلك ، الشيخ الامام عز الدين بن جماعة، فقد «كان يرسل اليه في كل مرة من الذهب الأحمر خمسين دينارا ، ومصارفتها اثنا عشر ألف درهم» (١٥١) . وكان العلماء في بيت المقدس يحظون بتقديره ، ومن ذلك مثلا ، أنه لما «قدم الشيخ شمس الدين الهروي من القدس الشريف الى القاهرة ، تلقاه بالقبول والتعظيم ، ثم أنزله في بيت عظيم ، ورتب له كل يوم مائتي درهم ، وثلاثين رطلا من اللحم الضان ، وأنعم عليه ببدلتين من القماش المختلف ، ما بين صوف

(١٤٨) رحلة ابن بطوطة ٥٥ .

(١٤٩) النجوم الزاهرة ٧/ ١٨٢ ، وانظر : المعر المماليكي في مصر والشام ٢٨٩ .

(١٥٠) السيف المهند ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(١٥١) نفسه ، ٢٢٦ .

وسنجاب وأبيض ، وغير ذلك • وأركبه فرسا خاصا» (١٥٢) • ولما قدم الشيخ شمس الدين الديري الحنفي المفتي في بيت المقدس ، «تلقاه بالقبول ، ثم ولاه قضاء قضاة الحنفية» (١٥٣) .

وكان السلطان شيخ المحمودي يعقد مجلسا في منزله لقراءة البخاري، وكان يصرف الكثير من الذهب والفضة للقراء وغيرهم من العلماء (١٥٤) • وكان يجتمع بالعلماء في يومي الأحد والأربعاء ، «يتباحثون بالعلوم الشريفة ، ويتذاكرون من المسائل العويصة ، وهو يسمعهم ، وربما يشاركهم بلطف وأدب» • وكان يجتمع عنده العلماء في ليالي الجمع أيضا ، فقد روي أنه كان يجتمع عنده ، في غالب ليالي الجمع ، عدد من الفقهاء والقراء والوعاظ ، يقرأون ويتباحثون وينشدون القصائد والموشحات ، وكان «يقعد معهم الى أنصاف الليالي ، فالقراء يتلون كتاب الله ، والعلماء يتباحثون بالعلوم ، والوعاظ ينشدون القصائد والموشحات ، ويمضي كل وقت لا يوجد له نظير • وأعد لهم من الأطعمة المختلفة ، والمواكيل الطيبة ، والمشارب الرائقة ، والفواكه البديعة ، بحيث انهم يأكلون من ذلك ويحملون ، وهذا شيء لم يفعله أحد قبله من الملوك • ومع هذا يحسن الى كل واحد منهم بحسب ما يليق بحاله» كما يقول بدر الدين العيني (١٥٥) .

وعندما زار الملك المؤيد بيت المقدس في سنة ٨٢٠هـ ، جلس في المسجد الأقصى بعد الصلاة ، وقريء صحيح البخاري في ذلك المجلس • وقد شارك فيه الفقهاء وغيرهم من بيت المقدس والقاهرة (١٥٦) .

(١٥٢) السيف المهند ٢٢٦ •

(١٥٣) نفسه ٢٢٧ •

(١٥٤) نفسه ٢٢٧ •

(١٥٥) نفسه ٢٧٤ •

(١٥٦) السلوك ، ج ٤ ، ق ٤٤١/١ •

وإذا كنا قد تحدثنا عن عدد من عوامل الحركة الفكرية ، ممثلة في انشاء المؤسسات العلمية الكثيرة ، وتشجيع العلم وأهله ، فاننا نشير الى عامل آخر ، وهو وجود عدد من المكتبات في بيت المقدس ، ومنها مكتبة في المدرسة الفارسية(١٥٧) ، وأخرى في المدرسة البلدية(١٥٨) ، وثالثة في المدرسة الاسعدية(١٥٩) . هذا بالإضافة الى دار الكتب في المسجد الأقصى ، ودار كتب الخانقاه الفخرية . ومن الجدير بالاشارة هنا أنه كان من المتعارف عليه أن تكون خزانة كتب في كل مدرسة ، وفي كل مسجد ، وفي غيرها من المراكز العلمية . ويضاف الى هذا كله ، المكتبات الخاصة في منازل العلماء ، ومنها مكتبة الشيخ برهان الدين بن جماعة ، خطيب الأقصى ، ومدرس الصلاحية(١٦٠) . ولا شك أن دور الكتب تمثل مظهرا من مظاهر الحركة الفكرية ، الى جانب كونها عاملا مهما فيها . وسنفصل القول في دور الكتب هذه في فصل خاص بها .

ومن هذا ، يتبين لنا أن الحركة الفكرية كانت نشطة متقدمة ، في العصر المملوكي . ويعلل السيوطي هذا النشاط العلمي ، بالربط بين ذلك النشاط ، وبين احياء الخلافة العباسية في القاهرة ، في عهد الظاهر بيبرس ، بعد سقوطها في بغداد على يد التتار(١٦١) .

ويعلل بعض الباحثين تشجيع سلاطين المماليك للعلماء بأنهم ، أي المماليك ، كانوا يحسون «بأنهم غرباء عن البلاد وأهلها ، وأنهم بحاجة الى دعامة يستندون اليها في حكمهم ، ويستعينون بها على ارضاء الشعب ، فلم يجدوا أمامهم سوى فئة العلماء» ، فاحترمهم وشجعوهم(١٦٢) .

(١٥٧) انظر : خطط الشام ١١٧/٦ .

(١٥٨) انظر : خطط الشام ١١٧/٦ ، الفصل في تاريخ القدس ٢٥١ .

(١٥٩) انظر : خطط الشام ١١٩/٦ .

(١٦٠) انظر : الدرر الكامنة ٤٠/١ ، انباء الغمر ٣٥٥/١ .

(١٦١) حسن المحاضرة ٨٦/٢ ، وانظر : العصر المالكي في مصر والشام ٣٢٩ .

(١٦٢) العصر المالكي في مصر والشام ٣١١ .

ويعمل هذا الباحث نفسه اكثر سلاطين المماليك من انشاء المدارس ،
«ليتخذوا من المدرسة أداة تضمن بقاء الحكم في أيديهم ، وتساعدهم على
تدعيم مركزهم في أعين الشعب» (١٦٣) . واذا صحت هذه الآراء ، أو لم
تصح ، فإن المهم هو أن اجلال العلماء وتشجيعهم ، والاغداق عليهم قد
حدث ، وان انشاء المدارس وغيرها من المراكز العلمية ، لاقى ازدهارا .



لم يقتصر الأمر على السلاطين ، في العناية بالأقصى وتشجيع الحركة
الفكرية فيه ؛ فقد شارك في ذلك عدد من القضاة والعلماء . وعملوا على
تشجيع الاشتغال بالعلم في المسجد الأقصى . ومن ذلك ما ذكر من أن
قاضي دمشق علاء الدين العسقلاني الحنبلي ، عين في سنة ٧٧٣هـ معلوما
لجماعة من الحنابلة «يصرف لهم من وقف المرحوم شمس الدين محمد بن
معمر (١٦٤) بشرط ملازمة الاشتغال والاجتماع في الأيام المعتادة للدرس
بالمسجد الأقصى الشريف» (١٦٥) . وذكر مجير الدين الحنبلي عشرة من
الشيوخ الحنابلة (١٦٦) ، وبين أنهم قدموا الى بيت المقدس ، وأقاموا فيه .
ومن الواضح أن قاضي دمشق المذكور ، عمل على تشجيع الاشتغال بالعلم
في المسجد الأقصى ، وأنه خص الحنابلة بعنايته . والمهم في هذه الرواية ،
تشجيع طالبي العلم على ملازمة الاشتغال به في الأقصى ، في الأيام المعتادة
كما يقول مجير الدين الحنبلي . وتتساءل هنا ، عن الأيام المعتادة هذه ،

(١٦٣) العصر المماليكي في مصر والشام ٣٣٠ ، ٣٣١

(١٦٤) لم نقف له على ترجمة .

(١٦٥) الانس الجليل ٢/٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١٦٦) وهم : الشيخ المحدث المتقن شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن المهندس
المدرس الحنبلي ، والشيخ عبد الرحمن شيخ الوجيية ، وولده الشيخ اسماعيل ،
والشيخ أبو عبدالله المرادوي ، وشمس الدين محمد البغدادي ، والشيخ علي الهيثمي ،
والشيخ محمد بن المهندس ، وزين الدين عبد الرحمن بن الشيخ سراج الدين القبايبي
المقدسي الحنبلي . (انظر : الانس الجليل ٢/٢٥٩ ، ٢٦٠) .

ولكن المصادر التي وقفنا عليها ، لم تسعفنا في تحديد تلك الأيام .
وأغلب الظن أن التدريس كان يتم في كل أيام الأسبوع ، وكانت أهم تلك
الحلقات العلمية ، ما كان يعقد يوم الجمعة ، بعد صلاة العصر . وكان
يلتقي فيها الفقهاء ، والمحدثون ، والأدباء ، والقراء ، وغيرهم . وذكر في
هذا المجال ، أن جامع عمرو بن العاص بمصر مثلا ، كان يقص بالعلماء ،
وطالبي العلم ، والحلقات العلمية التي كانوا يعقدونها(١٦٧) . ولا شك
أن هذا الأمر كان شائعا في المساجد التعليمية بعامة ، ومنها المسجد
الأقصى .

ومن الملاحظ أن المشتغلين بالعلم ، ممن تقدم ذكرهم ، كانوا من بلدان
مختلفة : بغداد ، ورأس عين(١٦٨) ، ودمشق ، ومردا(١٦٩) ، وبيت
المقدس ، وغيرها . ويبين لنا هذا أن المشتغلين بالعلم في بيت المقدس ،
كانوا مقادسة ووافدين الى بيت المقدس . لقد كانت القدس تستقطب
العلماء وطالبي العلم من بلاد كثيرة .

ومن العلماء المقادسة ، من كان يشجع على الاشتغال بالعلم منفقا على
الطلبة من ماله ، ومنهم الشيخ برهان الدين أبو اسحق ابراهيم ابن أحمد
العجلوني ثم المقدسي الشافعي(١٧٠) ، فقد ذكر أنه انتمى اليه فقراء

(١٦٧) انظر : تاريخ الجامع الازهر ٦٢ .

(١٦٨) مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر . وفيها عيون كثيرة ،
تنجم وتكون نهر الخابور ، ويقول العامة : رأس العين ، (انظر : معجم البلدان
١٣/٢ - ١٤) .

(١٦٩) قرية قرب نابلس . اخرجت العديد من العلماء ، (انظر : معجم البلدان ١٠٤/٥) .
(١٧٠) كان من أهل العلم والافتاء ، ومن أعيان الشافعية في بيت المقدس ، وجمع برهان
الدين بين الاشتغال بالعلم والاشتغال بالتجارة . توفي بالتجارة سنة ٨٨٧هـ ،
بعد أن اقام فيها سبع سنوات منذ قدمه اليها .

(انظر : الضوء اللامع ١١/١ ، ١٢ ، الانس الجليل ٢٠٢/٢) .

الناس لاقرائهم ، فأقرأهم ، وكان «يتفق على من كانوا ينتمون اليه ، فافتقر بعد أن بذل كل ماله في سبيل العلم والتعليم» (١٧١) .

وليس هذا فحسب ، فإننا نجد من العلماء من يشترط فيمن يقرأ عليه القرآن ، أن يشتغل بالعلم ، ويقيم عنده ، والا فليرحل عنه . ومن ذلك ما ذكر عن الشيخ أبي حفص عمر بن يعقوب البغدادي ثم المقدسي المعروف بالمجرد (١٧٢) ، أنه «كان اذا قرأ القرآن عنده أحد يخيره بسين الإقامة عنده بشرط أن يشتغل بالعلم ، ويعطيه كتابا ، أو يذهب» . ولم يكن «يدع أحدا يقعد عنده بطالا» . وكان الشيخ أبو حفص عمر ، قد أقام زاوية بالخليل ، «ورتب فيها من يتعلم القرآن ، وأجرى لهم المعاليم» (١٧٣) .

ومن العلماء من اشتغل بالعلم تبرعا ، ومن ذلك ما ذكر عن شيخ الاسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن أرسلان الرملي المقدسي الشافعي ، المعروف بابن أرسلان ، وهو من أشهر العلماء في بيت المقدس ، فقد «آثر الاشتغال تبرعا ، ورفض أن يلي مئيشخة مدرسة الأمير حسام الدين (١٧٤) ناظر القدس والخليل ، عندما عرضها عليه ، وكان قد قرر له عشرة دراهم فضية يوميا ، فأبى ذلك» (١٧٥) .

(١٧١) الضوء اللامع ١٢/١ .

(١٧٢) كان الشيخ أبو حفص قد قدم من بغداد الى دمشق ، وعني فيها بالحديث ، ثم قدم الى بيت المقدس سنة ٧٧٥هـ ، ثم اقام في الخليل ، وتوفي فيها سنة ٧٩٥هـ .
(انظر : الانس الجليل ١٦٣/٢) .

(١٧٤) وهو الامير حسام الدين أبو محمد الحسن بن ناصر الدين محمد بن جمال الدين عبدالله الشهير بالكشكلي الحنفي ناظر الحرمين ونائب السلطنة . كان من الامراء المعتبرين . عمر المدرسة الحسينية المعروفة بباب الناظر ، ووقف عليها اوقافا ، ورتب فيها وظف من التصوف وغيره . توفي في بيت المقدس سنة ٨٤٢هـ .
(انظر : الانس الجليل ٢٧٥/٢) .

(١٧٥) الضوء اللامع ٢٨٣/١ ، ٢٨٤ .

ولا شك أن صنيع هؤلاء العلماء وأمثالهم ، يدل على مدى استغراق العلماء في تحصيل العلم ، والعمل على نشره . وفي ذلك حافز فعال على تشجيع العلماء ، والاقتداء بهم في صنيعهم ، كما أن فيه حافزا فعالا في تشجيع الطلبة على تلقي العلم ، وتحصيله ، والعمل على التفوق في مضماره .

ومما شجع على السير الدؤوب في الاشتغال بالعلم ، المكانة المرموقة التي كان العلماء يحظون بها لدى الخاصة والعامة ، من أمثال كمال الدين ابن أبي شريف ، وبرهان الدين الأنصاري ، ونجم الدين بن جماعة ، وغيرهم من كبار العلماء في بيت المقدس .



وقام عدد ممن تولوا النيابة في القدس والخليل ، ونظر الحرمين الشريفين : الحرم القدسي ، والحرم الخليلي ، بدور له أثره في تشجيع الحركة الفكرية في بيت المقدس . وليس غرضنا هنا أن نستقصي من تولوا النيابة والنظر ، ولكننا نقتصر على من لهم أثر بارز في هذا المجال .

أنشأ عدد من هؤلاء النواب عددا من المعاهد العلمية ، أو تولوا عمارتها ، فالأمير حسام الدين أبو سعيد عثمان بن عبد الله المعظمي (١٧٦) ، تولى عمارة قبة النحوية بصحن الصخرة الشريفة بأمر الملك المعظم عيسى في سنة ٦٠٤هـ (١٧٧) .

وأنشأ الأمير علاء الدين أيد غدي بن عبد الله الصالحي النجمي (١٧٨) ، رباطا بباب الناظر بالقدس ، وعني بالصخرة الشريفة ، وذكر أنه لما ولي

(١٧٦) وهو ممن تولوا النظر والنيابة بالقدس ، وكان متوليا في عهد الملك المعظم عيسى الايوبي (الانس الجليل ٢/٢٧٠) .

(١٧٧) الانس الجليل ٢/٢٧٠ .

(١٧٨) كان من أكابر الامراء الذين تولوا نظر الحرمين بالقدس والخليل . وأنشأ منشآت بالقدس والخليل ، وكان يباشر الامور بنفسه ، وعمر بيت المقدس وثمره كما يقول مجير الدين الحنبلي ، وكان الامر كذلك في الخليل أيضا . (الانس الجليل ٢/٢٧٠)

النظر في بيت المقدس (١٧٩) ، في أيام الظاهر بيبرس الى أيام المنصور قلاوون ،
عمره وثمره . واستمر كذلك الى أن توفي سنة ٦٩٣هـ ، ودفن برباطه
بباب الناظر في بيت المقدس . ولا شك أن تعمير بيت المقدس والعناية به ،
ينعكس أثره في سائر المجالات ، ومنها مجال الحركة الفكرية .

ثم ولي الملك نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم
عيسى ، نظر القدس والخليل سنة ٦٩٤هـ ، وكان نجم الدين المذكور ممن
اشتغلوا بالعلم ، وعنوا به ، فقد كان ذا عناية بالحديث وغيره ممن
العلوم . وسمع من المحدثين ، ثم حدث وسمع منه العديد من العلماء ،
فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أنه روى عنه ، وسمع منه عدد من العلماء
المشهورين ، وكان صحيح البخاري من كتب الحديث التي سمعوها
منه (١٨٠) .

واستمر نجم الدين المذكور على تلك الحال الى أن توفي سنة ٦٩٨هـ ،
ودفن برباطه المعروف بالمدرسة الأوحديّة ، عن سبعين سنة (١٨١) .

وممن كان له أثر بارز في هذا المجال ، الأمير علم الدين أبو سعيد
سنجر بن عبد الله الجاولي الشافعي (١٨٢) ، فقد كان معنيا بالحديث ،
وذكر أنه «روى مسند الامام الشافعي ، وحدّث به غيره مرة» . ورتبه
«ترتيباً حسناً ، وشرحه في مجلدات» ، وقيل : انه استعان بأخريين في
شرحه له (١٨٣) . ومهما كان الأمر ، فلا شك أن علم الدين المذكور كان

(١٧٩) الانس الجليل ٢/٢٧٠ .

(١٨٠) نفسه ٢/٢٧١ .

(١٨١) نفسه ٢/٢٧١ .

(١٨٢) ولد بأمد سنة ٦٥٣هـ ، وينسب لأمير يقال له « جاول » في سلطنة الظاهر بيبرس ،
ولي نيابة الشوبك ، ثم صار نائباً بالكرك ، ومدنها ، قبضى القصر والجامع والحمام
والمدرسة للشنافية والمرستان ، وغير ذلك . وولي نيابة حماة ، ثم غزة ، وعمر
المدارس والمساجد . توفي سنة ٧٤٥هـ .

(انظر : الدرر الكامنة ٢/٢٦٧ - ٢٦٨ ، الانس الجليل ٢/٢٧١ - ٢٧٢) .

(١٨٣) الدرر الكامنة ٢/٢٦٧ - ٢٦٨ ، الانس الجليل ٢/٢٧٢ .

معتنياً بالعلم ، مشتغلاً به ، ومن الطبيعي أن يكون معتنياً بأهله كذلك ، وقد ذكر أن علم الدين كان ذا «معرفة بمذهب الشافعي ، وكان يستحضر كثيراً من نصوص الشافعي (١٨٤) . وسمع منه عدد من العلماء» (١٨٥) .

وشارك علم الدين سنجر في بناء المدارس والمساجد ، فبنى المدرسة الجاولية بالقدس ، وبنى مسجداً بالخليل ، وآخر بغزة ، ووقف عليها أوقافاً كثيرة (١٨٦) .

وعني عدد ممن تولوا النيابة في القدس بإقامة المدارس ، ومنهم الأمير علاء الدين علي بن نائب الصيبية ناصر الدين محمد (١٨٧) فقد عمر المدرسة الصيبية ، وهي مشهورة كما يقول مجير الدين الحنبلي (١٨٨) . ونسب علاء الدين إليها فقيل : ابن نائب الصيبية .

وعمر الأمير حسام الدين أبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الله الشهير بالكشكلي (١٨٩) المدرسة الحسينية المنسوبة إليه ، و «وقف عليها أوقافاً ، ورتب فيها وظائف من التصوف وغيره» ، وقد عمرها في سنة ٨٣٧هـ ، ووقفها في سنة ٨٣٨هـ (١٩٠) .

• (١٨٤) الانس الجليل ٢/٢٧٢

• (١٨٥) الدرر الكامنة ٢/٢٦٨

• (١٨٦) الانس الجليل ٢/٢٧٢

(١٨٧) ولي قلعة الصيبية بعد والده ، وولي الحجوبية بالشام أكثر من مرة . وولي نيابة القدس . توفي بدمشق سنة ٨٠٩هـ ، ثم نقل إلى القدس ، ودفن بمدرسته . (الانس الجليل ٢/٢٧٤ ، صبح الاعشى ٤/٢٠٠)

• (١٨٨) الانس الجليل ٢/٢٧٤

(١٨٩) كان نائب السلطنة بالقدس ، وناظر الحرمين بالقدس والخليل . توفي بالقدس سنة ٨٤٢هـ ، ودفن بمقبرة ماملا (الانس الجليل ٢/٢٧٥)

• (١٩٠) الانس الجليل ٢/٢٧٥

ومنهم من وقف المصاحف الشريفة ، فقد وقف الأمير طوغان العثماني (١٩١) «مصحفا شريفا يقرأ فيه بالصخرة الشريفة» ، وذكر أنه كان «من الحكام المعبرين ، له محاسن كثيرة ببيت المقدس من العمارة» وغيرها (١٩٢) .

وشارك عدد من النظار في الحرم القدسي في الحركة الفكرية ، ويبدو أن السلطان فصل بين النيابة ، ونظر الحرمين ، فقد أفرد الملك الظاهر جقمق نظر الحرمين عن النيابة ، فاستمر طوغان المذكور نائبا ، وولي القاضي غرس الدين خليل بن أحمد بن محمد بن عبد الله السخاوي نظر الحرمين ، في أواخر سنة ٨٤٣هـ . وذكر أنه نشأ مع أمه وأخيه بالقدس ، «ثم قدم القاهرة فاستوطنها مدة ، وعانى المتجر ، وتعرف بالأمير جقمق ، وصحبه سنين ، وتحديث في اقطاعه وما يليه من نظر الأوقاف ، فعرف بالنهضة ، وشهر بالخير والديانة» ، وولاه جقمق النظر كما تقدم (١٩٣) . وذكر أن القاضي غرس الدين «عمر الأوقاف ، ورتب الوظائف ، وأقام نظام الحرمين ، وفعل فيهما من الخير ما لم يفعله غيره» (١٩٤) .

وفي سنة ٨٥٢هـ ، ولي القاضي شمس الدين محمد بن الصلاح محمد الحموي الشافعي ، نظر القدس والخليل ، وقدم الى بيت المقدس فعمره كما يقول مجير الدين الحنبلي . وكان القاضي شمس الدين أديبا منشئا بليغا نحويا ناظما نائبا ، وكان قد باشر التوقيع بديوان الانشاء

(١٩١) كان نائب السلطنة بالقدس . وناظر الحرمين ، ومتولي الصلت وعجلون ، وغير ذلك . وجمع له بين هذه الوظائف سنة ٨٤٠هـ ، ثم عزل سنة بضع وأربعين وثمانمائة ، توفي بغزة (الانس الجليل ٢/٢٧٦) .

(١٩٢) الانس الجليل ٢/٢٧٥ .

(١٩٣) الضوء اللامع ٢/١٩٢ ، ١٩٣ ، الانس الجليل ٢/٢٧٦ .

(١٩٤) الانس الجليل ٢/٢٧٦ .

بمصر (١٩٥) . ولا شك أن المكانة الأدبية التي كان شمس الدين يحظى بها ، عادت على الحركة الفكرية بأثر تبين في قول مجير الدين السابق . واستمر القاضي المذكور يؤدي دوره الى أن توفي سنة ٨٥٣هـ ، ودفن في المدرسة المعظمية في بيت المقدس (١٩٦) .

وشارك بعض من تولوا نظر الحرمين : القدسي والخليلي ، في التدريس حقا ، ومنهم القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن محمد بن الديري المقدسي الحنفي (١٩٧) ، فقد باشر التدريس بالمدرسة المعظمية في بيت المقدس . وكان القاضي أمين الدين قد درس بالمدرسة المعظمية على والده ، ثم انتقل معه الى القاهرة ، وتلقى تعليمه فيها أيضا ، وأخذ عن عدد من أشهر العلماء فيها . ودرس الفقه ، والأصول ، والنحو ، والمعاني ، والبيان . وجد في الاشتغال بالعلم ، فتفوق فيه . ثم اشتغل بالتدريس بالقاهرة ، كما باشر القضاء فيها نيابة . ولما عاد الى بيت المقدس ، ولي نظر الحرمين ، بالقدس والخليل ، ودرس بالمدرسة المعظمية كما تقدم . وكان القاضي أمين الدين أدبيا صاحب نظم ونثر (١٩٨) .

ومن الواضح أن القاضي أمين الدين شارك مشاركة فعالة في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، ولا ننسى الإشارة الى الدور السياسي الاجتماعي الذي شارك فيه ناظرو الحرم .

ومن الجدير بالإشارة ان ما ذكرناه عن دور من تولوا النيابة ، لم يتحقق في عهود عدد من الامراء الذين تولوا هذه الوظيفة ، بل حدث خلل في نظام الاوقاف ، واساء بعضهم السيرة (١٩٩) .

(١٩٥) الانس الجليل ٢/ ٢٧٧ .

(١٩٦) نفسه ٢/ ٢٧٨ .

(١٩٧) ولد بالقدس سنة ٨١٧هـ ، وتوفي فيها سنة ٨٥٦هـ .

؛ الضوء اللامع ٤/ ١٣٤ ، الانس الجليل ٢/ ٢٢٥ ، ٢٨١ .

(١٩٨) الضوء اللامع ٤/ ١٣٤ ، الانس الجليل ٢/ ٢٢٥ ، نظم العقيان ١٢٦

(١٩٩) انظر : الانس الجليل ٢/ ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

الفصل الثاني

التعليم : نظامه وطرقه

كان المسجد الأقصى مؤثلا للعلم في بيت المقدس ، في العصرين الأيوبي والمملوكي ، وكان عماد الحركة الفكرية فيها آنذاك ، وقد قام بدور كبير فيها .

لقد كان المسجد الأقصى جامعة اسلامية ، اذا جاز لنا أن نطلق اسم جامعة على المسجد التعليمي ، وكانت له رسالة علمية ، وقد قام بها وأداها حقا . ولا غرو في ذلك ، فقد كان الأقصى يمثل مظهرا حضاريا وفكريا ، ويمثل مظهرا من مظاهر التمدن الاسلامي ، ويقوم بدوره في دراسة التراث الاسلامي والحفاظ عليه ، وبهذا كان له أثر كبير في خدمة الثقافة الاسلامية ورعايتها .

لقد كان المسجد عامة ، مركزا علميا ، وذلك واضح منذ عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فقد روي أن الصحابة كانوا يدرسون العلم في مسجد قباء^(١) . واذا كان المجال التعليمي ، يسير في نطاق ضيق آنذاك ، فقد اتسع مجاله بعد ذلك . ومن المعروف أن المساجد التعليمية قد تعددت في تاريخ الثقافة الاسلامية ، ومنها : المسجد النبوي في المدينة، والمسجد الحرام في مكة ، والمسجد الجامع في البصرة ، والمسجد الجامع في الكوفة ، والمسجد الأقصى في القدس ، والجامع الأموي في دمشق ، وجامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في فاس ، وجامع عمرو بن العاص ، وجامع ابن طولون ، والجامع الأزهر في مصر ، وجامع المنصور في بغداد ، وقبة النجف الأشرف ، وغيرها^(٢) . وقد قامت هذه المساجد بدورها في تاريخ الثقافة الاسلامية ، وكان المسجد الأقصى واحدا من تلك المساجد .

(١) انظر : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ٣٤ ، مساجد القاهرة ومدارسها ١٤٣/٢ .

(٢) انظر : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ٣٣ - ٤٩ .

لقد كان المسجد الأقصى بما قام فيه ، وفي ساحاته ، ومن حوله ، من مؤسسات علمية : مدارس ، ومكتبات ، ودور قرآن ، ودور حديث ، وزوايا ، وخوانق ، ورباطات ، كان عبارة عن معاهد علمية ، أو كليات ، أو جامعة ، تعقد فيها الحلقات العلمية ، وتدرس العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، والتاريخ ، وعلم الكلام ، والمنطق ، والعلوم الرياضية ، وغير ذلك من فنون العلم .

وفي هذا المجال ، قام الأقصى بدوره المتمثل في رعاية العلوم الشرعية ، وعلوم العربية ، وسائر ضروب الثقافة الاسلامية . وكان طالبو العلم يتلقون على علماء من أشهر ممثلي الفكر الاسلامي . وفي الحديث عن دور المسجد فكريا ، يقول بعض الباحثين : «أصبح المسجد هو الجامعة التي ترعى العلوم العربية ، وتخدم الثقافة الاسلامية ، ويتلقى فيها طلاب المعرفة ما يتوقون اليه من ضروب العلم . وتجمع فيها ممثلو الفكر الاسلامي والعربي على اختلاف وجهاتهم ، من الفقهاء بدراساتهم الفقهية والقانونية ، وأصحاب العربية ، ورجال الأدب والنحو لتعليم اللغة ، وأهل الحديث لروايته ، والقراء يقرؤون الناس القرآن بقراءاته المختلفة ، وأصحاب الكلام يدرسون عقائد الاسلام ، ويذبون عنها ، ويناقشون عقائد الملل والديانات الأخرى» (٣) .

أنشئت مدارس ، في العصرين الأيوبي والمملوكي ، بداخل المسجد الأقصى وحوله ، ومنها : المدرسة النحوية ، والمدرسة النصرية ، والمدرسة الفارسية ، بداخله . وأنشئت مدارس أخرى كثيرة مجاورة للسور من جهة الغرب ، ومنها : المدرسة التنكزية ، والمدرسة البلدية ، والمدرسة العثمانية ، والمدرسة الخاتونية ، والمدرسة الأرغونية ، والمدرسة المزهرية ، والمدرسة الجوهريية ، والمدرسة المنجكية ، وغيرها . وأنشئت مدارس أخرى تجاور السور من جهة الشمال ، ومنها : المدرسة الجاولية ، والمدرسة الصببيية ، والمدرسة الاسعدية ، والمدرسة الملكية ، والمدرسة

(٣) تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ٣٠ .

الفارسية ، والمدرسة الأمينية ، والمدرسة الدويدارية، والمدرسة الباسطية،
والمدرسة الكريمة ، والمدرسة الغادرية ، والمدرسة الطولونية ، والمدرسة
الفنرية ، والمدرسة الحسنية .

وأنشئت مدارس أخرى قريبة من المسجد ، ولكنها تقع خارج السور
من جهة الشمال أو من جهة الغرب . ومن أشهر المدارس الواقعة جهة
الشمال : المدرسة الصلاحية ، والمدرسة المعظمية ، وغيرها . ومن أشهر
المدارس الواقعة جهة الغرب : المدرسة الأفضلية ، ودار الحديث ، ودار
القرآن ، وغيرها . وهناك مدارس أخرى غير قريبة من المسجد الأقصى ،
ومنها : المدرسة الجراحية وغيرها (٤) .

ويصور عبد الغني النابلسي المسجد الأقصى ، والمدارس القائمة من
حوله ، قائلا (٥) :

لله بالبيت المقدس جامع بهر النواظر نوره وضيأؤه
منه الجوانب واسعات تنجلي وزهت بطلعة قبتيه سماؤه
حيث المدارس حوله قد أشرقت تمتد من أشجاره أفيأؤه
والمسجد الأقصى المبارك فاتح كفتاً وفيه الكأس يدفق ماؤه

لقد كان المسجد الأقصى قلب بيت المقدس ، في الحياة الفكرية ،
وفي غيرها من ضروب الحياة المختلفة . ومن الممكن القول بأن الأقصى كان
مركز الحياة الفكرية في بيت المقدس ، وأن الكثير من المدارس وغيرها من
المعاهد العلمية ، قامت الى جانب الأقصى ، واستمدت منه ، كما صورها
الشيخ النابلسي .

تنوع التعليم في المسجد الأقصى بين العلوم الشرعية من تفسير ،
وحديث ، وفقه ، وقراءات ، وتصوف ، وميقات ، وعلوم اللغة العربية من

(٤) انظر : الانس الجليل ٣٢/٢ - ٤٩ ، خطط الشام ١١٦/٦ - ١٢٤ ، الفصل الاول :

عوامل الحركة الفكرية .

(٥) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية ٣٠ .

نحو وصرف ، وبلاغة ، وأدب ، وعروض ، وعلم التاريخ ، والعلوم الرياضية ، والمنطق ، وعلم الكلام ، وغير ذلك . وكانت المدارس التي أشرنا إليها تدرس العلوم المختلفة ، ولكنها كانت أقرب الى التخصص ، بينما لم يكن الأمر كذلك في الأقصى من حيث التخصص المشار إليه ، أي أن تخصص المدرسة لتدريس علم ما ، علما بأن هذا القول لم يكن يطبق حرفيا ، كما سنرى في تفصيل القول في المدارس ودورها في الحركة الفكرية ، في كتاب قادم .

وإذا كان الأمر كذلك ، فهل يمكن القول أن المسجد الأقصى ، بمفهومه الذي حددناه ، كان جامعة اسلامية لها دورها في تاريخ الثقافة الاسلامية ؟ ومن الجدير بالاشارة ، في هذا المجال ، أن بعض الباحثين ذهب الى أن المسجد الأقصى جامعة اسلامية كبرى (٦) كغيره من المساجد الأخرى التي ذكرناها من قبل . ونحن نتحدث عن المسجد الأقصى على أنه جامعة عامة غير مكتملة التخصصات في مجالات العلوم المختلفة ، ونعني أنه لم يؤكد تدريس الطب والهندسة فيه ، علما بأنه يمكن الاشارة الى أن الطب كان يعني به عناية نظرية وعملية ، في البيمارستان في بيت المقدس ، كما سنفصل القول في هذا ، ولكننا لا نجد مدرسة للطب أو مدرسة للهندسة ، في بيت المقدس ، كما نجد في دمشق مثلا .

يضاف الى هذا أن مدارس خصصت لتدريس النحو مثل المدرسة النحوية ، وتدريس القراءات مثل دار القرآن ، وقبة الملك المعظم ، وتدريس الحديث مثل دار الحديث ، وتدريس الفقه الشافعي ، مثل المدرسة الصلاحية ، وتدريس الفقه الحنفي مثل المدرسة المعظمية (٧) ، وغير ذلك مما سنفصل القول فيه . ويضاف الى هذا وجود مشيخة

(٦) انظر : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ٣٧ ، المدرسة المستنصرية ٢٧/١ .

(٧) انظر : مفرج الكروبي ٤٠٧/٢ ، الضوء اللامع ٤/٥ ، ٤٤/٨ ، الانس الجليل ٢٨/٢ ،

٣٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٦ : المفضل في تاريخ القدس ١٨٠ ، ٢٣٦ .

للتفسير ، أو مشيخة للحديث ، في المسجد الأقصى • ووجود دار كتب خاصة به ، الى جانب مكاتب أخرى • كما سنفصل القول في ذلك في حينه •

وإذا كانت الحياة العلمية في المسجد الأقصى ، بمفهومه الذي حددناه ، على هذا النحو ، فهل بإمكاننا أن نعود الى القول بأنه كان يمثل جامعة اسلامية حقاً (٨) •



يهتم التدريس الاسلامي بالدين والدنيا معا ، ويوجه الانسان للعناية بهما ، ويعمل على اعداده اعدادا كافيا يمكنه من النظر في شؤونهما ، ومن هنا ، يبدو التدريس الاسلامي مرتبطا ، في فلسفته وأهدافه ، بالدين والدنيا معا •

ومن المعلوم أن الدين الاسلامي يعمل على تنظيم الحياتين الدنياء والأخرى ، ويهتم بهما اهتماما متعادلا ، وهذا واضح في القرآن الكريم ، والحديث الشريف •

تقدم القول في أن التدريس قد بدأ في المساجد منذ صدر الاسلام ، وهذا أمر طبيعي ، ما دام المسجد ، مركز علم ، الى جانب كونه مركز عبادة • وكان التعليم آنذاك «نقلا لما سمع مع الشارع ، وتعلينا لما جهل من الدين على جهة البلاغ» كما يقول ابن خلدون • ويضيف ابن خلدون أن التعليم لم يكن صناعة ، ولكنه كان تعليما لكتاب الله وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، «على معنى التبليغ الخبري ، لا على وجه التعليم الصناعي» • ويبين ابن خلدون أن قادة المسلمين كانوا يشعرون بأن تعليم الناس الدعوة الاسلامية واجب عليهم أن يقوموا به ، ويحرصوا «على تبليغ ذلك ، وتفهيمة للأمة» (٩) • وفي أواخر العهد العباسي ، بل في القرن الخامس الهجري وما بعده ، انتشرت المدارس ، و «أصبح العلم من جملة الصنائع والحرف» • كما يقول ابن خلدون أيضا (١٠) •

(٨) انظر : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ١٣ ، ١٤ ، ١٦٥ •

(٩) مقدمة ابن خلدون ٣٠ ، وانظر ٤٣٠ وما بعدها •

(١٠) مقدمة ابن خلدون ٣٠ ، وانظر : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ١٤٦ - ١٤٨ •

وكان نظام التدريس يقوم على الحلقات العلمية ، وهذا ما كان شائعا في المساجد في سائر أنحاء العالم الاسلامي . وكان نظام الحلقات العلمية متبعاً منذ القديم ، فقد كان معروفاً منذ القرنين الأول والثاني الهجريين ، ومن أمثلة ذلك ما كان يجري في المسجد الجامع بالفسطاط ، والمسجد الجامع بالبصرة وغيرهما . ثم استمر نظام الحلقات العلمية في المساجد ، وكان النظام الشائع في التعليم ، في العصرين الأيوبي والمملوكي ، وما بعدها من العصور . واستمر هذا النظام حتى القرن الرابع عشر الهجري ، سائداً في الجامع الأزهر كما هو معروف .

وكانت الحلقات العلمية تتعدد في المسجد الواحد ، فقد كان لكل شيخ من الشيوخ ، أي الأساتذة ، حلقة حول كل عمود من أعمدة المسجد ، وكانت هذه الحلقات ، تعقد خلال أيام الأسبوع . وقد تقدم القول في أن الدروس كانت تُلقي في المسجد الأقصى ، في الأيام المعتادة . وقد تبيننا أن ذلك كان يتم في كل أيام الأسبوع ، كما تقدم . وكان طالبو العلم يتحلقون حول شيوخهم في المسجد وأروقته ومصاطبه .

ولم يقتصر الأمر ، في نظام التعليم ، على الحلقات العلمية ، فقد كانت إلى جانبها ، المجالس العلمية والأدبية التي كانت تعقد في المسجد الأقصى ، في عهود العديد من السلاطين ، في العصرين الأيوبي والمملوكي . وقد تقدم الحديث عن عدد من تلك المجالس ، ومنها ذلك المجلس العظيم الذي عقده صلاح الدين . ويخبرنا أبو شامة المقدسي أن ذلك المجلس العام ، انتقل إلى الصخرة المشرفة ، وفيها ألقى مجد الدين أبو محمد طاهر ابن نصر الله بن جهبَل (١١) درساً عظيماً ، كما يقول أبو شامة نفسه (١٢) .

(١١) ولد سنة ٥١١هـ أو ٥١٢هـ ، وهو والد الفقهاء من بني جهبَل . بشر بفتح بيت المقدس . وكان أول من درس بالمدرسة الصلاحية بالقدس . توفي سنة ٥٩٦هـ .
(انظر : ذيل الروضتين ١٧ ، الدارس ٢٣٠ - ٢٢٢) .
(١٢) انظر الدارس ٢٣٠/١ ، ٢٣١ .

ومنها المجالس الأدبية التي كان الملك المعظم عيسى يعقدها ، وقد تقدم تفصيل القول في مجلس عقده الملك المعظم عيسى بالصخرة المشرفة ، وشارك فيه المعظم نفسه مع العلماء .

ومنها المجلس العلمي الذي عقده الملك المؤيد شيخ المحمودي ، في المسجد الأقصى ، في سنة ٨٢٠هـ ، كما تقدم .

ومنها مجلس عقد في المسجد الأقصى سنة ٨٨٠هـ ، بحضور السلطان الأشرف ، حيث حضر الى بيت المقدس . وقد شارك في ذلك المجلس ، عدد من الأمراء وأركان الدولة ، وشيخ الاسلام كما الدين بن أبي شريف ، وشيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة ، والقضاة . وحضره ثلاثة من القراء المشهورين الذين حضروا مع السلطان من مصر ، كما حضره عدد من القراء في بيت المقدس ، وحضره الخاص العام . وانصب الاهتمام في ذلك المجلس ، على القراءات القرآنية ، وقراءة المعراج . وقد قرئ المعراج في ذلك المجلس ، بالإضافة الى المناقشات العلمية والأدبية ، والمطارحات ، والمناظرات (١٣) .

ويعقب بعض الباحثين على المجالس العلمية والأدبية التي كانت تعقد في المساجد بقوله : «والظاهر أن هذه المجالس ، كانت يومئذ من تقاليد الحياة الرفيعة ، وكانت نوعا من الترف الذي يأخذ به الأمراء والعظماء ، بيد أنها كانت تسبغ في الوقت نفسه على الحركة الفكرية قوة وبهاء» (١٤) . ولكننا لا نستطيع أن نذهب مع الباحث الى عد كل تلك المجالس ترفا ، فماذا نقول في المجلس الذي عقده صلاح الدين ، أو ذلك المجلس الذي عقده الملك المعظم ، علما بأن الملك المعظم كان أدبيا مؤلفا شاعرا ، كما تقدم ؟ ويهمننا من هذا القول التأكيد على أن المجالس العلمية والأدبية كانت مظهرا بارزا من مظاهر الحركة الفكرية .

* * *

(١٣) الأنس الجليل ٣١٦/٢ .

(١٤) تاريخ الجامع الأزهر ٦٥ .

تنوعت طرق التحصيل العلمي ووسائله ، بين : الحفظ والرواية ،
والسماع ، والاملاء ، والقراءة ، والمناقشة ، والمناظرة ، وغيرها .

شاعت ظاهرة الحفظ والرواية ، فقد حفظ العلماء القرآن ، وسمعوا
الحديث الشريف ورووه ، وحفظوا كتباً في القراءات ، والفقه ، واللغة ،
والمنطق ، والجبر والمقابلة . وحفظوا كثيراً من الشعر والخطب والمقامات .

من الملاحظ أن الحفظ كان أكثر شيوعاً في العلوم الشرعية ، وعلوم
اللغة العربية . وكانت «درجة الحافظ من أسنى درجات العالم بالحديث
أو المشتغل باللغة» . وكان من يحفظ حجة على من لم يحفظ (١٥) . ومما
يذكر في هذا الصدد ، أن عدداً من أولي الأمر شجعوا على الحفظ ، فالملك
المعظم عيسى «شرط لكل من يحفظ «المفصل» للزمخشري مائة دينار
وخلعة» ، وكان يعطي كل من يحفظ كتاب «الجامع الكبير» للترمذي مائتي
دينار ، ومن يحفظ كتاب الايضاح خمسين ديناراً ، وقيل ثلاثين ديناراً (١٦) .

قد يتبادر الى الذهن أن العلماء كانوا يجذبون الحفظ دون الفهم ،
وهذا غير صحيح ، فقد كانوا يهتمون بالعلم برواية ودراية . ويوضح لنا
هذا عالم مقدسي من علماء القرن الثامن الهجري ، وهو الشيخ الامام بدر
الدين أبو اسحق ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني (١٧) ، فيبين أن

(١٥) انظر : المزهر ٢/٣١٢ ، ٣١٣ ، تاريخ الجامعات الاسلامية ١٩٢ .

(١٦) انظر : وفيات الاعيان ٣/٤٩٥ ، الدارس ١/٥٨٠ ، ٥٨٤ .

(١٧) ولد بحماة سنة ٦٣٩هـ ، وطلب العلم ببلده . ثم طلبه بدمشق والقاهرة ، وسمح
الكثير في العلوم الشرعية وعلوم العربية ، وحصل على الاجازات العديدة . اشتغل
بدر الدين بالتدريس والافتاء والقضاء والخطابة ، فقد درس بدمشق ومصر ، وولي
القضاء بالقدس والقاهرة ، وخطب بالمسجد الاقصى . وله مصنفات ، ونظم حسن ،
وخطب ، توفي سنة ٧٣٣هـ .

(انظر : الدرر الكامنة ٣/٣٦٧ - ٣٦٩ ، فوات الوفيات ٣/٢٩٨ ، الوافي بالوفيات
٢/١٩ ، نكت الهميان ٢٣٥ . درة الحجال ٢/١١١ ، طبقات الاسنوي ١/٣٨٦ ، شذرات
الذهب ٦/١٠٥ - ١٠٦ ، السلوك ج ١ ، ق ٣/٧٤٥ ، ٧٧١ ، ٧٩٨ .

الحفظ كان يسبقه تصحيح المحفوظ ، ثم يعقبه شرحه ، ويبدو ذلك جليا في قوله : على المتعلم «أن يصحح ما يقرأه قبل حفظه تصحيحا متقنا ، اما على الشيخ أو على غيره» ممن يعينه، «ثم يحفظه بعد ذلك حفظا محكما» • ويضيف بدر الدين المذكور ، وعلى المتعلم ألا «يحفظ شيئا قبل تصحيحه لأنه يقع في التحريف والتصحيح» (١٨) ، ومن ثم يشتغل طالب العلم «بشرح تلك المحفوظات على المشايخ ، وليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب أبدا ، بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليما له ، وأكثر تحقيقا فيه ، وتحصيلا منه ، وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه» (١٩) • وعندما يفرغ المدرس من الشرح والضبط ، ينتقل الى «بحث المبسوطات ، مع المطالعة الدائمة ، وتعليق ما يمر به أو يسمعه من الفوائد النفيسة ، والمسائل الدقيقة ، والفروع الغريبة ، وحل المشكلات والفروق بين أحكام المتشابهات من جميع أنواع العلوم» (٢٠) •

وعلى المشتغل بالحديث ، مثلا ، أن ينظر في «اسناده ورجاله ومعانيه وأحكامه وفوائده ولغته وتواريخه» ، وأن يعتني بصحيح البخاري ومسلم أولا ، ثم بغيرهما من الأصول المعتمدة كموطأ مالك ، ومسنند أبي داود ، ومسنند النسائي ، ومسنند ابن ماجه ، ومسنند الشافعي ، وجامع الترمذي على الأقل (٢١) • وعلى المشتغل بالحديث أن «يعتني بالدراية أشد من اعتناؤه بالرواية • قال الشافعي ، رضي الله عنه : من نظر في الحديث قويت حجته ، لأن الدراية هي المقصود بنقل الحديث وتبليغه» (٢٢) •

(١٨) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ١٢١ ، ١٢٢ •

(١٩) نفسه ١١٣ ، ١١٤ •

(٢٠) نفسه ١٣٣ •

(٢١) انظر : نفسه ١٢٦ - ١٢٩ •

(٢٢) نفسه ١٣١ ، ١٣٢ •

وهكذا يتبين الربط المحكم بين الحفظ والفهم ، أو بين الرواية والدراية ، وتقديم الدراية على الرواية . ولا شك أن هذا يعني تمثلاً كاملاً للمحفوظ . وأما اقتران الحفظ بالتصحيح والضبط والشرح فليس بحاجة الى تعليق . كما يتبين أنه يحسن بطالب العلم أن يعتمد على أكثر الشيوخ علماً وتحقيقاً وتحصيلاً وخبرة ، وأحسنهم تعليماً ، وذلك في العلم الذي يرغب طالب العلم في دراسته . ويتبين لنا كذلك أنه يجب على طالب العلم أن يأخذ مباشرة عن شيخه ، ولا يكتفي بالنظر في الكتب وقراءتها . وهذا يعني الاكثار من الرحلة في سبيل العلم .

ويبين ابن خلدون أنه « لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي ، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه ، وكثرته من قلته ، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ ٠٠٠ ، وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده» (٢٣) .

ونؤيد هذا بذكر بعض الأمثلة من دراسة عدد من العلماء في بيت المقدس ، فهذا الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن أبي الوفا المقدسي الشافعي (٢٤) ، حفظ كتباً في الفقه واللغة والنحو والتصوف ، ولكنه قرن

(٢٣) مقدمة ابن خلدون ٥٧٨ .

(٢٤) ولد في بيت المقدس سنة ٧٩٧هـ ، وقيل ٧٩٣هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، فقرأ القرآن ، وسمع الحديث ، والفقه والنحو ، وحفظ كتباً فيها . وقرأ كتباً في التصوف ، وبحث فيها على عدد من العلماء . رحل أبو الوفا طالبا العلم ، فتوجه الى الخليل ، والشام ، وبلبك ، وحلب ، والقاهرة ، وتوجه الى مكة حاجاً . وكان تقي الدين متصوفاً ، وذكر انه امثل المتصوفة في الامانة ، وعقد مجالس الذكر ، وصار شيخ الصوفية هناك ، و « سار سيرة حسنة ، وجمع الناس على الخير والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتخليص المظالم من النواب وسائر الظلمة » ، واصبح اليه المرجع في الامور المعضلة في القدس . وتلقى عليه طالبو العلم . ومن بينهم السخاوي . فقد اشتغل بالتدريس كما تقدم . وله نظم . توفي تقي الدين في سنة ٨٥٩هـ .

(انظر : الضوء اللامع ١١/٨٤ - ٨٥ ، نظم العقيان ٩٨ - ٩٩) .

ذلك بالبحث ، فقد حفظ كتاب «المنهاج» في الفقه (٢٥) ، ثم بحث فيه على بعض العلماء ، وقرأ في كتاب «احياء علوم الدين» على عالم آخر ، وبحث فيه على بعض المتصوفة في بيت المقدس . ولعل من المفيد هنا ، أن نذكر أن ابن أبي الوفا ، تولى مشيخة مدرسة الأمير حسن الكشكلي بالمسجد الأقصى، وهي المدرسة المعروفة بالمدرسة الحسينية ، وقرأ عليه الكثيرون من طالبي العلم ، وتباحثوا معه في مسائل العلوم (٢٦) .

وهذا الحافظ شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن عبد الله المجدلي المقدسي الشافعي ، المعروف بأبي العباس المقدسي (٢٧) ، كان أكثر حفظا من ابن تيمية ، ولم يقتصر أبو العباس على حفظ كتب في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، فقد حفظ كتبا أخرى في المنطق ، والجبر والمقابلة ، وغير ذلك . واقترن حفظه بالبحث والتحقيق والنظر ، وهذا واضح بكل

(٢٥) وهو كتاب « منهاج الطالبين » في فروع الشافعية للامام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفي سنة ٦٧٦هـ . وهو كتاب مشهور متداول ، اعتنى به الشافعية فشرحوه شروحا عديدة . (انظر : كشف الظنون ١٨٧٣/٢ - ١٨٧٧) .

(٢٦) الضوء اللامع ٨٤/١١ .

(٢٧) ولد بمجدل حمامة من اعمال غزة ، سنة ٨٠٩هـ ، وتلقى العلم هناك ، وقرأ القرآن ، وتلاء تجويدا ، وحفظ كتبا في العلوم الشرعية . وعلوم اللغة العربية ، والعلوم الرياضية ، والمنطق ، وعرض ما حفظه على عدد من العلماء في بلده .

ورحل أبو العباس طالبا العلم ، واكثر من التجوال في سبيله . فتوجه الى غزة ، والرملة ، والقدس ، والشام ، والناصرة ، ومكة ، وسمح فيها ، وأخذ عن علمائها . ودرس في بيت المقدس ، بالأقصى والصلاحية . وكثر شيوخه الذين أخذ عنهم ، وحصل على العديد من الاجازات بالافتاء والتدريس . وعاد الى بيت المقدس ، ودرس بالأقصى والصلاحية ، وخطب بالأقصى ، وعقد مجالس الوعظ . واستمر أبو العباس كذلك الى أن توفي سنة ٨٧٠هـ (انظر : الضوء اللامع ١/٣٦٣ - ٣٦٥ ، الانس الجليل ١٤١/٢) .

جلاء في الاجازة التي أجزى أبو العباس بها ، فقد نُصت الاجازة على أن
أبا العباس قرأ عددا من الكتب على شيخه ، وقد قرأ كل ذلك «بحثا
وتحقيقا ونظرا» كما يقول السخاوي (٢٨) .

وهذا الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد الجعبري
الخليلي (٢٩) ، حفظ ألفية ابن مالك ، وقرن ذلك ببحثه النحو في بيت
المقدس على بعض علمائه ، ولازم عماد الدين اسماعيل بن ابراهيم بن
شرف المقدسي (٣٠) ، وبحث عليه غالب ألفية ابن مالك (٣١) .

ولم يكتف طالبو العلم بقراءة الكتاب مرة واحدة ، فكان بعضهم يقرأ
الكتاب الواحد عدة مرات على شيخه ، ويباحته فيه ، ومن ذلك ما ذكر
عن الشيخ الامام شمس الدين محمد بن موسى بن عمران الغزي

(٢٨) الضوء اللامع ١/٣٦٤ .

(٢٩) ولد بالخليل حوالي سنة ٨٠٦هـ ، ونشأ وتعلم هناك . وتلا بالقراءات السبع بالمقدس
والشام ، وتفقه بالخليل والقدس . وحصل على الاجازة في العربية والقراءات . وسمع
الحديث ، وطلب العلم في دمشق والقاهرة أيضا . ثم اشتغل بالتدريس والافتاء في
الخليل والقدس . وولي مشيخة الحرم بالخليل . توفي سنة ٨٩٣هـ (انظر : الضوء
اللامع ٦/١٢٠ - ١٢١ ، الانس الجليل ٢/٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٣٠) ولد في بيت المقدس حوالي سنة ٧٨٢هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، فحفظ القرآن ، وحفظ
كتبا عديدة في علوم مختلفة . وأخذ عن عدد من اشهر العلماء في بيت المقدس ، ومنهم
شهاب الدين بن الهائم ، فقد درس عليه بالصلاحية ، وقرأ عليه غالب مصنقاته ،
وصار اماما في الحساب والفرائض . وكان عالما بالفقه ، متفوقا في النحو والادب ،
وغير ذلك . وطلب ابن شرف العلم في القاهرة ، فأخذ عن عدد من اشهر العلماء فيها
من أمثال ابن حجر العسقلاني . ثم اشتغل بالتدريس فيها . وعاد الى بيت
المقدس ، وتصدى لنشر العلم ، وأخذ عنه الكثيرون . وقد درس بالاقصى والصلاحية .
وتوفي ابن شرف في سنة ٨٥٢هـ .

(انظر : الضوء اللامع ٢/٢٨٤ - ٢٨٥ ، الانس الجليل ٢/١٨١ ، نظم العقيان ٩٢) .

(٣١) الضوء اللامع ٦/١٢٠ - ١٢١ .

المقدسي (٣٢) ، فقد قرأ كتابا في القراءات على مصنفه شمس الدين محمد ابن خليل بن أبي بكر القباقي (٣٣) ، وهو كتاب في القراءات الأربع عشرة (٣٤) .

ولم يكن بعض طالبي العلم يكتفون بدراسة الكتاب على شيخ واحد ، فمجير الدين الحنبلي مثلا ، قرأ كتاب «المقنع» في الفقه الحنبلي على عدد من الشيوخ ، وحصل على الاجازات منهم ، فقد قرأ فيه على شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عمر العميري (٣٥) ، وشمس الدين أبي مساعد محمد

(٣٢) ولد بغزة سنة ٧٩٤هـ . ونشأ وتعلم فيها ، ثم توجه الى بيت المقدس طالبا العلم ، فأخذ عن عدد من اشهر العلماء فيه ، وسمع الحديث على الحافظ شمس الدين الجزري ، وأخذ عنه علم القراءات ، وحصل على الاجازة . واصبح شيخ القراء في بيت المقدس . وقرأ عليه الكثيرون . وتوفي سنة ٨٧٣هـ في بيت المقدس .

(انظر : الضوء اللامع ٥٨/١٠ ، الانس الجليل ٢/٢٢٩ - ٢٣٠) .

(٣٣) ولد بجلب في سنة ٧٧٧هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، وقد عني بالقراءات والحديث عناية خاصة . ورحل الى القاهرة طالبا العلم .

وقدم شمس الدين الى بيت المقدس ، واقام فيه ، واشتغل بالتدريس ، فولي مشيخة المدرسة الجهرية في بيت المقدس . وكان بيده « القراءه بمصحف الملك الظاهر حقمق بالصخرة » وصنف شمس الدين في القراءات مصنفاً عديدة ، وله شعر في المديح النبوي وغيره . وتوفي شمس الدين في بيت المقدس سنة ٨٤٩هـ .

(انظر : الضوء اللامع ١١/٢٦٦ ، الانس الجليل ٢/١٧٩ - ١٨٠ ، نظم العقيان ١٤٨) .

(٣٤) الضوء اللامع ٥٨/١٠ .

(٣٥) ولد في بيت المقدس سنة ٨٣٢هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، فدرس الفقه ، والحديث والنحو ، والاصول ، والعقليات . ثم توجه الى القاهرة طالبا العلم . وذكر أنه عقد المجلس بالازهر . وكان شهاب الدين قد اشتغل بالافتاء والتدريس في بيت المقدس . وتوفي شهاب الدين سنة ٨٩٠هـ في بيت المقدس .

(انظر : الضوء اللامع ٢/٥٢ - ٥٣ ، الانس الجليل ٢/٢٠٣ - ٢٠٤) .

ابن عبد الوهاب (٣٦) ، وبرهان الدين أبي اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري (٣٧) ، وحصل على الاجازة من كل منهم (٣٨) . وقرأ فيه على شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف ، وحضر مجالسه العلمية بالمسجد الأقصى ، والمدرسة الصلاحية ، وحصل منه على الاجازة (٣٩) . وقرأ فيه على قاضي القضاة نور الدين علي بن ابراهيم المالكي المصري ، وذكر مجير الدين أن قراءته كانت «قراءة بحث وفهم» . وحصل مجير الدين على الاجازة الخامسة في الكتاب المذكور (٤٠) .

وكانت القراءة تقترون بحل المقروء في مرات كثيرة ، ومما يوضح هذا ما ذكره السنخاوي عن شيخ الاسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أرسلان الرملي المقدسي (٤١) ، فقد ذكر أن ابن أرسلان قرأ كتاب «الحاوي

(٣٦) ولد سنة ٨١٩هـ ، ونشأ في بيت المقدس . وتلقى تعليمه فيه ، فقرأ القرآن ، ودرس الفقه والعربية والمنطق ، ثم توجه الى القاهرة ، واستمر في دراسة الفقه والحديث وغيرها . ودرس العقليات . ثم عاد الى بيت المقدس ، واشتغل بالتدريس والافتاء ، وتصدر للتدريس بالمسجد الاقصى ، ودرس بالمدرسة الصلاحية . واشتغل أبو مساعد بالتصنيف ، فصنف مصنفات في الفقه والاصول ، وغير ذلك .

(انظر : الضوء اللامع ١١/١٤٢ ، ١٤٣ ، الانس الجليل ٢/١٩٢) .

(٣٧) ولد بالخليل سنة ٨١٩هـ ، وطلب العلم فيها ، وأخذ عن عدد من العلماء . ثم توجه الى القاهرة في سبيل العلم . وعاد برهان الدين الى بيت المقدس ، واستوطن فيه ، واشتغل بالقضاء والتدريس . توفي سنة ٨٩٣هـ .

(انظر : الانس الجليل ٢/٢٠٦ - ٢٠٨) .

(٣٨) الانس الجليل ٢/١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ .

(٣٩) نفسه ٢/٣٨٢ .

(٤٠) نفسه ٢/٢٥١ .

(٤١) ولد بالرملة في سنة ٧٧٣هـ ، وقيل ٧٧٥هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، فقد عني به والده ، وكان قارئاً وتاجراً في الوقت نفسه ، فتأثر بالوضع الذي كان عليه والده . حفظ ابن أرسلان القرآن ، وعمره عشر سنوات . وقرأ بالمدرسة الخاصة بالرملة على

الصغير» (٤٢) ثم حله على عدد من أشهر العلماء في بيت المقدس (٤٣) .

وذكر السخاوي أيضا أن علاء الدين أبا الفضل علي بن محمد بن أبي اللطف الحصكفي (٤٤) ، قرأ في «المنهاج» على أحد العلماء ، تصحيحا ثم

= عدد من العلماء ، فقد درس النحو واللغة ، والشواهد ، والنظم ، والفقه ، والفرائض والحساب . وتخرج ابن أرسلان من هذه المدرسة ، ثم درس فيها مدة . ولكنه استمر في الدراسة أيضا ، فحفظ كتباً في النحو ، وعني بألفية ابن مالك عناية خاصة ، ولازم عالماً وقام عليه إلى أن تاهل لأقارنها . انصرف ابن أرسلان عن التدريس بالخاصية ، وأقبل على التصوف . ثم تحول إلى بيت المقدس ، واستمر في طلب العلم ، فدرس الفقه ، وسمع الحديث . وأخذ التصوف علماً وسلوكاً ، وحصل على الإجازة في النحو وغيره . وصار «اماماً علامة متقدماً في الفقه واصوله ، والعربية ، مشاركاً في الحديث والتفسير والكلام» ، وغير ذلك . وكثر تلامذته ومريدوه ، واشتغل بالعلم تبرعاً ، ورضى تولي مشيخة مدرسة . وكان مثالا في الورع والزهد . وصنف مصنفات في الفقه ، والتفسير ، والقراءات ، والحريية ، وغيرها . وتوفي ابن أرسلان سنة ٨٤٤هـ .

(انظر : الضوء اللامع ١/٢٨٢ - ٢٨٨ ، الانس الجليل ٢/١٧٤) .

(٤٢) وهو كتاب «الحاوي الصغير في الفروع» للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي . وهو كتاب حسن التأليف والترتيب . وأهميته عني به العديد من العلماء فشرحوه ، ومن شارحية شهاب الدين بن أرسلان ، ووضعوا عليه تعليقات ، واختصروه ، ونظموه .

(انظر : كشف الظنون ١/٦٢٥ - ٦٢٧) .

(٤٣) الضوء اللامع ١/٢٨٢ .

(٤٤) ولد في بيت المقدس سنة ٨٥٧هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، فحفظ القرآن ، كما حفظ كتباً في القراءات ، والحديث ، والفقه ، والعربية ، وغيرها . ودرس بالمدرسة الصلاحية ، وعرض محفوظته على المشتغلين فيها من أمثال كمال الدين بن أبي شريف ، ولازمة عشر سنين وقرأ عليه كتباً وبحثاً جاداً . وقرأ على غيره من العلماء في الصلاحية ،

حلا ، وقد لازم ذلك العالم مدة (٤٥) .

ومن الجدير بالقول أن الرواية كانت تعتمد على السماع ، وبخاصة في المرحلة التي لم تكن الكتابة منتشرة فيها . وعندما انتشرت الكتابة ، بقي السماع وسيلة مهمة في التحصيل العلمي ، وأصبح السماع يقترن بتدوين المسموع عن الأستاذ ، وتسجيل اسم الأستاذ المسموع منه ، واسم السامع المتلقي ، وتاريخ السماع . ولا شك أن هذا يضيف قيمة فنية وتاريخه على النص المسموع (٤٦) .

سمع طالبو العلم الحديث الشريف ، والفقه ، والأدب ، وغيرهما من العلوم ، من علماء بلادهم ، ثم رحلوا للسماع على أشهر العلماء في موضوعات العلوم المختلفة . وقد كانت الرحلة في سبيل العلم شائعة شيوعا كبيرا ، فالمقدسي كان يرحل طالبا العلم في القاهرة ودمشق وبغداد ومكة والمدينة وغيرها . وكان الراحل في سبيل العلم ، يلقي رعاية واهتماما ، فيوفر له المأكل والمسكن في المدرسة أو الزاوية أو الرباط أو الخانقاه أو غيرها . وكانت تصرف لهم مخصصات من الأوقاف المخصصة للمعهد العلمي الذي أقاموا فيه ، أو أي مكان آخر أقاموا فيه .

يقول ابن جبير ، وهو يتحدث عن مرافق الغرباء في بلاد الشام ، ويدعو المغاربة الى طلب العلم فيها : «فمن شاء الفلاح فليرحل الى هذه البلاد ، ويتغرب في طلب العلم ، فيجد الأمور المعينات كثيرة ، فأولها

= ودرس علاء الدين بالاقصى أيضا ، فقرأ الفقه والقراءات . ثم توجه الى القاهرة طالبا العلم ، ثم طلبه في الشام ، وحصل على اجازات عديدة بالافتاء والتدريس . ودرس في دمشق ، ثم بالصلاحيية المقدسية . توفي علاء الدين سنة ٩٢٥هـ . (انظر : الضوء اللامع ٣٢٦/٥ - ٣٢٧ ، الانس الجليل ١٨٤/٢ ، شذرات الذهب ٢٠٣/٨) .

(٤٥) الضوء اللامع ٣٢٦/٥ .

(٤٦) انظر : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ١٨١ ، ١٨٢ .

فراغ البال من أمر المعيشة ، وهو أكبر الأعوان وأهمها ، فاذا كانت الهمة ، فقد وجد السبيل الى الاجتهاد . ويؤكد ابن جبير حديثه قائلا : «فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك ، فادخل أيها المجتهد بسلام» (٤٧) .

ويذكر بدر الدين الكناني ، أن من كان يسكن في مدرسة ، كان يحضر الدروس فيها غالبا (٤٨) . ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن «المدارس وأوقافها لم تجعل لمجرد المقام والعشرة ، ولا لمجرد التعبد بالصلاة والصيام ، بل لتكون معينة على تحصيل العلم والتفرغ له» (٤٩) .

ويتحدث بدر الدين الكناني عن مساكن الطلبة في المدارس والزوايا والرباطات ، كما يتحدث عن الطعام ، وعمما ينبغي على الطلبة أن يرتدوه من لباس في الدروس (٥٠) .

ويتحدث الكناني المذكور عن مساكن الشيوخ في المدارس والزوايا وغيرها ، وكان أولئك الشيوخ يشرفون على «أحوال الطلبة والمعيدين والمبتدئين جميعا ، والملاحظين آداب المدارس العالية والمتوسطة ، والمكاتب الصغيرة ، والمتعلمين عامة في العلم والأدب والخلق» وغيرهم (٥١) .

ومن هذا يتبين لنا التشجيع الكبير للحياة العلمية ، وذلك بتوفير كل متطلبات طالب العلم الضرورية ، كما يتبين لنا أن المعاهد العلمية كانت تتنوع بين العالية ، والمتوسطة ، والمبتدئة ، وأن الشيوخ كانوا يشرفون على شؤون المدرسة ، ويعلمون فيها .

وهكذا لم يكن طالب العلم يدفع رسوما للتعليم ، بل كانت توفر له كل الوسائل الضرورية للتفرغ للدرس والبحث .

(٤٧) رحلة ابن جبير ٢٥٨ .

(٤٨) تذكرة السامع ٢١٦ .

(٤٩) نفسه ٢٢٠ .

(٥٠) انظر : نفسه ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ - ٢٢٨ ، ٢٣٥ .

(٥١) تذكرة السامع (حاشية) ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

كان طالبو العلم يهتمون اهتماما كبيرا بالاخذ المباشر عن الشيوخ
والسماع منهم ، والقراءة عليهم ، ثم الحصول على الاجازات العلمية .
وقد كان طالبو العلم أحرارا في اختيار المركز العلمي الذي يقصدونه ،
والشيوخ الذين يأخذون عنهم . وكانوا يقصدون أكثر المواطنين علما ،
وأكثر العلماء نبوغا فيه . وكانوا يستطيعون أن يذهبوا الى أي مكان في
دار الاسلام . ولم يجدوا عائقا في سبيل الرحلة من بلد الى آخر من بلاد
العالم الاسلامي . ولا شك أن هذا كان يمثل معلما مهما من معالم الوحدة
الثقافية .

تقدم أن القراءة وسيلة من وسائل التحصيل العلمي ، فقد كان طالب
العلم يقصد شيخه ليقرأ عليه كتاب كذا أو كتاب كذا ، وكانت القراءة
على العلماء شائعة شيوعا كبيرا ، وذلك واضح في الحديث عن الكتب التي
ركز العلماء على دراستها وتدريسها .

* * *

ومن طرق التحصيل العلمي الأخرى ، أن بعض المشايخ ، كانوا يملون
على طلبتهم ، ومن المعروف أن كتب الأمالي شائعة في أدبنا العربي ،
ويكفينا أن نشير الى أمالي القالي ، وأمالي المرتضى ، وأمالي اليزيدي
وغيرها . ومن الأمثلة على هذه الطريقة ما ذكر عن أمالي شيخ الاسلام كمال
الدين بن أبي شريف ، وهي الأمالي التي أملاها بمجالسه في المدرسة
الصلاحية في بيت المقدس . ذكر مجير الدين الحنبلي أن الشيخ كمال الدين
المذكور «عمل بها - الصلاحية - الدروس العظيمة ، فكان يدرس فيها
أربعة أيام في الأسبوع فقها وتفسيرا أو أصولا وخلافا ، وأملي فيها مجالس
من الأحاديث الواقعة في مختصر المزني» (٥٢) (٥٣) .

(٥٢) وهو كتاب في فروع الشافعية ، وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة بين الشافعية .
صنفه الشيخ الامام اسماعيل بن يحيى المزني الشافعي المتوفي سنة ٣٦٤ هـ . وهو
أول من صنف في مذهب الشافعي . ونال الكتاب اهتماما كبيرا ، فشرح ، وفسرت
ألفاظه ، وعلق عليه ، واختصر (أنظر : كشف الظنون ٢/١٦٣٥ ، ١٦٣٦) .
(٥٣) الانس الجليل ٢/٣٧٩ .

يذكر السيوطي أن الاملاء كان من أعظم وظائف أهل الحديث ، وأضاف أنه «قد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير» ، وكانت طريقة أهل اللغة «والاملاء كطريقة المحدثين» . وكان المستملي يكتب فوق ما يمليه شيخه عليه هذا «مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا» . ويذكر التاريخ ، ثم يورد المملي باسناده كلاما عن العرب والفصحاء «...» . ويبين السيوطي أن الأمالي في الحديث وغيره من العلوم هي الشائعة ، وأن الأمالي في اللغة قد قلت نسبيا ، أو انقطعت (٥٤) .

وهكذا بين السيوطي أن وظيفة الاملاء كانت من وظائف المحدث العليا ، وممن اشتهروا في هذا المجال الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، وغيرهما (٥٥) .



وكان العلماء يشترطون على طالب العلم ، القيام بالمذاكرة والمطارحة ، فالشيخ الامام برهان الدين الزرنوجي (٥٦) ، يقول : «ولا بد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة ، فينبغي أن يكون بالانصاف والتأني والتأمل ، ويتحرز عن الشغب والغضب ، فان المناظرة والمذاكرة مشاورة ، والمشاورة انما تكون لاستخراج الصواب ، وذلك انما يحصل بالتأمل والتأني والانصاف» (٥٧) . ومن هنا ، كثرت المناقشات بين طالبي العلم . ومما يذكر في هذا المجال ، وصف ابن جبير مجلس علم ووعظ

(٥٤) المزهر ٣١٣/٢ ، ٣١٤ .

(٥٥) انظر : المزهر ٣١٣/٢ ، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى .

(٥٦) لم نجد له ترجمة في المصادر التي اطلعنا عليها . ولعله منسوب الى زرنوج ، وهي من اعمال تركستان ، بلد مشهور بما وراء النهر (انظر : معجم البلدان : ١٣٩/٣) صنف كتابه هذا « تعليم المتعلم طريق التعلم » . وواضح من اسمه انه فقيه عالم . فقد قيل : كتاب كذا ، تأليف : الجيهنذ الفقيه العالم الشيخ الامام برهان الدين الزرنوجي . توفي سنة ٦٠٠ هـ . وترجم الكتاب الى اللاتينية . (انظر : كتاب تعليم المتعلم ، التربية عند العرب ١١٠) .

(٥٧) تعليم المتعلم ٢٣ .

بالمدرسة النظامية في بغداد ، فقد ذكر أن الشيخ الامام رضي الدين القزويني فقيه المدرسة النظامية ، «صعد المنبر بعد صلاة العصر ، فقرأ القراء ، ثم خطب الرضي ، «وتصرف في أفانين العلوم ، من تفسير كتاب الله ، عز وجل ، وايراد حديث رسوله ، والتكلم على معانيه ، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع منها ، فجمعها جملة في يده ، وجعل يجاوب عن كل واحدة منها ، وينبذ بها الى أن فرغ منها» (٥٨) . ومن الواضح أن هذا المجلس كان حافلا بالسؤال والمناقشة والمطارحة . وهكذا كان الأمر في بيت المقدس أيضا .

واهتم العلماء بالمناظرة فيما بينهم ، وقد كانت المناظرة شائعة في الفكر الاسلامي ، وشارك فيها الفقهاء وعلماء الكلام واللغويون وغيرهم . ومما يؤكد هذه الظاهرة أن عددا من علماء المسلمين ، وضعوا كتباً فيها ، مثل كتاب «اللباب المنتخل» في الجدل (٥٩) ، لأبي حامد الغزالي ، وكتاب «منتهى السؤل في علم الأصول» لسيف الدين الآمدي (٦٠) ، وغيرهما (٦١) .

(٥٨) رحلة ابن جبير ١٩٥ ، وانظر : ١٩٦ - ١٩٨ .

(٥٩) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٢٢٥/٦ . وذكر هذا الكتاب بعنوان آخر : المنتخل

والمنخول في الجدل . (انظر : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ١٨٤) .

(٦٠) علي بن محمد بن سالم ، واصله من آمد في ديار بكر . ولد فيها سنة ٥٥١ هـ ،

وطلب العلم في بغداد والشام ، ثم توجه الى القاهرة ، وفيها اشتغل بالتدريس ،

ولكنه امتحن فيها ، فنسبة بعض حاسديه من الفقهاء الى فساد العقيدة ، فخرج من

مصر ، وتوجه الى حماة ، ثم الى دمشق ، ودرس فيها . وتوفي سنة ٦٣١ هـ .

صنف مصنفات عديدة . ومنها كتابه « منتهى السؤل في علم الاصول » وغيره من

المصنفات في الاصلين ، والحكمة ، والمنطق ، والخلاف . وكان الآمدي فقيها ، أصوليا ،

متكلما . (انظر : وفيات الاعيان ٢٩٣/٣ - ٢٩٤ ، طبقات الشافعية للسبكي

٣٠٦/٥ - ٣٠٧ ، شذرات الذهب ١٤٤/٥ - ١٤٥) .

(٦١) انظر : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ٢٠٤ - ٢٠٨ ، الحياة العقلية في عصر

الحروب الصليبية ١٨٤ - ١٨٧ .

ومن الجدير بالقول أنه كانت تقترن المناظرة بالانصاف والتأني ،
والتأمل ، والابتعاد عن الغضب غالبا كما تقدم . ويحسن أن تبتعد
المناظرة عن الجدل العقيم ، وأن تكون البغية فيها الوصول الى الحق
والصواب كما يقول ابن وهب الكاتب (٦٢) .

ومن الجدير بالقول أنه كان يوجد كتّاب أو كتابيب تتبع للمسجد
الأقصى . فقد ذكر أن عددا من المدرسين كانوا يقرئون الأطفال بالمسجد
الأقصى ، ومنهم : الشيخ زين الدين عمر بن اسماعيل الحنبلي (٦٣) .
فقد كان مؤدبا للأطفال كما يذكر مجير الدين الحنبلي ، وكان يؤدبهم
«بالمسجد الأقصى بالمكان المجاور لجامع المغاربة» (٦٤) .

وكان الفقيه علاء الدين علي بن عبد الله الغزي المعروف بابن
قاموا (٦٥) ، يقرئ القرآن ، ويؤدب الأطفال ، فقد ذكر أنه «أقام بيت
المقدس دهرا ، وأدب به الأطفال ، وسمع الحديث ، وأقرأ القرآن» .
وذكره مجير الدين الحنبلي بين شيوخه ، وذكر أنه قرأ عليه القرآن ،
وعمره عشر سنين ، بمكتب باب الناظر في بيت المقدس (٦٦) .

(٦٢) البرهان في وجوه البيان ١٨٨ .

(٦٣) قال مجير الدين وابن العماد : كان زين الدين المذكور رجلا مباركا يحفظ القرآن ،
ويقرئ الأطفال كما تقدم . توفي سنة ٨٨٠هـ في بيت المقدس . (انظر : الانس
الجليل ٢/٢٦٧ ، شذرات الذهب ٧/٣٣٠) .

(٦٤) الانس الجليل ٢/٢٦٧ ، شذرات الذهب ٧/٣٣٠ .

(٦٥) ولد في حوالى سنة ٨٢٢هـ ، وتعلم ، وعنى بالقراءات بخاصة . ودرس بالقدس
والقاهرة . وكتب بخطه مصحفا على الرسم مع بيان القراءات السبع . وكان علما
من اعلام القراءات في بيت المقدس . توفي سنة ٨٩٠هـ . (انظر : الضوء اللامع
٥/٢٥٤ ، الانس الجليل ٢/٢٣٧) .

(٦٦) الانس الجليل ٢/٢٣٧ .

وكان الأطفال يقرأون في عدد من المدارس القريبة من الأقصى ، أو التابعة له ، مثل المدرسة الطازية ، والمدرسة الجوهريية ، ففي الأولى تولى اقراء الأطفال الشيخ شمس الدين محمد بن يميسى الشهير بأخي زرع(٦٧) في فترة من الفترات . ولا شك أن مقرئين غيره قاموا بذلك العمل أيضا ، واكننا لم نعثر على ذكر لغيره ، في المصادر التي وقفنا عليها .

وممن درسوا الأطفال بالمدرسة الجوهريية ، الفقيه شمس الدين محمد ابن غضية المقرئ الحنفي(٦٨) ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أن شمس الدين المذكور كان يؤدب الأطفال بالمدرسة المذكورة(٦٩) .

وممن درس الأطفال في بيت المقدس ، الشيخ الامام المحدث شمس الدين محمد بن أحمد القلقيلي(٧٠) ، فقد قدم الى بيت المقدس ، وأقرأ الأولاد فيه . وكان الشيخ القلقيلي قد أقرأ الأطفال في جلجوليا(٧١) قبل قدومه الى بيت المقدس في حدود سنة ٨٢٠هـ(٧٢) .

(٦٧) كان صوفيا بالبسطامية ، والخانقاه الصلاحية ، وكان من فقهاء المدرسة الصلاحية أيضا . توفي سنة ٨٧٥هـ (انظر : الانس الجليل ١٩٤/٢) .

(٦٨) وكان مؤذنا من مؤذني الاقصى أيضا . توفي سنة ٨٨٠ في بيت المقدس . (انظر : الانس الجليل ٢٤٣/٢) .

(٦٩) الانس الجليل ٢٢٣/٢ .

(٧٠) ولد في سنة ٧٧٦هـ ، ونشأ في قليقلية من اعمال جلجوليا . قدم الى بيت المقدس في حدود سنة ٨٢٠هـ . وكان شمس الدين عالما افاضلا ، وكان قارئ الحديث الشريف في بيت المقدس . وتوفي شمس الدين سنة ٨٥٢هـ . (انظر : الضوء اللامع ٢٨٨/٦ ، الانس الجليل ١٨١/٢ - ١٨٢) .

(٧١) من اعمال طولكرم اليوم .

(٧٢) الضوء اللامع ٢٨٨/٦ ، الانس الجليل ١٨١/٢ .

ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن عمر الخليلي الشافعي الشهير بابن المؤقت (٧٣) ، وكان قبل قدومه الى بيت المقدس ، قد اشتغل بتأديب الأطفال في الخليل ، ثم استمر في عمله ذلك في بيت المقدس (٧٤) .

ومن الطبيعي أن القراءة في الكتاب ، كانت تسبق القراءة في المسجد أو المدرسة ، وكان الصبي يتعلم فيه شيئا من القرآن ، ومبادئ الدين الاسلامي ، ومبادئ القراءة والكتابة ، ومبادئ الحساب ، ويحفظ شيئا من الشعر (٧٥) .

ومن الجدير بالاشارة أن عددا من الأئمة أوصوا بالألا يكون الكتّاب في المسجد ذاته ، وذلك «لأن الأطفال لا يتحفظون من النجاسة» (٧٦) ، وربما كان اقراء الأطفال بالطازية والجوهرية له صلة بهذا . ولكن نصا ورد بأن التدريس في هذا المجال ، كان يجري في كتّاب ملتصق بالمسجد ، أو زاوية من زواياه . ولم يكن هذا مقتصر على المسجد الأقصى ، فقد كان موجودا في المساجد الأخرى (٧٧) ، على الرغم مما قال به بعض الأئمة كما تقدم .

ومما يذكر في هذا المجال أيضا ، أن القدامى رأوا أن يكون ابتداء سماع الحديث الشريف ، لدى طالب العلم ، بعد العاشرة (٧٨) . وقد

(٧٢) ولد بالخليل سنة ٨٢١هـ ونشأ وتعلم فيها ، فسمع الحديث ، وقرأ على عدد من اشهر العلماء في الخليل والقدس . وحصل على الاجازة . وحدث شهاب الدين بالخليل والقدس . وتوفي في بيت المقدس سنة ٨٩٥هـ . (انظر : الضوء اللامع ٤٩/٢ ، الانس الجليل ٢/٢١٠) .

(٧٤) الانس الجليل ٢/٢١٠ .

(٧٥) انظر : مقدمة ابن خلدون ٣٩٧ - ٣٩٩ ، رواد الشرق العربي ، ١٢٠ ، ١٩٨ ، بلادنا فلسطين - في بيت المقدس ، ج ٩ ، ق ٣٠٦/٢ .

(٧٦) انظر : تاريخ التربية الاسلامية ٥٣ .

(٧٧) رحلة ابن جبير ، وانظر : تاريخ التربية الاسلامية ٥٤ .

(٧٨) انظر : تذكرة السامع ١٣٤ .

سمع بعض العلماء المقادسة الحديث في العاشرة من العمر فعلا ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أنه حضر مع شيخه ابن قاموا ، مجلس الشيخ شمس الدين بن عمران لسماح الحديث (٧٩) .

وذكروا أن يكون ابتداء سماع اللغة بعد الخامسة عشرة من العمر ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب النحوي ، قال : «ابتدأت في طلب العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين» ، وقد ولد ثعلب في سنة مائتين للهجرة (٨٠) . ومن هذا يتضح أنه ابتداء في طلب العربية في السادسة عشرة من عمره .

ويصف لنا الشيخ الامام بدر الدين بن أبي اسحق ابراهيم بن أبي الفضل بن سعد الله بن جماعة الكناني المقدسي ، ابن القرن الثامن الهجري ، درسا من الدروس ، فيبين أن المدرس كان يتضمن البحث والسؤال . ويذكر ابن جماعة المذكور أن المدرس كان يتهنياً المجلس التدريس بتطهير نفسه ، ولبس «أحسن ثيابه اللاتقة به بين أهل زمانه ، قاصداً بذلك تعظيم العلم ، وتبجيل الشريعة» ، ويدعو قبل الخروج من بيته دعاء خاصا ، ويسلم عند الوصول الى مجلس التدريس ، ويصلي ركعتين ، ثم يجلس للمدرس مستقبلا القبلة . ويبدأ المدرس بقراءة آيات بينات من الذكر الحكيم ، وعليه أن يتعوذ ويسلم ، ويحمد ، ويصلي على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قبل البدء بالدرس . ويدعو لواقف المدرسة ، والدارسين ، والمدرس ، والمسلمين جميعا ، ثم يفصل المدرس في درسه . واذا تعددت الدروس ، فعليه أن يقدم الأهم فالأهم ، «فيقدم تفسير القرآن ، ثم الحديث ، ثم أصول الدين ، ثم أصول الفقه ، ثم المذهب ، ثم الخلاف أو النحو والجدل» . وعلى المدرس ألا يطيل أو يقصر ، ولا ينتقل من مبحث الى آخر الا بعد الانتهاء منه ، وعليه أن ينهج نهج السؤال

(٧٩) الانس الجليل ٢/٢٣٧ .

(٨٠) انظر : وفيات الاعيان ١/١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢١ ، تذكرة السامع والمتكلم ٧٠ .

والمناقشة كما يبدو في حديث ابن جماعة ، يقول : «على المدرس أن يخصص من يكلمه ويسأله أو يبحث معه على الوجه عند ذلك بمزيد التفات اليه واقبال عليه» ، وألا «يسرد الكلام سردا ، بل يرتله ويرتبه ويتمهل فيه هو وسامعه» . وعليه أن يتحلى بالانصاف ويلزمه في بحثه وخطابه . وأن يتلطف في تفهيم الطلبة ، وتوضيح المسائل لهم ، فيبدأ بتصويرها ، ثم يوضحها بالأمثلة . وبعد أن يفرغ الشيخ من درسه ، يحسن به أن يطرح مسائل تتعلق بالدرس «يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم» . ويختتم المدرس درسه بالرقائق (٨١) ، ليفيد به الحاضرين تطهير الباطن ، ونحو ذلك من عظة ورقة وزهد وصبر (٨٢) .

ويبين ابن جماعة أن الغاية من التعليم تتمثل في أن يقصد المدرس «بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى ، ونشر العلم ، واحياء الشريعة ، ودوام ظهور الحق ، وخمول الباطل ، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها ، واغتنام ثوابهم ، وتحصيل ثواب من ينتهي اليه علمه . . . » . ويعد ابن جماعة العلماء «من جملة مبلغى وحى الله تعالى وأحكامه ، فان تعليم العلم من أهم أمور الدين ، وأعلى درجات المؤمنين» (٨٣) .

(٨١) الرقيقة هي اللطيفة الروحانية ، وقد تطلق على الوسطة اللطيفة الرابطة بين الشينين كامداد الواصل من الحق الى العبد . ويقال لها رقيقة النزول كالوسيلة التي يتقرب بها العبد الى الحق من العلوم والاعمال ، والاخلاق السنية ، والمقامات الرفيعة . ويقال لها رقيقة العروج ورقيقة الارتقاء . وقد تطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك (انظر : التعريفات ٩٩ ، كشاف مصطلحات الفنون ٧١/٣) . والمقصود بها هنا ذكر مجموعة من الاحاديث ، والاقوال في الوعظ والزهد والصبر ، وغايتها تطهير الباطن (انظر : تذكرة السامع والمتكلم ٣٧) .

(٨٢) انظر : نفسه ٣٠ - ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥١ - ٥٣ .

(٨٣) انظر : تذكرة السامع والمتكلم ٤٧ .

الفصل الثالث

العلوم الشرعية في ظل المسجد الأقصى

تنوع التدريس في المسجد الأقصى بين تدريس العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، وعلم التاريخ ، وبعض العلوم العقلية والعملية . لقد درست العلوم الشرعية : الحديث ، والتفسير ، والقراءات ، والفقه ، وغير ذلك . ودرست علوم اللغة العربية : النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والأدب ، والعروض . ودرس التاريخ . ودرست بعض أصناف العلوم العقلية مثل المنطق ، وعلم الكلام . ودرست بعض العلوم العملية مثل الرياضيات : الحساب ، والجبر ، ودرس الميقات .

شمل التدريس ، في المسجد الأقصى ، العلوم الدينية ، والعلوم الدنيوية ، وهذا أمر يتسق مع ما تحدثنا فيه عن اهتمام التعليم الاسلامي بالدين والدنيا معا .

ومن الجدير بالملاحظة أن الاهتمام بتدريس العلوم الشرعية وما يتصل بها ، كان شائعا أكثر من غيره ، وقد نظر العلماء ، في ترتيب العلوم حسب أقدارها ، كما يقولون ، فرتبوها علوما شرعية ، وعلوما أخرى تخدمها . وفي هذا المجال ذهب الماوردي الى أن أفضل العلوم هي علوم الدين ، فقد بين أنه «إذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل ، وجب صرف الاهتمام الى معرفة أهمها ، والعناية بأولها وأفضلها . وأولى العلوم وأفضلها علم الدين ، لأن الناس بمعرفته يرشدون ، وبجهله يضلون»^(١) . وذهب الشيخ بدر الدين الكناني المقدسي الى مثل هذا ، فرتب العلوم ، من حيث شرفها ، على النحو التالي : القرآن والقراءات ، فالحديث ، فالتفسير ، فأصول الدين ، فأصول الفقه ، فالفقه ، فالنحو والصرف ،

(١) أدب الدنيا والدين ٢٨ .

فالشعر ، فالعروض» (٢) . وهذا يوضح أن الاهتمام كان منصبا على العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، في الدرجة الأولى . وكان الاهتمام بالعلوم الشرعية وما يستتبعها ، شائعا في مختلف المساجد التعليمية مثل الجامع الأزهر ، والجامع الأموي ، وغيرهما . ويمكن تعليل هذا بارتباط الحركة الفكرية بالدين ارتباطا قويا . ولا غرو في ذلك ، فقد كانت القدس قد تعرضت لغزو صليبي ، كما تعرض غيرها من بلدان العالم الاسلامي . ولم يكن الاهتمام بالعلوم الدينية آنذاك ، مقتصرا على المسلمين ، فقد كان الفرنج كذلك في اهتمامهم بالعلوم الدينية ، وما يتصل بها من العلوم . وهكذا تكون ظاهرة الاهتمام هذه أمرا شائعا وطبيعيا آنذاك ، يضاف الى هذا أن مواقف بعض السلاطين والحكام ، في الدعوة الى الابتعاد عن الفلسفة وغيرها من العلوم ، كما سنفصل القول فيها ، أدت الى اهتمام أكبر بالعلوم الدينية وما يتصل بها من علوم أخرى .

ويتحدث ابن خلدون عن نفاق أسواق العلوم الشرعية النقلية، في عصره، ويبين أن تلك العلوم الشرعية تتمثل في «الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله ، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للافادة» ، ويضيف ابن خلدون مبينا أن علوما أخرى تستتبع ذلك ، وهي «علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة ، وبه نزل القرآن» . ثم يفصل ابن خلدون في العلوم التي كانت مدار الاهتمام ، فيذكر علم التفسير ، وعلم القراءات ، وعلوم الحديث ، وأصول الفقه ، والفقه ، وعلم الكلام ، وعلم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم البيان ، وعلم الآداب . وينتهي ابن خلدون الى أن «هذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية وأهلها» ، وأن «هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه» . ويركز ابن خلدون على نفاق العلم في المشرق الاسلامي ، واتصال التعليم فيه «في العلوم ، وفي سائر الصنائع الضرورية والكمالية» (٣) .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ١٧١ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

ولكن يجب ألا ينصرف البال الى أن العلوم الأخرى ، لم تنل عناية ما .
فقد تقدم القول ، بأن فلسفة التعليم الاسلامي راعت بين تعليم العلوم
الدينية والدنيوية . ويؤكد هذا الدعوة الى التفكير في العلوم ، والتبحر
فيها بعد اتقان العلوم الأساسية . وهذا واضح في تحذير العلماء من
الاشتغال بالعقليات ابتداءً ، فقد حذر ابن جماعة الكناني المذكور ، ابن
القرن الثامن الهجري ، من الاشتغال في الاختلاف بين العلماء ، أو بين
الناس مطلقا في العقليات والسمعيات ، فانه يحير الذهن ، ويدهش
العقل ، ثم يضيف ابن جماعة قائلا : «وأما اذا تحققت أهليته ، المتعلم ،
وتأكدت معرفته ، فالأولى ألا يدع فنا من العلوم الشرعية الا نظر فيه» ،
ثم يتبحر في تلك العلوم وغيرها ، ويعتني بالأهم فالأهم (٤) . ولعله يتضح
من هذا ، أن تعليم العلوم العملية والتجريبية والعقلية ، لم يمنع الاشتغال
بها ، ولكنها كانت تأتي في المرتبة التالية ، وذلك بعد أن يشدو المتعلم في
علوم الدين وما يتصل بها ، ويتمكن فيها ، خوفا من تطرق الشك اليه
في عقيدته .

ومما يؤكد ذلك ما ذكر عن شهاب الدين بن الهائم ، في مجال الجبر
والمقابلة فقد ذكر أنه فرغ من اختصار مصنفه «الممتع في شرح المقنع» (٥)
في يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٨١٠ هـ بالمسجد الأقصى
الشريف» (٦) .

وكان عدد من العلماء الذين تصدروا للتدريس بالمسجد الأقصى ،
ذوي باع في الحساب ، من أمثال زين الدين أبي الجود ما هر بن عبد الله

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

(٥) توجد نسخة مخطوطة منه بكتبة فيض الله ، وهي مكتوبة في القرن التاسع الهجري -

١٣٦٦ - ٨٣٣ (انظر : فهرس المخطوطات المصورة - الرياضيات ٥) .

(٦) فهرس المخطوطات المصورة - الرياضيات ٨٤ ، ٨٥ .

الأنصاري المصري ثم المقدسي (٧) ، والقاضي زين الدين محمود بن حسن ابن الدويك الحنفي (٨) ، وشيخ الاسلام أحمد بن عبد الله بن محمد المجدلي المقدسي ، المعروف بأبي العباس المقدسي ، وشيخ الاسلام شمس الدين أبي اللفظ محمد بن علي الحصكفي (٩) ، وغيرهم .

وكان أبو العباس المقدسي المذكور مهتما بالمنطق ، ويحفظ كتبنا فيه (١٠) ، وكان الحصكفي المذكور أيضا مهتما بالمنطق ، وعلم الهيئة ، والهندسة ، والحساب ، والموسيقى ، ملما بها (١١) . وكان من المتصدرين للتدريس بالأقصى كما تقدم ، فهل يعقل أنه لم يدرس العلوم التي كان

(٧) ولد حوالي سنة ٧٧٩هـ في أحد أعمال القاهرة ، ثم انتقل الى القاهرة ، ودرس فيها الفقه والحديث وغيرهما من العلوم ، على اشهر العلماء ، وحصل على الاجازة . ثم قدم الى بيت المقدس سنة ٨٠٢هـ ، واستمر في طلب العلم ، فدرس الفقه وأصوله ، والعربية والفرائض والحساب ، والمنطق على شهاب الدين بن الهائم ، ولازمه ، ودرس على غيره ، ثم تصدر للتدريس بالأقصى . توفي حوالي سنة ٨٦٦هـ .

(انظر : الضوء اللامع ٢٣٦/٦ - ٢٣٧ ، الانس الجليل ١٨٨/٢ ، نظم العقيان ١٣٥) .
(٨) كان من اعيان المباشرين بالأقصى على اوقافه ، وكان زايد طولبي في الفرائض والحساب . رحل الى الهند ، ومكث مدة فيها ، ثم عاد الى القدس بعد سنة ٨٧٠هـ ، فنظر في الاوقاف . توفي سنة ٨٩١هـ في بيت المقدس ، ودفن بمقابر الشهداء (انظر : الضوء اللامع ١٠/١٤٩ ، الانس الجليل ٢/٢٣٧) .

(٩) ولد بحصن كيفا سنة ٨٩١هـ ، ونشأ هناك . قدم الى بيت المقدس بعيد سنة ٨٢٨هـ أو ٨٣٩هـ ، وطلب العلم في بيت المقدس ، بعد أن كان قد طلبه في حصن كيفا ، وفي حلب ، ودرس بالأقصى ، ولازم شهاب الدين بن ارسلان ، وأخذ عنه التفسير ، والحديث والنحو ، وغيرها . ودرس بالقاهرة . ثم عاد الى بيت المقدس ، واستقر معيدا بالصلاحية ، ومتصدرا للتدريس بالأقصى . توفي سنة ٨٥٩هـ . (انظر : الضوء اللامع ٨/٢٢١ ، الانس الجليل ٢/١٨٤ - ١٨٥) .

(١٠) الضوء اللامع ١/٣٦٣ .

(١١) نفسه ٨/٢٢١ ، ٢٢٢ .

ملما بها ، ولو على نطاق ضيق ؟ وكان الشيخ سراج الدين بن مسافر الرومي ثم المقدسي الحنفي^(١٢) . قد درس العلوم العقلية ببلاده ، ثم قدم الى بيت المقدس سنة ٨٢٨هـ ، ودرس في بيت المقدس ، وأخذ عنه الكثير من طالبي العلم ، علم الكلام والمنطق ، وغيرهما^(١٣) .
ولعل هذا وغيره مما تقدم ، يوضح لنا كيف أن العلوم الدينية ، والعلوم الدنيوية ، قد درستا في المسجد الأقصى ، ولكن الأولى نالت عناية كبرى كما تقدم .



القراءات :

نالت القراءات عناية كبيرة ، وتبدو تلك العناية جلية في مظاهر متعددة ، من تدريس وتصنيف ، كما تبدو جلية في بناء قبة خاصة لتدريس القراءات السبع في الحرم الشريف ، فقد ذكر ابن واصل الحموي ان الملك المعظم عيسى «بنى بالحرم الشريف قبة ، ووقف عليها وقفا جليلا على أن يشتغل في تلك القبة بالقراءات السبع» ، وعهد بالتدريس فيها الى الشيخ شمس الدين رزين البعلبكي تلميذ الشيخ تاج الدين الكندي . وكان الشيخ البعلبكي «حسن القراءة ، جيد الأداء ، حافظا للقراءات العشر وطرقها» . وذكر ابن واصل أنه جود القرآن العظيم على الشيخ البعلبكي المذكور ، في تلك القبة بالمسجد الأقصى سنة ٦٢٤هـ . ولم يكن البعلبكي ملما بالقراءات فحسب ، فقد كان ملما بما يستلزمه علم القراءات ،

(١٢) ولد ببلاذ الروم حوالي سنة ٧٩٠هـ ، ونشأ وتعلم هناك ، ثم طلب العلم في بلاد العجم . فدرس العلوم العقلية . وعاد الى بلده ، واشتغل بالتدريس . ثم قدم الى بيت المقدس سنة ٨٢٨هـ ، واشتغل بالتدريس ، وولي مشيخة المدرسة العثمانية . له مصنفات عديدة . توفي سنة ٨٦٥هـ بالقدس (انظر : الضوء اللامع ٣/٢٤٣ - ٢٤٥ ، الانس الجليل ٢/٢٢٨) .

(١٣) الضوء اللامع ٣/٢٤٣ ، ٢٤٤ ، الانس الجليل ٢/٢٢٨ .

وبخاصة النحو . ويبدو ذلك واضحا في حديث ابن واصل حول قراءته كتاب الايضاح في النحو لأبي علي الفارسي ، على الشيخ البعلبكي في القبة ذاتها ، والسنة ذاتها (١٤) . ويتبين لنا من هذا ، أن القبة لم يقتصر التدريس فيها على القراءات ، فقد شمل علوما أخرى ، وخاصة العلوم التي لها صلة وثيقة بالقراءات مثل النحو كما تقدم .

ويتبين لنا أيضا أن ابن واصل الحموي تلقى التعليم في المسجد الأقصى ، وأن ما تلقاه تنوع بين القراءات والنحو ، أو بين العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية . وكان ابن واصل المذكور قد وفد مع والده الى بيت المقدس ، عندما وكل الملك المعظم عيسى لوالده التدريس في المدرسة الصلاحية في بيت المقدس . ويبدو هذا واضحا في حديث ابن واصل ، في أخبار سنة ٦٢١هـ : «طلب والدي منه - الملك المعظم - المقام بالقدس الشريف لينقطع فيه للعبادة ، وتوقف الملك المعظم في اجابته الى ذلك» ، وخيره بين تولي القضاء أو الخطابة في جامع دمشق ، ولكنه أبى الا المضي الى القدس ، ففوض اليه الملك المعظم التدريس بالصلاحية . ومضى ابن واصل ووالده الى القدس في أوائل سنة ٦٢٢هـ ، وأقاما هناك ، وتلقى ابن واصل تعليمه في بيت المقدس ، وشدا في العلم بدليل أن والده عهد اليه أن يحل محله في التدريس عندما قصد الحج في سنة ٦٢٤هـ (١٥) . وكان ابن واصل قد درس القراءات ، وجود القرآن في القبة المذكورة كما تقدم .

وذكر أن الملك المعظم عيسى جدد المدرسة النصرية (١٦) ، «وجعلها زاوية لقراءة القرآن ، والاشتغال بالنحو ، ووقف عليها كتبا من جملتها :

(١٤) مفرج الكروب ٢١١/٤ ، ٢١٢ .

(١٥) نفسه ١٤١/٤ ، ١٤٢ ، ٢٠٦/٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(١٦) تقع على برج باب الرحمة ، وذكرها مجير الدين باسم النصرية ، وهي منسوبة الى الشيخ نصر المقدسي المتوفى سنة ٤٩٠هـ . وتلقى طالبو العلم عليه فيها ، ومنهم أبو اسحاق الغزالي ، وابن عساكر ، وغيرهما . وفيها أقام الامام أبو حامد الغزالي عندما قدم الى بيت المقدس ، فنسبت اليه أيضا . وصنف الغزالي الرسالة القدسية

اصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت» ، وقد وقفها في التاسع من ذي الحجة سنة ٦١٠ هـ . ذكر مجير الدين الحنبلي أنه وقف على كراسة من كتاب اصلاح المنطق ، وعلى ظهرها الوقف وتاريخه^(١٧) المذكور فيما تقدم . وهكذا تبدو الصلة بين القراءات والنحو جلية كذلك .

ومن المراكز الأخرى لاقراء القرآن ، وتدريس القراءات في المسجد الأقصى ، مكتب باب الناظر^(١٨) ، وقد تولى الاقراء فيه أشهر مقرئي بيت المقدس من أمثال الفقيه علاء الدين علي بن عبد الله بن محمد الغزي المقرئ الحنفي المعروف بأبن قاموا ، وكان علاء الدين المذكور قد قرأ ، بالقراءات السبع ، على الشيخ شمس الدين محمد بن موسى بن عمران الغزي في بيت المقدس ، وعني بالقراءات عناية كبيرة ، وأصبح مقرئاً من أشهر مقرئي بيت المقدس كما تقدم ، وكان قد حصل على الاجازة في القراءات . وتولى بعد ذلك الاقراء في المسجد الأقصى ، بمكتب باب الناظر ، وقرأ عليه طالبو العلم ، ومنهم مجير الدين الحنبلي ، وقد قرأ عليه وهو ابن عشر سنوات «من سورة الأنبياء الى الفاتحة» ، ثم كرر ختم القرآن عليه مرات عديدة . وذكر مجير الدين الحنبلي أنه قرأ على علاء الدين بعض القرآن برواية عاصم^(١٩) .

ولم يقتصر أمر القراءات في الأقصى على هذه المراكز ، فقد كانوا يتناقشون في بعض ما يتصل بالقراءات في مجالسهم الأدبية والعلمية ، ومن

= آنذاك . واتصل به العلماء ، وأخذوا عنه . وقد جددت هذه المدرسة في عهد الملك المعظم ، واستمرت تؤدي دورها حتى القرن التاسع الهجري ، ولكنها دثرت في عصر مجير الدين . (طبقات الشافعية الكبرى ٣٥١/٥ ، تبين كذب المفتري ٢٨٧ ، طبقات الشافعية - الاسنوي ٤٢٢/٢ ، ٤٢٦ ، الانس الجليل ٣٤/٢ ، خطط الشام ١١٧/٦) .
(١٧) الانس الجليل ٣٤/٢ .

(١٨) باب قديم جددت عمارته في زمن الملك المعظم عيسى في حدود سنة ٦٠٠ هـ . (انظر :

الانس الجليل ٣٠/٢) .

(١٩) الانس الجليل ٢/١ (مقدمة) ، ٢٣٧/٢ .

ذلك ما ورد في أحداث سنة ٦٢٣هـ ، أن الملك العظيم عيسى ، عندما قدم الى بيت المقدس ، «جلس خارج الصخرة الشريفة ، واستدعى جماعة الفقهاء ، ومما سأل عنه يومئذ ، أنه كيف ورد في القراءات الست» ، وذلك باستثناء قراءة أبي عمرو بن العلاء من القراءات السبع ، «ان هذان لساحران» كما تقدم في الحديث عن عوامل الحركة الفكرية ، علما بأن «هذه القراءة هي المطابقة لخط المصحف الامام» (٢٠) .

تعددت أمهات كتب القراءات التي نالت عناية كبيرة في اقرء القرآن ، ودرس علم القراءات . ومن تلك الكتب الشاطبية المشهورة ، والرائية ، وهما من نظم الشاطبي . وعني باقراءهما العديد من المقرئين ، ومنهم امام الأقصى زين الدين عبد الكريم بن داود بن أبي الوفاء الحسيني المقدسي الشافعي المقرئ (٢١) .

كان ابن أبي الوفاء المذكور قد تلا بالقراءات السبع على شيخ القراءات شمس الدين بن عمران ، وتلا على غيره من المقرئين ، فقد تلا سورة البقرة بالقراءات السبع ، وتلا سورة الفاتحة والبقرة على بدر الدين حسن بن عبد الرحمن بن شجاع المقرئ (٢٢) ، بالقراءات السبع أيضا . وقرأ ابن أبي الوفاء بالقراءات العشر ، فقد تلا بها سورة آل عمران على ابن عمران الغزي المقدسي وغيره ، كما يذكر السخاوي . وأصبح ابن أبي الوفاء من المتقدمين في القراءات . ووصفه معاصروه بشيخ القراء ، وصار المشار اليه

(٢٠) مفرج الكروب ٤/٢١٣ .

(٢١) ولد في بيت المقدس سنة ٨٢٦هـ تقريبا . ونشأ وتعلم هناك . ودرس الفقه والقراءات . وسمع على العديد من العلماء ، وحصل على الاجازة . واصبح شيخ القراء ، والمشار اليه فيها يبيلدة . واشتغل بالتدريس ، فدرس بالصلاحية في بيت المقدس . واشتغل الى جانب ذلك بالامامة والاقراء . وتوفي بالقدس سنة ٨٩٥هـ . (انظر : الضوء اللامع ٤/٣٠٩ ، الانس الجليل ٢/٢١١) .

(٢٢) وصفه ابن أبي الوفاء المذكور بالامام العالم ، وذكر أنه تلا عليه للسبع الفاتحة والبقرة ، كما يذكر السخاوي (انظر : الضوء اللامع ٣/١٠٣) .

في بيت المقدس في هذا انجال (٢٣) . ولسنا بصدد الترجمة لابن أبي الوفاء،
ولكننا ذكرنا ما يوضح ان المقرئين في المسجد الأقصى كانوا من شيوخ القراء
المشهورين .

وفي المسجد الأقصى ، قرأ الكثير من طالبي علم القراءات على ابن أبي
الوفاء ، وجودوا القرآن عليه بالقراءات السبع ، والقراءات العشر . وقد
قرأ عليه الكثيرون من المقيمين في بيت المقدس ، والوافدين اليها . ومن
مشهوري الوافدين الذين قرأوا على ابن أبي الوفاء ، السنخاوي ، فقد روي
أنه سمع عليه الشاطبية بقراءته (٢٤) . وممن قرأوا عليه أيضا الشيخ
قوام الدين أبو يزيد محمد بن أبي بكر بن محمد الحبشي الأصل الحلبي
الشافعي (٢٥) ، وكان قوام الدين قد قدم الى بيت المقدس مع والده ، وفيها
أخذ عن ابن أبي الوفاء ، وعرض عليه أماكن من الشاطبية والرائية (٢٦) .

وتصدر عدد من أشهر القراء لاقراء القرآن وتدرسه في المسجد
الأقصى ، ومنهم شهاب الدين أحمد بن محمد بن مغيث الأندلسي (٢٧) ،
امام المالكية بالأقصى ، وكان مقرئ بيت المقدس ، وأخذ عنه طالبو
العلم ، وسمعوا منه ، وممن سمع عليه الشيخ تقي الدين القلقشندي ،
وحصل على الاجازة منه (٢٨) .

(٢٣) انظر : الضوء اللامع ٤/٣٠٩ .

(٢٤) نفسه ٤/٣٩٠ .

(٢٥) كان عالما فاضلا مناظرا ، حفظ الشاطبية وعرضها بحلب سنة ٨٨٣هـ ، ثم سافر
مع ابيه الى بيت المقدس ، وأقام بها مدة ، ثم جاور بمكة سنتين ، ثم عاد الى حلب ،
وقرأ فيها ، واشتغل بالتدريس ، فدرس بجامع حلب ، ووعظ . توفي سنة ٩٢٤هـ
في حلب (الكواكب السائرة ١/٢٧) .

(٢٦) الكواكب السائرة ١/٢٧ .

(٢٧) قدم الى بيت المقدس ، واشتغل بالعلم ، وأخذ عن العلماء في بيت المقدس . ثم درس
هناك ، وأخذ عنه الطلبة . توفي سنة ٨٠٨هـ (الانس الجليل ٢/٢٤٥) .

(٢٨) الانس الجليل ٢/٢٤٥ .

ثم تنازل ابن مغيث لسيطه الشيخ شمس الدين عبد الواحد بن جبارة المغربي المالكي (٢٩) . وولي ابن جبارة الامامة والتصدير بالمسجد الأقصى (٣٠) . وكان ابن جبارة المذكور يقرأ بالقراءات السبع ، وكان ذا معرفة جيدة بالنحو والفرائض والحساب ، وكان أدبيا شاعرا . وقد تصدر للتدريس بالمسجد الأقصى ، فأخذ عنه الطلبة ، ودرسوا عليه القراءات ، وجودوا القرآن بالقراءات السبع (٣١) .

ومن الجدير بالإشارة أن عددا من سلاطين المماليك عنوا بالقراءات القرآنية في الصخرة المشرفة ، فقد وضعوا مصاحف فيها ، ورتبوا لها أشهر القراء ، ومن ذلك ما فعله الأشرف برسباي ، والظاهر جقمق ، والأشرف اينال ، والظاهر خشقدم ، كما تقدم في الحديث عن عوامل الحركة الفكرية . ونضيف هنا أن القراء الذين عينوا للقراءة والاقراء في الصخرة المشرفة كانوا من أشهر القراء في بيت المقدس ، ومنهم الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن خليل بن أبي بكر القباقي ، الحلبي الأصل . وكان قد قدم الى بيت المقدس ، وفيها انتهت اليه الرياسة في القراءات . ولم يقتصر شمس الدين على عمله هذا بالصخرة ، فقد كان يدرس القراءات بالمدرسة الجوهريّة (٣٢) في بيت المقدس . ومنهم ابنه برهان الدين أبو اسحق ابراهيم ، فقد قرأ على والده وغيره من المقرئين في

(٢٩) توفي سنة ٨٢٦هـ (انظر : الانس الجليل ٢/٢٤٦) .

(٣٠) الانس الجليل ٢/٢٤٦ .

(٣١) نفسه ٢/٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣٢) تنسب الى واقفها صفي الدين جوهر ، وتقع جوار الحرم ، بباب الحديد . وكانت تعنى بتدريس القراءات ، واقراء الاطفال أيضا . وقفها منشئها سنة ٨٤٤هـ ، وتولى مشيختها عدد من اشهر العلماء . واستمرت هذه المدرسة تؤوي دورها في الحياة الفكرية حتى نهاية العصر المملوكي ، بل بعده أيضا . وهي الآن دار للسكن . (الانس الجليل ٢/٣٧ ، خطط الشام ٦/١١٨ ، الفصل في تاريخ فلسطين ٢٥٤ ،

بيت المقدس ، وأصبح «أحد أعيان علماء بيت المقدس في العلم والقراءات» .
وكان يدرّس القراءات بالمدرسة الجوهريّة أيضا ، فقد خلف والده في
وظيفته بعد وفاته في سنة ٨٤٩هـ (٣٣) . وهكذا ، فقد كان أشهر المختصين
في القراءات ، يختارون للقراءة والاقراء بالصخرة المشرفة وغيرها .

كان القراء يقرؤون العشر بالحرم الشريف ، ومن كانوا يقرؤونه
الشيخ عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو عمر الجبرتي (٣٤) ، وقد
كان ذا عناية بالقراءات ، وتصدر للاقراء ، فكان يقرئ العشر بالحرم ،
وقرأ عليه الكثيرون من طالبي العلم (٣٥) .



الحديث :

كثر المشتغلون في علم الحديث ، وعقدت الحلقات لتدريسه في
المسجد الأقصى والصخرة المشرفة وقبة موسى ، وقد بلغ تدريس الحديث
شأنا كبيرا ، فقد كانت مشيخة الحديث في الأقصى من أهم مظاهر العناية
الكبيرة بتدريس هذا الموضوع . وتعد هذه المشيخة وأمثالها من المشيخات
أقساماً علمية تكون عادة في المعاهد العالية ، أو كليات في الجامعات . وقد
كان لهذه الأقسام العلمية أروقة للدرس ، أو بناية خاصة لذلك (٣٦) .
وقد ذكر أن مشيخة الحديث يشترط «أن يكون فيها شيخ عالي الاسناد،
يشغل بعلم الحديث النبوي» ، وأن يكون فيها قارئان للحديث ، وطلاب
يشغلون به ، وأن تخصص مخصصات للشيخ والقارئ والطلبة (٣٧) .
وإذا كانت هذه الشروط تنطبق على مشيخة الحديث في المستنصرية ، فهل
كانت كذلك في مشيخة الحديث بالأقصى ؟ لقد توافرت هذه الشروط في

(٣٣) الانس الجليل ١٧٩/٢ ، ١٨٠ .

(٣٤) توفي بالقدس سنة ٧٩٤هـ (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١/٥٠٦) .

(٣٥) غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٠٦ .

(٣٦) انظر : تاريخ علماء المستنصرية ١/١٠٥ .

(٣٧) الحوادث الجامعة ٥٨ ، وانظر : تاريخ علماء المستنصرية ٣١٩ - ٣٢٠ .

مشيخة الحديث بالأقصى ، فقد تولاهما شيخ عالي الاسناد ، وكان فيها قارئ للحديث ، وطلبة يشتغلون به ، وغير ذلك .

تولى مشيخة الحديث في الأقصى الشيخ خير الدين أبو الخير محمد ابن عبد الرحمن القلقشندي المقدسي (٣٨) ، ويذكر السخاوي أن خير الدين المذكور كان معنيا بالحديث عناية خاصة ، فقد سمع أجزاء كثيرة منه ، وحصل على اجازات عديدة من أشهر علماء الحديث ، وأصبح من علماء الحديث المشهورين في بيت المقدس (٣٩) .

وكان للحديث قارئ معين ، فقد ذكر أن يحيى بن قاضي الصلت ، امام الأقصى ، كان قارئ الحديث الشريف فيه . وكان المحدث شمس الدين محمد بن القلقيلي قارئاً للحديث الشريف في بيت المقدس أيضا (٤٠) .

تخصص أشهر المحدثين لتدريس الحديث في المسجد الأقصى ، ومن مدرسي الحديث المحدث قطب الدين أبو بكر محمد بن محمد بن جلال الدين أبي العزم مكرم الانصاري الخزرجي (٤١) ، وقد كان محدثا ذا سند عال ، وتلقى الطلبة دروسا في الحديث على يديه ، ومنح الاجازات العلمية

(٣٨) ولد في بيت المقدس سنة ٨٢٢هـ ، ونشأ فيه ، وأخذ عن العلماء ثم اشتغل بالتدريس ، فدرس بالمدرسة الكريمة ، والمدرسة الطازية ، واعاد بالصلاحية في بيت المقدس . وحدث بالأقصى . توفي سنة ٨٩٧هـ (انظر : الضوء اللامع ٣٠١/٧ - ٣٠٢) .

(٣٩) الضوء اللامع ٣٠١/٧ - ٣٠٢ .

(٤٠) الضوء اللامع ٢٨٨/٦ ، الانس الجليل ١٨١/٢ .

(٤١) ولد سنة ٦٧٠هـ ، ونشأ وتلقى العلم ، وعنى بالحديث عناية خاصة ، وأصبح مجدثا مشهورا ، وحدث . توفي سنة ٧٥٢هـ (انظر : الانس الجليل ١٥٦/٢ ، ١٥٧) .

(٤٢) ولد سنة ٨٤٠هـ تقريبا في بيت المقدس ، ونشأ وتعلم فيه . وصار من اعيان العلماء .

راشتغل بالتدريس ، وكان يدرس بالأقصى . وله نظم رائق . توفي سنة ٨٨٧هـ .

انظر : الانس الجليل ٢٠١/٢ .

في هذا المجال . وممن أجازهم الشيخ شمس الدين عبد القادر النابلسي الحنبلي (٤٢) ، وكان ذلك في سنة ٧٥٢هـ (٤٣) .

ودرّس الشيخ أمين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجزري (٤٤) الحديث في قبة الصخرة المشرفة ، وسمع منه الطلبة ، وأخذوا عنه ، وحصلوا على الاجازات العلمية منه . وممن حصل على الاجازات العلمية منه الشيخ شمس الدين عبد القادر النابلسي المذكور ، في السنة نفسها ، أي في سنة ٧٥٢هـ (٤٥) .

ودرّس الامام العالم شرف الدين قاسم بن سليمان بن قاسم الأذري القدسي (٤٦) ، الحديث في قبة موسى بالمسجد الأقصى ، وكان اماما فيها . وأخذ عنه الطلبة ، وانتفعوا به ، ومنحهم الاجازات العلمية . وكان الشيخ شمس الدين عبد القادر المذكور ممن حصل على الاجازة من شيخه شرف الدين في سنة ٧٥٢هـ (٤٧) .

وممن شارك في هذا المضمار أيضا ، الحافظ الامام صلاح الدين العلائي (٤٨) . وكان من أشهر المحدثين في بيت المقدس ، وله مصنفات

(٤٣) الانس الجليل ١٥٦/٢ ، ١٥٧ .

(٤٤) كان من المشتغلين بالحديث في بيت المقدس . توفي سنة ٧٥٢هـ . (انظر : الانس الجليل ١٥٧/٢) .

(٤٥) الانس الجليل ١٥٧/٢ .

(٤٦) ولد سنة ٦٧٨هـ ، وتلقى العلم . وكان امام قبة موسى ، وقد حدث في بيت المقدس . توفي سنة ٧٥٥هـ (انظر : الانس الجليل ١٥٦/٢) .

(٤٧) الانس الجليل ١٥٦/٢ .

(٤٨) ولد بدمشق سنة ٦٩٤هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، فقرأ الفقه والتفسير والنحو والاصول وغيرها . ثم توجه الى القدس ومكة ومصر طالبا العلم ، وكان كثير السماع والشيوخ . وحصل على اجازات عديدة بالافتاء والتدريس . واشتغل بالتدريس في دمشق والقدس ، وولى مشيخة الصلاحية ، ومشيخة دار الحديث . كان اماما في الفقه والنحو والاصول .

كثيرة فيه ، وسمع عليه الكثيرون في المسجد الأقصى . ومن مصنفاته التي درّسها فيه كتاب «النفحات القدسية» ، وهو كتاب في التفسير والحديث ، فقد ذكر الصفدي أن العلائي درّس كتابه في مواعيده ومجالسه التي كان يعقدها في المسجد الأقصى (٤٩) . وحدّث العلائي كثيرا في المسجد الأقصى وغيره من المراكز العلمية في بيت المقدس ، فقد ذكر صاحب ذيل تذكرة الحفاظ أنه سمع منه في الأقصى ، قال : «أخبرنا الحافظ الامام صلاح الدين العلائي ، سماعا عليه بالمسجد الأقصى ، قال : «أخبرنا أبو الفضل سليمان بن حمزة بقراءتي» (٥٠) . وممن سمعوا منه ، وأخذوا عنه ، السبكي ، كما يبدو في قول الأخير : «أخبرنا الحافظ أبو سعيد العلائي ، قراءة عليه ، وأنا أسمع بالقدس الشريف» (٥١) . وكان صلاح الدين العلائي يتولى مشيخة دار الحديث السيفية بالقدس ، كما يذكر الصفدي (٥٢) . ومن المرجح أن المقصود بدار الحديث السيفية هذه هي دار الحديث في المدرسة التنكزية (٥٣) ، وهكذا يتبين لنا أن الحديث الشريف

= وله مصنفات ، ونظم . توفي سنة ٥٧٦١ هـ (انظر : طبقات السبكي ٣٥/١٠ - ٣٦ ، الدرر الكامنة ١٨٠/٢ ، طبقات الاسنوي ٢٣٩/٢ ، طبقات المفسرين ١٦٥/١ ، ذيل تذكرة الحفاظ ٤٣ ، شذرات الذهب ١٩٠/٦ ، الانس الجليل ١٠٦/٢ ، البدر الطالع ٢٤٥/١ ، الدارس ٥٩/١ - ٦٠) .

(٤٩) انظر : الدارس ٦٠/١ ، ذيل تذكرة الحفاظ ٤٤ .

(٥٠) ذيل تذكرة الحفاظ ٤٦ .

(٥١) طبقات الشافعية الكبرى ٣٦/١٠ ، ٣٧ - ٣٨ .

(٥٢) الدرر الكامنة ١٨١/٢ ، الدارس ٦٢/١ .

(٥٣) انشأها المقر الكريم السيفي تنكز الملكي الناصري في سنة ٥٧٢٩ هـ . ف قيل : السيفية مرة نسبة الى السيفي ، والتنكزية مرة أخرى نسبة الى تنكز . وستفصل القول في دار الحديث هذه عند الحديث عن دور الحديث ودورها في الحركة الفكرية ، في بيت المقدس . (الانس الجليل ٣٥/٢ ، خطط الشام ١١٧/٦ ، الفصل في تاريخ القدس ٢٤٤) .

كانت له أكثر من مشيخة ، احداها في المسجد الأقصى نفسه ، والثانية في المدرسة التنكزية .

وشارك امام الأقصى تقي الدين أبو بكر بن أبي الوفاء الحسيني الشافعي البدري المقدسي في تدريس الحديث في الأقصى ، وقد كان من شيوخ المحدثين في بيت المقدس (٥٤) .

نال صحيحا البخاري ومسلم عناية كبرى في تدريسهما بالمسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، ويدل على ذلك ما ذكره مجير الدين الحنبلي ، وهو يتحدث عن شيوخه الذين حصل منهم على الاجازة ، فقد ذكر أن صحيح البخاري قد قرئ وختم بالصخرة الشريفة سنة ٨٧٢هـ ، وأن مجير الدين حضر المجالس التي قرأ فيها الشيخ زين الدين عمر بن عبد المؤمن الحلبلي الشافعي (٥٥) صحيح البخاري . وكان زين الدين المذكور «رجلا صالحا له سند عال في الحديث الشريف» ، وأخذ عنه الطلبة ، وحصلوا على الاجازة منه ، ومنهم مجير الدين الحنبلي (٥٦) .

وكان شهاب الدين أحمد بن علي بن حليل اللدي المقدسي الشافعي، المعروف بابن اللدي (٥٧) «يقرأ صحيح البخاري في كل سنة بالصخرة الشريفة ، ويختمه بالجامع الأقصى» ، وكان كثير من دارسي الحديث يحضرون مجالسه ، ومنهم مجير الدين الحنبلي ، فقد ذكر أنه حضر عندما

(٥٤) انظر : الضوء اللامع ١١/٨٤ ، ٨٥ .

(٥٥) أخذ عن جماعة من علماء بيت المقدس . وحدث فيه . وكان ذا سند عال في الحديث الشريف . توفي سنة ٨٧٣هـ . (انظر : الانس الجليل ٢/١٩١) .

(٥٦) الانس الجليل ٢/١٩١ .

(٥٧) ولد بالقدس سنة ٨٢٥هـ ، ونشأ فيها ، وأخذ عن علمائها . وسمع الكثير من محدثيها ، وكان له اشتغال بالحديث وروايته . توفي سنة ٨٨٠هـ (انظر : الضوء اللامع ٢/١٩٦ ، الانس الجليل ٢/١٩٦) .

ختم شهاب الدين صحيح البخاري بالمسجد الأقصى . وقد كان شهاب الدين من المحدثين المشهورين الذين قصروا أوقاتهم على الاشتغال بالحديث (٥٨) .

ونال صحيح مسلم ما ناله صحيح البخاري من العناية ، فقد درس في مجالس كثيرة كان المحدثون يعقدونها في المسجد الأقصى ، ذكر السخاوي أن الفيروز أبادي اللغوي صاحب القاموس المحيط ، قد قرأ صحيح مسلم على البيهقي (٥٩) في المسجد الأقصى في أربعة عشر مجلساً ، وكان الفيروز أبادي قد سمع الحديث في بيت المقدس من الحافظ أبي سعيد العلاني ، وتقي الدين اسماعيل القلقشندي أيضاً . وذكر أن الفيروز أبادي قطن في القدس نحو عشر سنين ، وفيه تلقى العلم ، وعلم ، وولي التدريس ، وتصدر فيه ، وأخذ عنه كثيرون ، ومنهم صلاح الدين الصفدي (٦٠) .

وواضح ، هذا أن الحديث الشريف لقي عناية كبيرة ، وأن بيت المقدس كان مركزاً علمياً استقطب العديد من مشاهير العلماء ، من أمثال الفيروز أبادي ، وصلاح الدين الصفدي ، وغيرهما ممن سنتحدث عنهم فيما بعد . قدم طالبو الحديث الشريف إلى بيت المقدس للسمع على أشهر المحدثين هناك ، ومن ذلك ما ذكره السخاوي عن زين الدين علي بن محمد بن يعيش الواسطي (٦١) ، فقد قدم من العراق ، وسمع في المسجد الأقصى من الشيخ تقي الدين القلقشندي (٦٢) . وقدم صلاح الدين خليل بن محمد

(٥٨) الضوء اللامع ١٩/٢ ، الانس الجليل ١٩٦/٢ .

(٥٩) لم نعثر على ترجمة له .

(٦٠) الضوء اللامع ٨٠/١٠ .

(٦١) ولد سنة ٧٥٥ هـ ، وسمع الحديث على محدث بلده واسط وثقيها ، وسمع من غيره .

ثم سمع بالشام ، وبيت المقدس ، وحصل على الإجازة بالانتهاء . (انظر : الضوء

اللامع ٢٧/٦) .

الضوء اللامع ٢٧/٦ .

الأقفهسي المصري الشافعي^(٦٣) الى بيت المقدس سنة ٧٩٨هـ، وسمع على من بالبلد من الشيوخ^(٦٤) ، وغيرهما كثير .

التفسير :

نال علم التفسير عناية بالغة ، وكان مادة علمية تدرس في المسجد الأقصى ، والصخرة المشرفة ، وفي غيرها من المراكز العلمية الأخرى .

يصنف التفسير الى صنفين : تفسير نقلي يستند الى «الآثار المنقولة عن السلف ، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، ومقاصد الآي» ، ويعرف ذلك بالنقل عن الصحابة والتابعين . وأما الصنف الثاني فيرجع فيه «الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب ، ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري»^(٦٥) . وهكذا يمكن تصنيف التفسير الى تفسير نقلي ، وآخر عقلي ، أو تفسير بالنقل ، وآخر بالرأي الذي يتوصل اليه بالاجتهاد .

وإذا نظرنا الى تدريس هذا الموضوع في بيت المقدس بعامة ، والأقصى بخاصة ، وجدنا تفسيراً عني بذكر «أسباب النزول، والقراءات، والاعراب، واللغات ، والحقائق ، وعلم الباطن»^(٦٦) ، وهو تفسير صنفه الامام المفسر

(٦٣) ولد في سنة ٧٦٣هـ تقريباً ، ونشأ فحفظ القرآن ، واشتغل بالفقه ، والادب ، والفرائض والحساب ، وسمع الحديث . حج في سنة ٧٩٥هـ وجاور بمكة ، وسمع من شيوخها . وسمع بالمدينة . وقدم الى دمشق في سنة ٧٩٧هـ ، فأخذ عن شيوخها ، ثم قدم الى القاهرة سنة ٧٩٨هـ ، فسمع بها مرافقا ابن حجر العسقلاني . ورحل الى مكة وغيرها اكثر من مرة ، وجاور ثمانية نحو سبع سنين متوالية . كانت له معرفة حسنة بالفرائض والحساب والشعر ، وله نظم كثير حسن ، ومشاركة في الفقه والعربية ، وكان حسن القراءة والكتابة والاخلاق . توفي سنة ٨٢٠هـ .

(انظر : الضوء اللامع ٣/٢٠٢ - ٢٠٤) .

(٦٤) لحظ اللاحظ بنذيل طبقات الحفاظ ٢٦٩ .

(٦٥) مقدمة ابن خلدون ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٦٦) فوات الوفيات ٣/٢٨٣ ، العبر ٥/٣٨٩ ، الانس الجليل ٢/٢١٧ .

العلامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان ، البلخي الأصل ،
المقدسي ، الحنفي ، المشهور بابن النقيب (٦٧) . ومن الطبيعي أن يعتني
ابن النقيب بتدريس مصنّفه هذا .

ومما يلفت النظر أن تفسير الكشاف للزمخشري كان من أكثر كتب
التفسير التي لقيت عناية في تدريسها بالمسجد الأقصى ، فقد ذكر السخاوي
أن عبد الرحمن بن محمد القزويني الجزيري البغدادي الشافعي (٦٨) ،
درّس جزءاً من الكشاف بالأقصى ، وكان البغدادي المذكور قد قدم إلى
بيت المقدس سنة ٨٢٥هـ ، وكان بصحبته أحد تلاميذه . وقد أقام
البغدادي أربعة أشهر وعشرة أيام في بيت المقدس ، وفيها عمل على حل
قطعة من الكشاف بالجامع الأقصى ، وقد حلها لتلميذه ، ودرس
عليه غيره في مجال التفسير ، كما درسوا عليه في القراءات السبع ، ومن
قرأوا عليه أبو اللطف الحصكفي المقدسي ، وأبو الصفا بن أبي الوفا ،
وغيرهما . وكان البغدادي قد درس التفسير في بغداد قبل قدومه إلى
بيت المقدس . ولعلنا نستطيع تعليل تركيز البغدادي على تفسير الكشاف
دون غيره من كتب التفسير ، أنه كان متفوقاً في العلوم العقلية ، بل كان
واحداً من «أئمة الدنيا في المعقولات ، وحل المشكلات واقرائها» (٧٠) .

(٦٧) ولد في بيت المقدس سنة ٦١١هـ . ونشأ فيها ، ثم رحل إلى القاهرة ، ودرس في
الازهر وغيره ، ثم عاد إلى بيت المقدس . واشتغل بالتفسير ، وصنف فيه . توفي
سنة ٦٩٨هـ . (انظر : العبر : ٣٩٨/٥ ، الجواهر المضية ٥٧/٢ ، الانس الجليل
٢١٧/٢ ، شذرات الذهب ٤٤٢/٥) .

(٦٨) ولد ببغداد سنة ٧٧٣هـ ، ودرس فيها وفي الجزيرة . وبرع في الفقه والقراءات
والتفسير والعربية والمعاني والبيان ، قدم إلى بيت المقدس . ثم عاد إلى بلده ،
وتوفي فيها سنة ٨٣٦هـ . (الضوء اللامع ١٥٤/٤ ، ١٥٥) .

(٦٩) ولد بأسعرد سنة ٨٠٥هـ ، ونشأ فيها ، وأخذ عن علمائها . ثم رحل إلى تبريز ،
واشتغل فيها . ثم قدم إلى بيت المقدس واستوطنه ، ودرس في مدارسه . توفي سنة
٨٨٧هـ . (الانس الجليل ٢٠٢/٢) .

(٧٠) الضوء اللامع ١٥٤/٤ ، ١٥٥ .

ومما يوضح الاهتمام بالكشاف أيضا أن سعد الدين الديري (٧١) درس تفسير الكشاف على والده ، وأن عز الدين بن جماعة أقرأ في الكشاف (٧٢) ، وأن سراج الدين الرومي المقدسي درّس الكشاف ، وكان معنيا به . ولعله يمكن تعليل ذلك بما ذكرناه من تفوق البغدادي في العلوم العقلية ، وكذلك كان سراج لدين الرومي متفوقا في علم الكلام ، والمنطق ، والمعاني والبيان ، والنحو والصرف (٧٣) .

ومن كتب التفسير الأخرى التي درست ، كتاب الامام القاضي ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، فقد ذكر السخاوي أن سراج الدين الرومي درّس كتاب التفسير المذكور ، منذ قدومه الى بيت المقدس سنة ٨٢٨هـ . وأضاف السخاوي أن سراج الدين كان «يراجع التفسير الكبير لفخر الدين الرازي» ، كما كان يراجع غيره عند اقراء الكشاف وحواشيه» ، واستمر سراج الدين يؤدي دوره في بيت المقدس مدة تقارب ثلاثين عاما (٧٤) .

لقد كان التفسير يتأثر باتجاهات المفسرين ، فقد وجدنا تفسيراً متأثرا بعلم الكلام وغيره مثل كشاف الزمخشري ، وتفسيرا متأثرا بالعلوم العقلية مثل تفسير فخر الدين الرازي . وهناك كتب تفسير متأثرة بالتصوف ، وغير ذلك (٧٥) .

(٧١) ولد في بيت المقدس سنة ٧٦٨هـ ، ونشأ وتلقى تعليمه فيه ، ثم رحل الى القاهرة طالبا العلم . واشتغل سعد الدين بالافتاء والتدريس ، وتفرد في التفسير . وقد عمل في التدريس في بيت المقدس ، كما عمل في القضاء أيضا . توفي سعد الدين سنة ٨٦٧هـ . (سنن ترجم له بالتفصيل في الحديث عن العلماء في بيت المقدس) . (الضوء اللامع ٣/٢٤٩ - ٢٥٣ ، الانس الجليل ٢/٢٢٧ - ٢٢٨ ، نظم العيان ١١٥) .

(٧٢) الضوء اللامع ١٠/١٣٨ .

(٧٣) نفسه ٣/٢٤٤ .

(٧٤) نفسه ٣/٢٤٤ .

(٧٥) انظر : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ١٨٧ ، ١٨٨ ، الحياة العقلية في مصر والشام في عصر الحروب الصليبية ١٠٨ ، ١٠٩ .

وبالإضافة الى هذا ، فإننا نجد كتب التفسير متأثرة باتجاهات مصنفها ، ومن ذلك كتاب «فتح القدير في التفسير» (٧٦) للشيوخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الوالي بن جبارة المقدسي (٧٧) ، ولما كان ابن جبارة نحويا ، فقد انعكس أثر ذلك في تفسيره .

تعدد المعتنون بالتفسير في بيت المقدس من أمثال ابن النقيب المقدسي الذي تقدم ذكره ، وشهاب الدين أحمد بن جبارة المقدسي الشافعي ، وصلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي المقدسي ، وشهاب الدين أحمد بن أرسلان الرملي المقدسي الشافعي، وسعد الدين أبي السعادات سعد بن محمد بن عبد الله الديري المقدسي الحنفي ، وغيرهم . وقد صنف هؤلاء وغيرهم مصنفات عديدة في التفسير ، سنتحدث عنها في كتاب عن حركة التأليف في بيت المقدس . ولا شك أن المعتنين بالتفسير في بيت المقدس ، كانوا يدرسون التفسير في المسجد الأقصى ، في عدد من أمهات كتب التفسير ، كما تقدم ، وفي مصنفاتهم أيضا .

ومما يدعو الى التساؤل ، أننا تحدثنا عن مشيخة الحديث في المسجد الأقصى ، فهل كانت هناك مشيخة للتفسير ؟ ، وبخاصة أن مشيخة للتفسير والحديث كانت في الخليل ، وكان زيد الدين عبد الرحمن بن علي

(٧٦) غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٢٢ ، الانس الجليل ٢/٢٥٩ ، شذرات الذهب ٦/٨٧ ، كشف الظنون ٢/١٢٣٣ - ١٢٣٤ .

(٧٧) ولد حوالي سنة ٦٤٧هـ بمردا ، ثم نزل القدس واستوطنها ، ودرس فيها ، ثم ارتحل الى مصر ودمشق وحلب طالبا العلم . وعاد الى بيت المقدس ، وتصدر لاقراء القراءات والعربية . وكان شهاب الدين مقرنا ، فقيها ، نحويا ، وانتهت اليه مشيخة بيت المقدس . صنف مصنفات في القراءات والعربية . توفي سنة ٧٢٨هـ . (انظر : الدرر الكامنة ١/٢٢٧ ، الوافي بالوفيات ٨/٢٦ ، غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٢٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٨٦ ، الانس الجليل ٢/٢٨٥ ، شذرات الذهب ٦/١٨٥) .

التميمي الداري الخليلي الشافعي (٧٨) يباشر تلك المشيخة (٧٩) ، وانما يدعو الى ذلك أيضا أن علم التفسير يحتاج الى مشيخة كحاجة العلوم الأخرى اليها .

ذكر المحبّي أنه كان ، للتفسير في الصخرة المشرفة ، مدرس ومعيد ، وكان المدرس رضي الدين اللطفي ، وكان المعيد لدرسه طه بن صالح بن يحيى بن أبي البركات محمد الديري المقدسي الحنفي ، وقد كان معيدا لدرس التفسير بالباب القبلي في الصخرة (٨٠) .

وإذا كان للتفسير مشيخة في القرن الحادي عشر الهجري كما ذكر المحبّي ، وكانت له مشيخة في الخليل في القرن التاسع الهجري ، فاننا نغلب الظن على أن مشيخة للتفسير كانت في المسجد الأقصى والصخرة المشرفة . ومما يقوي ذلك أن المفسرين كثروا في بيت المقدس ، وأن بعضهم كان متفردا في علم التفسير ، وهو سعد الدين الديري (٨١) .

الفقه :

نال الفقه عناية كبيرة أيضا ، وكان مادة تدرس في المسجد الأقصى ، وكان العلماء يركزون على تدريس عدد من أهم الكتب الفقهية ، ويمنحون الاجازات العلمية ، ويأذنون بالافتاء والتدريس .

(٧٨) ولد سنة ٧٩٣هـ بالخليل ، ونشأ وتعلم على حوالي ثلاثين شيخا فيها . وعني بالحديث والتفسير بخاصة ، كما عني بالفقه والنحو وغيرهما . وقرأ في بيت المقدس على شهاب الدين بن الهائم وغيره . ولي القضاء في الخليل و نابلس ، وولي مشيخة الحديث والتفسير . توفي سنة ٨٧٦هـ . (انظر : الضوء اللامع ٩٥/٤ - ٩٦ ، الانس الجليل ١٣٣/٢) .

(٧٩) الضوء اللامع ٩٥/٤ .

(٨٠) خلاصة الاثر ٢/٢٦٠ .

(٨١) انظر : الضوء اللامع ٣/٢٤٩ - ٢٥٣ ، الانس الجليل ٢/٢٢٧ - ٢٢٨ .

تصدر عدد من أشهر الفقهاء للتدريس في المسجد الأقصى من أمثال الشيخ زين الدين أبي الجود ماهر بن عبد الله الأنصاري المصري المقدسي الشافعي ، وهو من الفقهاء العلماء الذين وفدوا الى بيت المقدس في سنة ٨٠٢هـ ، بعد أن درس الفقه على أشهر العلماء في مصر (٨٢) ، ثم درسه في بيت المقدس أيضا . وحصل زين الدين على الاجازات بالافتاء والتدريس . ومن الكتب التي ركز على دراستها وتدريسها كتاب «الحاوي» (٨٣) ، وغيره من الكتب الفقهية الأخرى (٨٤) . وأصبح زين الدين من أشهر الفقهاء في بيت المقدس .

وفي الأقصى ، تصدر زين الدين لتدريس الفقه كما تقدم ، فأخذ عنه الطلبة ، وانتفعوا به . وممن درسوا عليه شمس الدين أبو مساعد محمد بن عبد الوهاب المقدسي الشافعي ، وعلاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الرحيم القلقشندي المقدسي الشافعي (٨٥) ، وشهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن خليل العميري المقدسي الشافعي (٨٦) ، وعلاء الدين أبو

(٨٢) الضوء اللامع ٢٣٦/٦ - ٢٣٧ ، الانس الجليل ١٨٨/٢ ، نظم العقيان ١٣٥ .
(٨٣) وهو كتاب « الحاوي الصغير في الفروع » للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي المتوفي سنة ٦٦٥هـ . وهو كتاب معتبر بين الشافعية . وقد نال عناية كبيرة دراسة وشرحا واختصارا ونظما . (انظر : كشف الظنون ٦٢٦/١ ، ٦٢٧) .

(٨٤) انظر : الضوء اللامع ٢٣٦/٦ ، نظم العقيان ١٣٥ .
(٨٥) ولد في بيت المقدس سنة ٨٠٤هـ ، وتلقى العلم فيها ، فدرس بالصلاحية ، ثم عين معيدا فيها . وولي الخطابة بالمسجد الأقصى كما ذكرنا . توفي علاء الدين سنة ٨٧٤هـ ، ودفن في بيت المقدس . (انظر : الضوء اللامع ٢٣٩/٥ ، الانس الجليل ١٩٢/٢) .

(٨٦) ولد في بيت المقدس سنة ٨٣٢هـ ، ونشأ وتلقى العلم في بلده ، ودرس العلوم الدينية ، واشياء من العقلية ، وعلوم اللغة العربية . ثم توجه الى القاهرة ، وطلب العلم فيها ، وعقد المجلس في الازهر . وتوجه الى حلب ، ومكة ، وعقد مجالس العلم =

الفضل علي بن محمد بن أبي اللطف الحصكفي المقدسي الشافعي (٨٧) ، وغيرهم • وقد حضر هؤلاء وغيرهم دروس زين الدين ماهر ومجالسه التي كان يعقدها في المسجد الأقصى ، فقد ذكر السخاوي أن أبا مساعد تفقه بزين الدين المذكور في بيت المقدس (٨٨) ، وأن علاء الدين القلقشندي تفقه به وحضر مجالسه (٨٩) ، وأن شهاب الدين العميري أخذ عنه ، وأن علاء الدين الحصكفي حضر دروسا متعددة عنده (٩٠) • ودرس هؤلاء الفقه على علماء آخرين ، وحصلوا على الاجازات العلمية ، وأصبحوا من أعيان الفقهاء في بيت المقدس ، وشاركوا في الافتاء والتدريس ، فأصدروا الفتاوى ، وتصدروا للتدريس في المسجد الأقصى • ويبدو ذلك جليا فيما ذكره السخاوي ، حيث ذكر أن أبا مساعد أجاز له جماعة ، ثم «تصدر بالأقصى ، وأقرأ الطلبة ، وأفتى» ، وكان مجير الدين الحنبلي ممن قرأوا عليه ، فقد عرض عليه مجير الدين كتاب «المقنع» (٩١) في الفقه الحنبلي سنة ٨٧٣هـ ، وحصل على الاجازة منه • ولم يقتصر أبو مساعد على

= فيها أيضا • ثم عاد الى بيت المقدس ، واشتغل فيها واعظا ومدرسا ومفتيا • وتوفي العميري فيها سنة ٨٩٠هـ • (انظر : الضوء اللامع ٥٢/٢ - ٥٣ ، الأنس الجليل ٢/٢٠٤ - ٢٠٤) •

(٨٧) ولد في بيت المقدس سنة ٨٥٧هـ ، وتلقى العلم فيه ، ثم تلقاه في القاهرة ، والشام ، ودرس في دمشق ، ثم عاد الى بيت المقدس ، واشتغل بالتدريس فيه ، فدرس في المدرسة الصلاحية ، وغيرها • وكان الحصكفي مولما بالادب • توفي علاء الدين سنة ٩٢٥هـ (انظر : الضوء اللامع ٥/٣٢٦ - ٣٢٧) •

(٨٨) الضوء اللامع ١١/١٤٢ •

(٨٩) نفسه ٥/٢٣٩ •

(٩٠) نفسه ٥/٢٣٦ •

(٩١) وهو كتاب في فروع الحنبلية لموفق الدين عبدالله بن قدامة الحنبلي المتوفي سنة ٦٢٠هـ • وقد شرح هذا الكتاب شروحا عديدة لاهيته في موضوعة • (انظر : كشف الظنون ٢/١٨٠٩) •

التدريس في الأقصى ، فقد درّس في المدرسة الصلاحية في بيت المقدس أيضا . وأضاف السخاوي أنه لقي أبا مساعد في بيت المقدس ، وسمع مباحثه ، كما سمع أبو مساعد بقراءة السخاوي أيضا (٩٢) ، وذكر مجير الدين الحنبلي أن أبا مساعد كان «يكتب على الفتوى عبارة حسنة» (٩٣) .

وذكر السخاوي أن علاء الدين القلقشندي ولي الخطابة في المسجد الأقصى مشاركة ، وأضاف أنه لقي علاء الدين المذكور في بيت المقدس ، وقرأ عليه . وكان علاء الدين يدرّس في المدرس الصلاحية أيضا (٩٤) .

واشتغل شهاب الدين العميري بالتدريس والافتاء ، ومنح الاجازات العلمية ، وممن قرأوا عليه مجير الدين الحنبلي ، فقد لازمه ، واشتغل عليه ، وكان يحضر مجالس العميري التي كان يعقدها في المسجد الأقصى . وفي سنة ٨٧٣هـ ، عرض عليه مجير الدين كتاب «المقنع» ، وحصل على الاجازة منه عدة مرات ، خاصة وعامة (٩٥) . وكان شهاب الدين المذكور «حافظا فصيحا له مشاركة في كثير من العلوم» . وقد اشتغل شهاب الدين بالتدريس في الصلاحية معيدا ، والأشرافية شيخا ، بالاضافة الى التدريس في الأقصى (٩٦) .

ودرس علاء الدين الحصكفي على أبي مساعد الذي تقدم ذكره ، وكمال الدين بن أبي شريف ، وغيرهما ، اضافة الى دراسته على زين الدين ماهر . وحصل على الاذن بالافتاء والتدريس من ابن أبي شريف بعد ملازمته له ، ودراسته الفقه والنحو والمعاني والبيان عليه (٩٧) . ثم درّس علاء الدين وأفتى (٩٨) .

• (٩٢) الضوء اللامع ١١/١٤٣ .

• (٩٣) الانس الجليل ٢/١٩٢ .

• (٩٤) الضوء اللامع ٥/٢٣٩ .

• (٩٥) الانس الجليل ٢/٢٠٣ .

• (٩٦) الضوء اللامع ٢/٥٣ ، الانس الجليل ٢/٢٠٣ .

• (٩٧) الضو اللامع ٥/٣٢٦ .

• (٩٨) نفسه ٥/٣٢٦ ، ٣٢٧ .

وتصدر الشيخ سعد الدين سعد الله بن حسين الفارسي الحنفي (٩٩) في الصخرة المشرفة «لاشتغال الطلبة والتدريس والفتوى» بعد قدومه الى بيت المقدس سنة ٨٧٧هـ ، وأخذ عنه فقهاء الحنفية ، وانتفعوا به ، واستمر الشيخ سعد الدين كذلك الى أن توفي سنة ٨٩٠هـ (١٠٠) .

ومن كانوا يباشرون الخطابة في المسجد الأقصى ، ويشاركون في التدريس فيه ، قاضي القضاة برهان الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله ابن جماعة (١٠١) ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أن برهان الدين المذكور كان منقطعاً في «منزله بالمسجد يفتي ، ويدرس ، ويشغل الطلبة ، ويباشر وظيفة الخطابة بالمسجد الأقصى» . وأضاف مجير الدين أنه عرض عليه «قطعة من كتاب المقنع في الفقه» في شهر ربيع الأول سنة ٨٧٣هـ ، وحصل على الاجازة منه (١٠٢) .

وكان كمال الدين بن أبي شريف يعقد المجالس في المسجد الأقصى الشريف . وذكر مجير الدين الحنبلي أنه حضر كثيرا من تلك المجالس ، وأنه حصل على الاجازة الخاصة والعامة من كمال الدين بن أبي شريف المذكور (١٠٣) .

ويلاحظ أن المغاربة وغيرهم من الوافدين الى بيت المقدس ، عنوا بالمذهب المالكي عناية كبيرة ، فدرّسوه ودرّسوه . ويوضح ذلك ما ذكره مجير الدين الحنبلي ، فقد ذكر العديد من فقهاء المالكية ، وبين أنه تلقى

(٩٩) ولد سنة ٨١٢هـ ، ونشأ وتعلم ببلاده ، ثم قدم الى دمشق ، ودرس فيها ، وتميز في القراءات . ثم قدم الى بيت المقدس ، وعين اماماً للصخرة الشريفة ، وعمل في الافتاء والتدريس . توفي في بيت المقدس سنة ٨٩٠هـ .

(انظر : الضوء اللامع ٣/٢٤٦ ، الانس الجليل ٢/٢٣٦ - ٢٣٧) .

(١٠٠) الضوء اللامع ٣/٢٤٦ ، الانس الجليل ٢/٢٣٧ .

(١٠١) انظر : الانس الجليل ٢/١١٧ .

(١٠٢) نفسه ٢/١١٧ .

(١٠٣) نفسه ٢/٣٨٢ .

العلم على بعضهم ، فقد قرأ على قاضي القضاة نور الدين أبي الحسن علي ابن ابراهيم البدرشي المصري المالكي (١٠٤) في بيت المقدس ، حيث كان نور الدين المذكور يشتغل بالقضاء والتدريس ، وذلك بعد قدومه الى بيت المقدس . وقد قرأ عليه مجير الدين قطعة من آخر كتاب الخرقى في مذهب الامام ، قراءة بحث وفهم ، كما قرأ عليه قطعة من كتاب «المقنع في الفقه» قراءة بحث وفهم أيضا ، ولازم مجالسه (١٠٥) .

وممن ذكرهم مجير الدين ، كمال الدين عبد الله بن علي بن سليمان الكحال الغرناطي (١٠٦) ، فقد قدم الى بيت المقدس ، وتصدر للاقراء فيه ، وولي الامامة (١٠٧) .

ومنهم الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن خليفة بن مسعود المغربي ثم المقدسي المالكي (١٠٨) ، فقد درس الفقه المالكي في بيت المقدس .

(١٠٤) كان نور الدين عالما « له معرفة تامة بالعربية ، وعلم الفرائض والحساب ، والحديث » . وعمل على « نشر العلم » وانتفع به الطلبة . وأقرأ الفقه والنحو وغيرها . توفي سنة ٨٧٨هـ في بيت المقدس . (انظر : الضوء اللامع ١٦٠/٥ ، الانس الجليل ٢٥١/٢) .

(١٠٥) الانس الجليل ٢٥١/٢ .

(١٠٦) نشأ ببلده ، وتلقى العلم فيها ، ثم توجه الى مكة حاجا ، ولما عاد من الحج ، قطن في دمشق ، وأخذ عن علمائها ، ثم اشتغل بالاقراء في حلب ، وعاد الى المغرب بعد عشر سنين ، ثم عاد ثانية الى الشام ، وسكن في بيت المقدس ، وتصدر فيها للاقراء . واستمر كذلك الى أن توفي سنة ٧١١هـ . (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ٤٣٥/١ - ٤٣٦ ، الدرر الكامنة ٢٧٩/٢) .

(١٠٧) غاية النهاية في طبقات القراء ٤٣٥/١ - ٤٣٦ ، الدرر الكامنة ٢٧٩/٢ .

(١٠٨) ولد في بيت المقدس سنة ٨٠١هـ ، ونشأ وتعلم فيه الفقه والحديث وغيرها من العلوم . ثم استقر اماما للمالكية بالاقصى . واشتغل بالتدريس . توفي شمس الدين في بيت المقدس سنة ٨٨٩هـ . (انظر : الانس الجليل ٢٥٢/٢ - ٢٥٣) .

ومن الكتب التي درسها ، كتاب «الرسالة» (١٠٩) في فقه مذهب الامام مالك (١١٠) . وكان شمس الدين المذكور اماما للمالكية في المسجد الأقصى .

ولا ننسى أن نشير الى ما تقدم بشأن تشجيع الحنابلة على الاشتغال بالعلم في المسجد الأقصى . ومن الطبيعي أن يشمل ذلك المذهب الحنبلي .

(١٠٩) وهي رسالة في الفقه المالكي ، للشيخ الامام أبي محمد عبدالله بن أبي زيد المالكي

القيرواني المتوفي سنة ٣٨٩هـ . وقد شرحت شروحا عديدة . (انظر : كشف

الظنون ١/٨٤١) .

(١١٠) الانس الجليل ٢/٢٥٢ .

الفصل الرابع

علوم اللغة العربية في ظل المسجد الأقصى

كانت علوم اللغة العربية من العلوم التي أولاها العلماء في المسجد الأقصى بخاصة ، وفي بيت المقدس بعامة ، عنايتهم الكبيرة ، وتمثلت تلك العناية في مظاهر متعددة من أهمها أن العربية في نحوها وأدبها وبلاغتها كانت مادة من أهم مواد الدراسة في المسجد الأقصى ، وغيره من المراكز العلمية ، وأن المعتنين بها وبتدريسها والتصنيف فيها كانوا كثيرين ، وأن مراكز علمية خصصت لتدريس النحو مثل المدرسة النحوية ، وقبة الملك المعظم عيسى وغيرهما .

ان طبيعة الثقافة الاسلامية تضع الاهتمام بعلوم اللغة العربية في أول أولوياتها ، فالاهتمام بالأدب العربي ، واللغة العربية ، والبلاغة العربية قديم ، وهو اهتمام يتفق ومكانة الشعر العربي في نفوس العرب كما هو معروف .

ومما دعا الى الاهتمام الكبير بعلوم العربية ، صلتها القوية بالعلوم الدينية ، وقد تبينا فيما تقدم كيف أن عددا من العلماء رتبوا العلوم حسب أقدارها ، فوضعوا العلوم الدينية في المرتبة الأولى ، كما وضعوا العلوم التي تخدمها في مرتبتها أو أنها تليها مباشرة ، فالنحو والصرف والشعر والعروض والبلاغة ، كلها ضرورية لتفهم العلوم الدينية تفهما جليا . ومن المعروف أن علوم العربية ، على وجه الخصوص ، قامت لتوضيح القرآن الكريم وتفسيره ، وتبين اعجازه ، وغير ذلك .

ومما يقوي هذا الارتباط الوثيق بين العلوم الدينية ، وعلوم العربية أن «علوم اللسان العربي هو لسان الملة ، وبه نزل القرآن» كما ذكر ابن خلدون ، أنها علوم «مختصة بالملة الاسلامية وأهلها» .

ويوضح ما تقدم ، الصلة القوية بين علم القراءات وعلم النحو ، فعلم القراءات « له استمداد من العلوم العربية»^(١) بعامّة ، والنحو بخاصّة . واذا ما استعرضنا عددا من القراء الذين ظهروا في بيت المقدس ، وكان لهم دور في الحركة الفكرية في ظلال الأقصى ، وجدنا أنهم كانوا يجيدون النحو اجادة كبيرة ، فالمقرئ الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ تقي الدين محمد بن عبد الوالي بن جبارة المقدسي الحنبلي ، كان مقرئا ونحويا وفقهيا وأصوليا ، وقد تصدر لاقراء القرآن والعربية . وصنف في كليهما ، وصنف في التفسير أيضا^(٢) . ومن هذا المثال تتضح لنا الصلة الكبيرة بين علمي القراءات والنحو ، كما يتضح لنا ارتباط اللغة بالدين ارتباطا قويا . وليس هذا فحسب ، فانه يتضح لنا أن ثقافة الشيوخ المدرسين كانت ثقافة شاملة ، فابن جبارة المذكور مثلا كان ملما بعلوم عديدة مثل القراءات والحديث والتفسير والفقه والنحو ، وغيرها .

لقد كان هذا المفهوم هو مفهوم الثقافة الشامل في تلك العصور ، ومن هنا فان المهتم بالعلوم الدينية ، كان مهتما بالعلوم العربية وغيرها .

ويؤيد ما ذهبنا اليه ما ذكر عن سراج الدين عمر بن علي بن محمد الجعبري الخليلي الشافعي^(٣) في حياته العلمية ، فقد درس القراءات والحديث والنحو وغيرها من العلوم ، وكان سراج الدين مقرئا من المقرئين المشهورين في الخليل وبيت المقدس ، ولكنه ركز على دراسة النحو الى جانب دراسة القراءات ، فقد قرأ ملحة الاعراب في الخليل ، ثم قرأ مقدمة

(١) أنظر : مفتاح السعادة ٦/٢ .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ٧٢/١ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٦/٢ ، شذرات الذهب ٨٧/٦ ، الأنس الجليل ٢٥٨/٢ .

(٣) ولد في الخليل سنة ٨٠٥هـ ، ونشأ وتلقى علمه فيها ، كما تلقى العلم في بيت المقدس والقاهرة ، فدرس الفقه والحديث والعربية ، وحصل على عدد من الاجازات . واشتغل بالتدريس والخطابة وغيرها . توفي سنة ٨٩٣هـ . (أنظر : الضوء اللامع ١٢٠/٦ -

ابن الحاجب في النحو ، وبحث ألفية ابن مالك في بيت المقدس (٤) . وهذا يوضح الصلة الوثقى بين علمي النحو والقراءات كما تقدم . وتبدو هذه الصلة جلية في سيرة الشيخ العلامة علاء الدين أبي الحسن علي بن قاسم الأردبيلي الشافعي المقرئ (٥) ، فقد درس العربية الى جانب القراءات ، ومما عني به في العربية ألفية ابن مالك ، ولامية التصريف له ، وغيرهما (٦) .

ومن الجدير بالإشارة ما ذكره ابن واصل الحموي من صلة بين القراءات والنحو ، فقد بين أن النحو من أهم العلوم التي يستلزمها علم القراءات . وتبين لنا الصلة الوثيقة بين علمي القراءات والنحو في تخصيص الملك المعظم عيسى زاوية لاقراء القرآن ، والاشتغال بالنحو معا ، كما تقدم . وليس غرضنا أن نفصل القول في الصلة بين علم النحو وغيره ، ولكننا أردنا أن نبين أن دراسة العلوم الدينية تقتضي بالضرورة دراسة علوم اللغة العربية .



وتبدو العناية بالعربية ودراستها جلية في دراسة علم التفسير أيضا ، وذلك واضح في دراسة «الاعراب واللغات» خلال تفسير جمال الدين بن النقيب المقدسي ، وذلك واضح أيضا في العناية بتفسير الكشاف للزمخشري ، ومعلوم أن تفسير الكشاف يعني باللغة والبلاغة وغيرهما من علوم العربية . ومما يؤكد هذا الأمر أن شهاب الدين بن جبار المقدسي صنف كتاب «فتح القدير في التفسير» ، وجاء تفسيره هذا متأثرا باتجاهه النحوي كما تقدم .

(٤) الضوء اللامع ٦/١٢٠ - ١٢١ .

(٥) ولد في الخليل ، ونشأ وتلقى العلم فيها ثم في بيت المقدس والقاهرة . وأصبح من أعيان الفقهاء . واشتغل بالتدريس . توفي في الخليل سنة ٨٩٦هـ . (أنظر : الضوء اللامع ٥/٢٧٤ - ٢٧٥ ، الأنس الجليل ٢/٢١٢) .

(٦) الأنس الجليل ٢/٢١٢ .

لقد كانت دراسة النحو دراسة لا يستغني عنها عالم من العلماء غالبا ، فاذا ما استعرضنا العديد من العلماء في بيت المقدس ، وجدنا أنهم يعنون بدراسة النحو ، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ، دراسة ألفية ابن مالك على سبيل المثال ، فلا نكاد نجد عالما من العلماء في بيت المقدس الا وقد حفظ تلك الألفية ودرسها وبحث فيها . لقد رأينا القراء والمفسرين يعنون بالعربية ، وكذلك كان الفقهاء يعنون بها ، فالامام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الرصاص الحنفي^(٧) كان اماما كبيرا في الفقه الحنفي ، وكان نحويا أيضا ، وذلك واضح في دراسته ومصنفاته ، وفي تلقيه بالنحوي^(٨) . وكان الامام العلامة علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر ابن عيسى الأنصاري المقدسي ، المعروف بابن الرصاص^(٩) ، مدرسا في المدرسة النحوية^(١٠) . وكان قاضي القضاة العلامة شهاب الدين أبو الأسباط أحمد بن عبد الرحمن الرملي الشافعي^(١١) ، معتنيا بالعربية الى جانب الفقه ، وقد ذكر السخاوي أنه «برع في الفقه والنحو والأصول وغيرها»^(١٢) . ونجد مثل هذا الأمر عند الكثير من الفقهاء .

وعني المحدثون بالعربية كذلك، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما ذكره السخاوي ومجير الدين الحنبلي عن الحافظ العلامة شيخ الاسلام أحمد بن

(٧) توفي سنة ٧٩٠هـ . (انظر : الأنس الجليل ٢/٢١٨) .

(٨) الأنس الجليل ٢/٢١٨ .

(٩) ولد سنة ٨٢٢هـ ، وكان من أهل العلم ، ومن كانوا يكتبون خطا حسنا . واشتغل بالافتاء والتدريس . توفي بالقدس سنة ٨٨٢هـ . (انظر : الضوء اللامع ٥/٢٠٦ ،

الأنس الجليل ٢/٢٣٤) .

(١٠) الضوء اللامع ٥/٢٠٦ .

(١١) ولد سنة ٨١٠هـ طنا ، وقد تلقى العلم على شهاب الدين أرسلان وغيره ، وأصبح من أعيان العلماء . اشتغل بالتدريس والقضاء . توفي في الرملة سنة ٨٧٧هـ . (انظر :

الضوء اللامع ١/٣٢٧ ، الأنس الجليل ٢/١٩٥) .

(١٢) الضوء اللامع ١/٣٢٧ .

عبد الله المجذلي المقدسي ، المعروف بأبي العباس المقدسي ، فقد ذكر أنه درس اللغة ممثلة في ألفية ابن مالك ، وتصريف العزي (١٣) ، وقرأ العروض ، ونظم الشعر ، واستكثر من الأشعار القديمة ، وكان خطيباً في الأقصى ، الى جانب دراسته القراءات والفقهاء والمنطق وعلوم الرياضة ، وغيرها (١٤) . وذكر السخاوي أيضاً أن الشيخ العالم المحدث غرس الدين أبا سعيد خليل بن أبي المفاخر الخليلي الشافعي (١٥) ، قد عني بالنحو فدرسه في ألفية ابن مالك على عدد من أشهر العلماء في بيت المقدس من أمثال نجم الدين بن جماعة ، وبرهان الدين بن أبي شريف ، وغيرهما . وأضاف السخاوي أن غرس الدين المذكور ترأسل معه ، وتبادلا العديد من الرسائل (١٦) . ونجد مثل هذه العناية عند الكثيرين من المحدثين .

* * *

كانت العناية بعلوم اللغة العربية عناية كبيرة ، وكان المشتغلون بالقراءات والتفسير والحديث والفقهاء ، يعنون بها كما تقدم ، ففي مراكز القراءات أو دورها أو مشيخاتها ، وفي مشيخة الحديث ، ومشيخة التفسير ، ومشيخة الفقه في المسجد الأقصى ، كانت العناية بعلوم العربية باعتبارها أساساً من أهم الأسس التي تقوم عليها العلوم الدينية ، فهي التي تساعد على فهم القرآن ، وتوضيحه وتفسيره ، وهي التي تبين اعجازه كما تقدم .

(١٣) كتاب في الصرف صنفه الشيخ عز الدين أبو الفضائل إبراهيم بن عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني المتوفي بعد سنة ٦٥٥هـ . وهو كتاب مختصر متداول نافع . وقد نال هذا الكتاب عناية كبيرة ، فشرح شروحا كثيرة . (أنظر : كشف الظنون ١١٣٨/٢ - ١١٤٠) .

(١٤) أنظر : الضوء اللامع ١/٣٦٣ - ٣٦٦ ، الأنس الجليل ١٤١/٢ .

(١٥) ولد سنة ٨٦٩هـ ، وتلقى العلم في الخليل وبيت المقدس ، وهصر والشام . ودرس الفقه والقراءات والحديث والنحو على أشهر العلماء . (أنظر : الضوء اللامع ١٩٨/٣ ، الأنس الجليل ٢/٢١٣) .

(١٦) الضوء اللامع ١٩٨/٣ .

وبعد أن تبينا هذا نتساءل ، هل كان وضع العربية كذلك فحسب ، وهل كانت لها مشيخة في المسجد الأقصى ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نقول : اننا نرجح أنه كانت لعلوم اللغة العربية مشيخة تعنى عناية خاصة بتلك العلوم ، كما تعنى بعلوم أخرى لها صلة بها ، ونعتمد في ترجيحنا هذا على الموازنة بين مشيخات العربية المختلفة ، فقد كانت مشيخة للعربية في المدرسة المستنصرية ، وكان يشترط أن يكون فيها نحوي يشتغل بعلم العربية ، وأن تخصص له مخصصات مالية ومعيشية(١٧) .

وإذا نظرنا الى ما كان عليه علم العربية في المسجد الأقصى ، وجدنا أن تلك الشروط تنطبق على وضع علم العربية في المسجد الأقصى ، فقد تصدر للتدريس فيه عدد من العلماء في النحو ، ولا شك أنه قد خصصت مخصصات لهم ، ومن أولئك العلماء الشيخ شمس الدين أبو العزم محمد بن محمد بن يوسف الحلوي الشافعي النحوي(١٨) ، وواضح أن شمس الدين المذكور كان متخصصا في النحو ، كما يبدو جليا من تلقيبه بالنحوي . لقد كان شمس الدين أبو العزم ذا يد طولى في العربية ، وصنف مصنفات فيها مثل شرحه على الأجرومية(١٩) ، واشتغل شمس الدين بالتدريس ، فقد كان يدرّس العربية وغيرها في المسجد الأقصى ، وأخذ عنه كثير من الطلبة في بيت المقدس(٢٠) . ولم يقتصر شمس الدين على التدريس في الأقصى ، فقد شارك بالتدريس في

(١٧) أنظر : تاريخ علماء المستنصرية ١٠/٢ .

(١٨) ولد في بيت المقدس سنة ٨١٩هـ ، ونشأ فيه ، ثم رحل الى القاهرة طالبا العلم ، فأخذ عن شيوخها . وحصل على اجازات عديدة . اشتغل شمس الدين بالتدريس ، فدرس في الأقصى ، والمدرسة الصلاحية ، وغيرها كما ذكرنا . توفي شمس الدين في مكة سنة ٨٨٣هـ . (أنظر : الضوء اللامع ٣٥/١٠ ، الأنس الجليل ١٩٩/٢) .

(١٩) الضوء اللامع ٣٥/١٠ ، الأنس الجليل ١٩٩/٢ .

(٢٠) الأنس الجليل ١٩٩/٢ .

المدرسة الصلاحية في بيت المقدس أيضا (٢١) . ومن الكتب التي كان أبو العزم يدرسها في مجالسه بالمسجد الأقصى كتاب «مقدمة الأجرومية» في النحو (٢٢) .

وتصدر للتدريس في المسجد الأقصى ، عدد من العلماء المهتمين بالنحو ، ومنهم الشيخ الامام شمس الدين عبد الواحد بن جبارة المغربي المالكي ، وكان مقرئا ، كما كان أديبا شاعرا ، وكان ملما بالنحو ، والحساب والفرائض ، وغيرها من العلوم . وقد كان ابن جبارة ممن تصدروا لاقراء العربية نحوا وأدبا وشعرا (٢٣) .

ودرّس شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خليل العميري المقدسي الشافعي في المسجد الأقصى ، ومما درسه النحو ، وركز في تدريسه على عدد من الكتب النحوية مثل ألفية ابن مالك (٢٤) . وكان شهاب الدين يعقد المجالس في المسجد الأقصى (٢٥) ، ويدرس فيها النحو وغيره من العلوم .

ودرّس الشيخ شمس الدين أبو الفضل محمد بن عبد القادر النجار المقدسي الشافعي (٢٦) في المسجد الأقصى أيضا ، وأخذ عنه الطلبة ، وانتفعوا به . وقد ذكر أن شمس الدين المذكور كان صاحب نظم رائق (٢٧) .

-
- (٢١) الأنس الجليل ١٩٩/٢ .
(٢٢) أنظر : كشف الظنون ١٧٩٧/٢ .
(٢٣) غاية النهاية في طبقات القراء ٧٢/١ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٦/٢ ، الأنس الجليل ٢٥٨/٢ ، شذرات الذهب ٨٧/٦ .
(٢٤) الضوء اللامع ٥٢/٢ .
(٢٥) الأنس الجليل ٢٠٣/٢ .
(٢٦) ولد في حدود سنة ٨٤٥هـ بالقدس . ودرس على أشهر علمائها من أمثال كمال الدين ابن أبي شريف ، وأبي مساعد ، وغيرهما . وصار من أعيان العلماء في بيت المقدس سنة ٨٨٧هـ . (الأنس الجليل ٢٠١/٢ ، ٢٠٢) .
(٢٧) الأنس الجليل ٢٠١/٢ .

وبالإضافة الى هذا ، فقد أنشئت في صحن الصخرة المشرفة ، مدرسة خاصة بالعربية ، وسميت بالمدرسة النحوية(٢٨) ، وقد أنشأها الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٤هـ ، ووقف عليها أوقافا حسنة ، وخصصها للاشتغال بعلم العربية(٢٩) . وهذا واضح من تسمية هذه المدرسة بالمدرسة النحوية . ولم تكن هذه المدرسة ، تقتصر على تدريس النحو ، بل كانت تدرس علوم العربية أيضا . وكانت تدرس المدرسة النحوية عددا من أمهات كتب النحو ، وعلى رأسها الكتاب لسيبويه(٣٠) .

واستمرت هذه المدرسة تؤدي دورها العلمي في الحركة الفكرية ، منذ انشائها في أوائل القرن السابع الهجري ، وقد تولى التدريس فيها عدد من العلماء في بيت المقدس ، ومنهم قاضي القضاة تقي الدين أبو بكر بن أبي الروح بن عيسى بن الرصاص الأنصاري المقدسي الحنفي ، وكان تقي الدين المذكور من أهل العلم ، ولكن المصادر التي وقفنا عليها ، لم تفصل القول في نشأته العلمية ، وكل ما ذكره السخاوي ومجير الدين الحنبلي أن تقي الدين سمع كثيرا في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية وغيرها ، وأصبح فقيها من الفقهاء في العلم . وجمع تقي الدين بين العلم والقضاء والحكم ، فقد كان مشغولا بالعلم ، وبأشر الحكم في بيت المقدس سنة ٨٠٢هـ ، ومارس القضاء الى جانب ذلك كله . وقد استمر القاضي تقي الدين يشتغل بالعلم والتدريس في المدرسة النحوية ، الى أن توفي سنة ٨٣٢هـ(٣١) .

وولي بعده التدريس فيها ابنه الشيخ الامام العلامة علاء الدين أبو الحسن علي ، ويعرف بابن الرصاص ، وقد خلف والده في التدريس في

(٢٨) تقع على طرف الصخرة المشرفة من جهة القبلة الى الغرب . (الانس الجليل ٣٤/٢ ،

خطط الشام ١١٧/٦ ، الفصل في تاريخ القدس ٢٤٠) .

(٢٩) الانس الجليل ٤٠٣/١ .

(٣٠) خطط الشام ١١٧/٦ .

(٣١) الضوء اللامع ٦٥/١١ ، الانس الجليل ٢٢٠/٢ .

المدرسة النحوية • ولكننا لا ندرى متى ولي علاء الدين التدريس في المدرسة المذكورة ، ومتى باشر التدريس فيها ، فقد كان عمره عشر سنوات عند وفاة والده •

كان علاء الدين مشغلا بالنحو ، كما كان مشغلا بعلوم أخرى مثل الفقه والتفسير وغيرهما • وكتب علاء الدين كتبا بخطه في علوم متعددة • واستمر علاء الدين مشغلا بالعلم الى أن توفي سنة ٨٨٢هـ في بيت المقدس (٣٢) •

وذكر العمري أن الملك المعظم عيسى أنشأ قبة سميت باسمه ، فقيل : قبة الملك المعظم ، ورتب لها اماما ، وقيما ، كما رتب فيها «خمسة وعشرين نفرا من طلبة النحو ، وشيخا لهم • وشرط أن يكونوا حنفية من جملة طلبة مدرسته - المعظمية - التي خارج الحرم • ووقف على ذلك قرية تسمى بيت لقيما ، من عمل القدس الشريف» ، وكان الملك المعظم قد اهتم بعمارتها سنة ٦٠٨هـ (٣٣) •

وهكذا يتبين لنا أن علوم العربية نالت عناية كبيرة فصلنا القول فيها كما تقدم •

ومن الجدير بالقول أن العلماء عنوا بالعديد من الكتب اللغوية ، ودرّسوها ، ومن تلك الكتب : الايضاح لأبي علي الفارسي ، واصلاح المنطق لابن السكيت ، وملحة الاعراب للحريري ، وألفية ابن مالك • والأهم من هذا كله ، كتاب سيبويه كما ذكرنا فيما تقدم •

ومما يجدر قوله أن الملك المعظم عيسى نفسه كان يقرأ كتاب سيبويه متنا وشرحا ، والايضاح ، والحماسة ، وشيئا كثيرا على تاج الدين

(٣٢) الضوء اللامع ٢٠٦/٥ ، وأنظر : نفسه ١٧٦/١ ، الأنس الجليل ٢٢٠/٢ ، ٢٣٤ •
(٣٣) أنظر : مسالك الأبصار ١٤٦/١ ، بلدانية فلسطين العربية ٢٦٨ •

الكندي ، وذكر أنه «كان يمشي راجلا الى القلعة الى دار تاج الدين ،
والكتاب تحت ابطه» كما تقدم .

ولعل هذا يوضح سبب وقف الملك المعظم عيسى كتاب ابن السكيت
وأبي علي الفارسي على المدرسة النحوية كما تقدم . هذا بالاضافة الى
أهمية الكتابين في تاريخ العربية . وكان الملك المعظم يشجع على حفظ
عدد من الكتب كما تقدم أيضا .

ولا شك أن العلماء الذين تصدروا للتدريس بالمسجد الأقصى ،
درسوا مصنفاتهم وغيرها . ومن ذلك شرح ألفية الشيخ زين الدين يحيى
ابن عبد المعطي النحوي لشهاب الدين بن جبارة المقدسي (٣٤) ، وشرح
ألفية ابن مالك لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن الرصاص النحوي (٣٥) ،
وشرح العزي في التصريف لشمس الدين أبي العزم محمد بن محمد
الحلاوي (٣٦) . وذكر بروكلمان أن المفضل بن علي المقدسي كتب في سنة
٦٤٣هـ رسالة عن الاسم واللقب والنسبة (٣٧) .



ومما يعزز هذه العناية بعلوم اللغة العربية ، قدوم عدد من العلماء
المشهورين باللغة والنحو وغيرهما من علوم العربية . ومن أهم أولئك
العلماء محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الشيرازي الفيروز آبادي
اللغوي ، فقد ذكر السخاوي والداودي والصنعاني أن الفيروز آبادي قدم
الى بيت المقدس ، ودرس فيها على علمائها ، ثم ولي التدريس فيها .
وأضافوا أنه «قطن به - ببيت المقدس - نحو عشر سنين ، وولي تداريس
وتصادير ، وظهرت فضائله ، وكثر الآخذون عنه ، فكان ممن أخذ عنه
الصلاح الصفدي ، وأوسع في الثناء عليه» (٣٨) .

(٣٤) الأنس الجليل ٢/٢٥٩ ، كشف الظنون ١/١٥٥ .

(٣٥) الأنس الجليل ٢/٢١٨ ، ذيل كشف الظنون ٣/١١٩ .

(٣٦) الضوء اللامع ١٠/٣٥ ، الأنس الجليل ٢/١٩٩ ، كشف الظنون ٢/١٧٩٧ .

(٣٧) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٥/٢٧٤ .

(٣٨) الضوء اللامع ١٠/٨٠ ، طبقات المفسرين ٢/٢٧٤ ، ٢٧٥ ، البدر الطالع ٢/٢٨٠ .

قدم الفيروز أبادي الى بيت المقدس بعد سنة ٧٥٥هـ ، فقد ذكر السخاوي أن الفيروز أبادي دخل دمشق سنة ٧٥٥هـ ، ثم سافر الى مدن أخرى ، وكانت مدينة بيت المقدس واحدة منها . وذكر السخاوي أيضا أن الفيروز أبادي كان موجودا في بيت المقدس سنة ٧٦٠هـ (٣٩) .

وإذا عرفنا أن مولد الفيروز أبادي كان سنة ٧٢٩هـ ، تبينا أنه قدم الى بيت المقدس في حوالي الثلاثين من العمر . وكان قد درس علوما عديدة في بلدة شيراز ، وعني باللغة عناية خاصة . وأخذ اللغة والأدب عن والده وغيره من علماء بلده . ثم قدم الى العراق ، ودرس فيها ، وأعاد بالمدرسة النظامية سنين ، ثم دخل دمشق كما تقدم ، وقرأ فيها ، كما قرأ في بعلبك ، وحماة ، وحلب ، وبيت المقدس (٤٠) . ومن هذا ، يتبين لنا أن الفيروز أبادي كان قد شدا في العلم ، واشتغل بالتدريس قبل قدومه الى بيت المقدس . وبعد هذا تتساءل : ما الموضوعات التي درّسها الفيروز أبادي في بيت المقدس ؟ ونقول : لا شك أنه درّس موضوعات عديدة ، ولكننا نغلب الظن أن الأدب واللغة كانا على رأس تلك الموضوعات .

ومنهم جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد الوائلي البكري الأندلسي ، المعروف بالشريشي المالكي النحوي (٤١) ، فقد ذكر ابن الفرات أن جمال الدين المذكور قدم الى بيت المقدس ، وأقام فيه مدة (٤٢) ، ولكن ابن الفرات

(٣٩) الضوء اللامع ١٩٧/٢ .

(٤٠) نفسه ٧٩/١٠ .

(٤١) ولد بشريش ، من بلاد الأندلس ، سنة ٦٠١هـ ، ونسب اليها . وطلب العلم في مراكز عديدة . قدم الى مصر ، ثم رحل الى العراق ، وسمع فيها الحديث ، واشتغل بالعلم . عاد الى مصر فدرس بالفاضلية . ثم أقام بالقدس شيخا للحرم . ثم جاء الى دمشق ، وتولى مشيخة الحديث فيها ، كما تولى وظائف أخرى . اتقن الشرishi المذكور العربية والأصول والتفسير ، وعني بالحديث ، وغير ذلك . توفي سنة ٦٨٥هـ . (انظر : بنية الوعاة ٤٤/١ ، الدارس ١٢١/١) .

(٤٢) تاريخ ابن الفرات ٤٦/٨ .

لم يحدد تلك المدة . وأشار السيوطي الى قدوم جمال الدين الشريشي الى بيت المقدس (٤٣) ، وكان جمال الدين قد قدم من بلاده ، بعد أن طلب العلم فيها ، واستمر في طلب العلم ، فأخذ عن عدد من العلماء في بغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، وغيرها . ثم اشتغل بالتدريس .

ومن هذا يتضح لنا أنه عندما قدم الى بيت المقدس كان عالما من كبار العلماء ، وكان ذا خبرة بالتدريس ، وازاء ذلك فاننا نرجح أن شارك في الحركة الفكرية في بيت المقدس في مجال اللغة بخاصة ، وغيره بعامة ، فقد كان جمال الدين الشريشي من المصنفين في اللغة ، وله في ذلك كتاب في الاشتقاق ، وشرح جليل لألفية ابن معط (٤٤) . ولعل مما يعزز مشاركته هذه رواية ذهبت الى أن جمال الدين استقر بين دمشق وبيت المقدس (٤٥) .

ومنهم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، فقد أقام سبع عشرة سنة في بيت المقدس ، حيث قدم اليها سنة ٥٩١هـ (٤٦) ، وكان عمره اذ ذاك يزيد على ثلاثين سنة ، قضاها في طلب العلم بالقاهرة ، فدرس العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، والتاريخ ، والعلوم العقلية والعملية ، وهي كما يقول ياقوت : النحو واللغة ، والفقه والحديث وعلم القرآن ، والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل» وغيرها من فنون العلم (٤٧) . ثم قدم القفطي الى بيت المقدس كما تقدم ، وذلك عندما ولي والده النظر ببيت المقدس من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بن أيوب ، وأقام في بيت المقدس ، وطلب العلم فيه . ومن المؤكد أنه شارك في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، فدرس على عدد من أشهر العلماء فيها ، في أقصاها الشريف ومدارسها . وربما

(٤٣) بغية الوعاة ٤٤/١ .

(٤٤) نفسه ٤٤/١ .

(٤٥) أنظر : الأدب في العصر المملوكي ١٠٧/١ .

(٤٦) معجم الأدباء ١٨٨/١٥ .

(٤٧) معجم الأدباء ١٧٩/١٥ ، فوات الوفيات ١١٧/٣ ، الحوادث الجامعة ٢٣٨ .

درّس أيضا ، فقد ذكر ياقوت أن ولاية بيت المقدس أنسوا منه «شرف نفس ، وعلو همة ، فأحبوه واشتملوا عليه» ، وكان «يعتمد على رأيه في تدبير الأحوال ، وكان لا يدخل معهم الا فيما لا يقوم غيره فيه مقامه» (٤٨) .

كان القفطي معروفا باهتمامه بالتاريخ ، وبهذا عرف ، ولكنه كان مهتما باللغة ، فقد صنف مصنفاً عديدة في فنون عديدة ، وبخاصة اللغة والتاريخ . ومن مصنفاً في اللغة كتاب الضاد والطاء ، وكتاب أخبار النحويين ، وكتاب الاصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح للجوهري (٤٩) ، وكان القفطي من «المبرزين في النظم والنثر» أيضا (٥٠) .

بقي القفطي في بيت المقدس حتى سنة ٦٠٨هـ (٥١) ، ولا شك أنه استمر في طلب العلم دارسا ومدرسا كما تقدم ، فقد كان عمره يقارب الخمسين عند خروجه من بيت المقدس متوجها الى حلب ، وهذا سن ترجح معه أن القفطي اشتغل بالعلم مدرسا في بيت المقدس . ولا شك أن عنايته اتجهت نحو اللغة وغيرها ، مثل عنايته بالتاريخ ، وهو ما سنتحدث عنه في مجاله الذي شهر القفطي به ، وهو التاريخ .

ومن علماء اللغة الذين قدموا الى بيت المقدس أيضا ، الشيخ تقي الدين خزعل بن عسكر بن خليل المصري النحوي (٥٢) ، و «أقام بالقدس الشريف زمانا يقرئ الناس به حتى كان يعرف بنحوي القدس» . واستمر

(٤٨) معجم الأدباء ١٥/١٨٨ .

(٤٩) نفسه ١٥/١٨٦ ، ١٨٧ .

(٥٠) نفسه ١٥/١٧٥ ، وانظر : ١٨٧ - ٢٠٤ .

(٥١) نفسه ١٥/١٨٨ .

(٥٢) كان تقي الدين شيخا حسنا فاضلا مفتيا . توجه من بيت المقدس الى دمشق ، فأقرأ في مدارسها ، وكان أبو شامة ممن قرأوا عليه العروض والجدل ، وله شعر ، ومصنفات واستمر في عمله الى أن توفي سنة ٦٢٣هـ . (الذيل على الروضتين ١٤٩) .

تقي الدين المذكور يقرئ الناس الى أن خرب الملك المعظم عيسى بيت المقدس سنة ٦١٦هـ (١٢٣) .

ومنهم برهان الدين ابراهيم بن عبد الله الحِكْرِي المصري النحوي ، فقد قدم الى بيت المقدس ، وكان عارفا بالعربية ، وشرح ألفية ابن مالك في النحو (٥٤) . ومن الواضح أنه كان متخصصا بالنحو كما يبدو من لقبه بالنحوي .

ومنهم محمد بن سليمان الحِكْرِي المقرئ ، وقد قدم الى بيت المقدس ، وولي القضاء فيه . وكان شمس الدين المذكور قد صنف مصنفات في العربية والقراءات ، ومن ذلك شرحه الألفية (٥٥) .

ومن الجدير بالاشارة أننا لم نعثر على نص ، في المصادر التي وقفنا عليها ، يحدد اشتغال هؤلاء العلماء بالعربية في المسجد الأقصى ، ومع ذلك فاننا نغلب الظن أنهم اشتغلوا بالعربية وتدريسها في المسجد الأقصى . ولعل مما يرجح ذلك أن أولهم كان نحوي بيت المقدس ، وأقام هناك زمانا كما تقدم . ويمكن أن يقال مثل هذا ، أو قريبا منه عن العلماء الآخرين الذين ذكرناهم .



الأدب :

عني الأدباء وغيرهم برواية الأدب القديم ، وشرح أمهاته ، ونقده ، فقد كانوا يقرأون الأشعار القديمة ، والمقامات ، والخطب ، ويتدارسونها ، وكانوا يستكثرون من حفظ الأشعار القديمة ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره السخاوي في حديثه عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المجدلي

(٥٣) الذيل على الروضتين ١٤٩ .

(٥٤) بغية الوعاة ٤١٥/١ ، وأنظر : الدرر الكامنة ٣٠/١ .

(٥٥) الدرر الكامنة ٧١/٤ ، بغية الوعاة ١١٧/١ . ذكر ابن حجر العسقلاني أن شمس الدين

المذكور ولي قضاء المدينة سنة ٧٦٦هـ ، ثم ولي قضاء القدس (الدرر ٧١/٤) ،

وهذا يعني أنه قدم الى بيت المقدس بعد ذلك .

المقدسي المعروف بأبي العباس المقدسي ، فقد درس أبو العباس العربية ، وكان «مستكثرا من الأشعار القديمة وغيرها ، وكذا الحكايات والنوادر» . وكان أبو العباس المذكور كثير الحفظ في الشعر وغيره ، حتى قيل انه أكثر حفظا من ابن تيمية(٥٦) . وكانوا يتدارسون الشعر ، وممن ذكر في هذا المجال شيخ الاسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن أرسلان الرملي المقدسي المعروف بابن أرسلان ، فقد ذكر السخاوي أن ابن أرسلان المذكور درس النظم(٥٧) ، كما درسه غيره .

وكانوا يعنون بالمساجلات الأدبية ، ويتناشدون الأشعار ، ومن ذلك ما ذكر عن أبي العباس المقدسي والسخاوي ، فقد ذكر السخاوي أنه تناشد الأشعار مع أبي العباس ، كما تناشدها أبو العباس مع آخرين غير السخاوي . وأضاف السخاوي أنهما لما اجتمعا أنشده أبو العباس أشعارا من نظمه ، وأطلعه على منظومة لأبي الفتح السبكي في تعداد الخلفاء ، كما أطلعه على ذيلها لشهاب الدين بن أبي عذبية(٥٨) ، وهو في نحو عشرة كراريس كما يقول السخاوي(٥٩) . وكان الشيخ الامام زين الدين عبد المؤمن بن عمر الحلبي ثم المقدسي الشافعي(٦٠) يحفظ الكثير من

(٥٦) الضوء اللامع ١/٣٦٥ .

(٥٧) نفسه ١/٢٨٢ .

(٥٨) أحمد بن محمد بن عمر ، المشهور بابن أبي عذبية . ولد في بيت المقدس سنة ٨١٩هـ ، ونشأ وتعلم فيه الفقه والحديث ، وأخذ عن أشهر العلماء . ورحل الى القاهرة والشام طالبا العلم ، كما توجه الى مكة حاجا . عني بالتاريخ وصنف فيه . توفي شهاب الدين في بيت المقدس سنة ٨٥٦هـ (انظر : الضوء اللامع ٢/١٦٢ ، الأنس الجليل ٢/١٨٤ ، شفونات الذهب ٢/١٦٢ ، الأعلام ١/٢٧٠) .

(٥٩) الضوء اللامع ١/٣٦٦ .

(٦٠) ولد بالرما سنة ٧٦٠هـ . قدم الى بيت المقدس سنة ٨١٥هـ . وفيه كان معيدا بالمدرسة الصلاحية . وأصبح واعظ مدينة القدس ومفتيها وعالمها . توفي سنة ٨٤٥هـ . (انظر : الأنس الجليل ٢/١٧٧) .

الشعر والغرائب والنوادر • وكان ينشدها في مجالسه (٦١) •

وكان الشعراء ينشدون الأشعار ، في المدائح النبوية ، في المسجد الأقصى ، وقد ذكر أنه عين ماح ينشد المديح النبوي ، وكان ذلك في مستهل سنة ٦٩٥هـ (٦٢) •

ان استعراض العلماء والأدباء في بيت المقدس ، يبين أنهم عنوا بالعربية ودرسوها كثيرا ، ولكننا نجد أن الأدباء والمؤرخين القدامى يشيرون الى التركيز على دراسة اللغة في نحوها و صرفها ، ولكنهم لم ينصوا على دراسة الأدب الا قليلا ، وبخاصة اذا ما وازنا ذلك بالنص على دراسة النحو والصرف •

ومما يلفت النظر أن القدامى لم يشيروا الى ما درسوه من أشعار أو دواوين شعرية ، أو مختارات أدبية ، الا قليلا •

وعلى الرغم من هذا ، فإننا نستطيع أن نتبين أن اهتمام الأدباء في العصر الأيوبي والمملوكي بعامة ، ومنهم الأدباء في بيت المقدس ، كان منصبا على عدد من الدواوين الشعرية ، والقصائد ، والمقامات ، والخطب •

ان التأثير بأبي الطيب المتنبي ، كان ظاهرة شبه عامة ، انعكست في شعر الكثير من شعراء هذين العصرين ، وبخاصة في شعر الجهاد • ويتمثل ذلك واضحا في الأشعار التي قيلت حول بيت المقدس ، وهي ما تسمى بالقدسيات (٦٣) • ومثل هذا يقال عن شعر أبي تمام الحربي أيضا •

لقد كان الاهتمام بديوان أبي الطيب المتنبي كبيرا ، ويتضح ذلك الاهتمام في الشروح الكثيرة للديوان ، فقد ذكر أن شروحه زادت على

(٦١) الأنس الجليل ١٧٧/٢ •

(٦٢) أنظر : المفضل في تاريخ القدس ٢١٢ ، ٢١٣ •

(٦٣) سنفضل القول في هذه الظاهرة في كتاب خاص عن الحركة الأدبية في بيت المقدس •

أربعين شرحاً (٦٤) ، كما يتضح في التأثر بالمتنبي ، أو معارضة قصائده أو غير ذلك مما لا يسمح المجال بتفصيله هنا .

ومن كتب الشعر التي نالت اهتماماً أيضاً ، دواوين الحماسة بعامّة ، وديوان حماسة أبي تمام بخاصّة ، فقد أقبل الأدباء على حماسة أبي تمام ، وشاع بينهم ، وشرحه العديد منهم ، ونهج نهجه آخرون (٦٥) . ومن الجدير بالقول أن الحماسة البصرية لمصنفها صدر الدين علي بن أبي الفرج البصري (٦٦) ، صنفت في العصر الأيوبي ، وكان ذلك في عهد الملك الناصر أمير حلب ، وقدمها إليه سنة ٦٤٧هـ .

إن الاهتمام بديوان أبي تمام وأبي الطيب ، وديوان الحماسة ، أمر طبيعي في عصرين تعرض فيهما العالم الإسلامي لغزو صليبي ، وغزو مغولي . ومن مظاهر الاهتمام بالشعر في حماسة أبي تمام ، أن الأدباء كانوا يعنون بحل المنظوم في الحماسة المذكورة ، ومن ذلك ما صنعه القاضي الفاضل عندما توجه إلى مصر طالبا العلم ، فقد ذكر أن موفق الدين بن الخلال سأل القاضي الفاضل عما يحفظ ، فأجابته بأنه يحفظ القرآن والحماسة ، فطلب منه الخلال ، رئيس ديوان الإنشاء بمصر ، أن يحل ديوان الحماسة (٦٧) . ومثل هذا ما صنعه بدر الدين عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن أحمد بن غانم السعدي الخزرجي الأنصاري المقدسي الشافعي المعروف بابن غانم المقدسي (٦٨) ، فقد ذكر أن ابن غانم المذكور

(٦٤) انظر : كشف الظنون ١/٨٠٩ - ٨١٢ .

(٦٥) انظر : كشف الظنون ١/٦٩١ - ٢٩٢ ، تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٣/٧٩ - ٨٠ .

(٦٦) انظر : تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٣/٨٢ ، الأدب في العصر الأيوبي ١٧٦ .

(٦٧) الوشي المرقوم ٩ ، عن القاضي الفاضل ١١ - ١٢ .

(٦٨) ولد في بيت المقدس سنة ٧٨٦هـ ، وطلب العلم فيه ، كما طلبه في بلاد المغرب وتونس والجزائر ، وفي بلاد المشرق ، ثم عاد إلى بيت المقدس ، واشتغل بالعلم والتصوف فيه ، وبقي فيه حتى بعد سنة ٨٤٠هـ ، ثم رحل بدر الدين إلى القاهرة ، واستوطنها ، وبقي فيها إلى توفي سنة ٨٥٦هـ ، وله نظم كثيرة . (الضوء اللامع ٤/٢٢٧ - ٣٢٨) .

كان أديبا ، وله نظم كثير ، وقد عمل لابنه منظومة في العربية سماها «العقد» ، ثم شرحها وحلها في كتاب سماه «الدر اليتيم في حل العقد النظيم» (٦٩) .

وعني الشعراء بالمديح النبوي ، وتبدو هذه العناية جلية في أشعارهم التي قالوها في هذا المضمار ، وفي اهتمامهم بقصائد مشهورة في المديح النبوي مثل قصيدة كعب بن زهير «بانث سعاد» ، وقصيدة البردة للبوصيري . ويوضح ذلك ما ذكره السخاوي ، فقد ذكر مثلا أن الشيخ شرف الدين عبد الرحمن بن محمد بن علي القلقشندي المقدسي (٧٠) ، أنشأ قصيدة عارض فيها قصيدة كعب بن زهير ، ومطلعها :

سيف الجفون على العشاق مسلول

وأضاف السخاوي أن عددا من الأدباء والعلماء سمعوا قصيدة شرف الدين المذكور ، وقد سمعوها منه مباشرة (٧١) .

ويوضح ذلك أيضا ما ذكره السخاوي ، ومجير الدين الحنبلي ، والسيوطي ، فقد ذكروا أن الشيخ الامام شمس الدين أبا عبد الله محمد ابن خليل القباقي الحلبي ثم المقدسي الشافعي ، خمّس قصيدة بانث سعاد ، وبردة البوصيري . وللقباقي المذكور بديعية في المديح

(٦٩) الضوء اللامع ٣٢٨/٤ ، آداب اللغة العربية ٢٣١/٣ . وانظر : المثل السائر ١٢٩/١ - ١٣٩ .

(٧٠) ولد في بيت المقدس سنة ٧٨٢هـ ، وطلب العلم فيه ، وفي نابلس ودمشق والقاهرة . ثم اشتغل بالتدريس والافتاء والخطابة ، ودرس في عدة مدارس في بيت المقدس مثل الصلاحية ، والطازية ، والميمونية ، والكريمة ، وغيرها . وكان مفتي بيت المقدس ، وخطيب المسجد الأقصى . وله مصنفات ، وشهر جيد . توفي شرف الدين سنة ٨٢٦هـ .
(الضوء اللامع ١٢٢/٤ - ١٢٤ ، الأنس الجليل ١٣٩/٢) .

(٧١) الضوء اللامع ١٢٣/٤ .

النبوي (٧٢) . ومن خمسوا البردة أيضا غرس الدين خليل بن شاهين
الظاهري (٧٣) .

وذكر السخاوي ، في هذا المجال ، أنه سمع الشعر من قاضي القضاة
سعد الدين محمد بن عبد الله المقدسي المعروف بابن الديري ، فقد سمع
منه قصيدة مخمسة في مدح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهي من انشاء
ابن الديري نفسه (٧٤) .

ومن الجدير بالاشارة أن الشعراء قالوا شعرا في الزهد والتصوف ،
والمديح ، والرثاء ، والشكوى ، والحنين ، والغزل . كما قالوا شعرا
في القضاة ، وشعرا اجتماعيا . وأنشأ الأدباء الخطب والرسائل
والمصنفات .

ومن الكتب الأدبية الأخرى التي حظيت بعناية كبيرة ، مقامات
الحريري ، فقد اعتنى بها الأدباء ، وشرحوها شروحا كثيرة تقارب أربعين
شرحا (٧٥) ، وحفظها الكثير منهم ، وكانوا يعجبون بها اعجابا شديدا ،
فعارضوها ، و «طبق استعمالها آفاق الأرض» كما يقول شارحها
الشريشي (٧٦) . وذكر ضياء الدين بن الأثير أنها وخطب ابن نباتة «كانتا
عكازي أهل الزمان من متعاطي صناعة الانشاء» (٧٧) . وذكر ياقوت أن
مقامات الحريري «رزقت من الشهرة ، وبعد الصيت ، والاتفاق على
استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت أو أكثر» . وأضاف ياقوت

(٧٢) الأنس الجليل ١٧٩/٢ ، نظم العقيان ١٤٨ .

(٧٣) الضوء اللامع ١٩٦/١ .

(٧٤) الضوء اللامع ٢٥١/٣ ، الذيل على رفع الاصر ١٣٤ .

(٧٥) أنظر : كشف الظنون ١٧٨٧/٢ - ١٧٩١ ، تاريخ الأدب العربي - بروكلمان

١٤٧/٥ - ١٥٠ .

(٧٦) أنظر : بغية الوعاة ٣٣١/١ .

(٧٧) الوشي المرقوم ٦ ، وأنظر الأدب في العصر الأيوبي ١٧٦ ، النشر الفني في القرن الرابع

الهجري ١٦٢/٢ .

راويا ما قيل في تفضيل المتنبي ، والحريري ، وابن نباتة ، ومن ذلك قول أحدهم انه استطاع أن يبلغ مستوى خطب ابن نباتة ، وأنه لو أراد أن يصنع صنيع المتنبي لاستطاع أن يأتي بمثل ما جاء به المتنبي كما يقول ، ولكنه حاول أن يأتي بمقامات مثل مقامات الحريري ، فلم يفلح (٧٨) .

وممن درسوا مقامات الحريري وحفظوها ، الشيخ غرس الدين خليل ابن اسحق الخليلي الشهير بابن قازان (٧٩) ، فقد ذكر أنه كان يحفظ معظم مقامات الحريري (٨٠) .

تعد مقامات الحريري نموذجا أدبيا «يمثل الوسط الأدبي» في العصر الذي أنشئت فيه ، وفي العصور التي تلت أيضا (٨١) . ويؤيد هذا أن الحريري «أجاز بيده سبعمائة نسخة منها» ، فقد قيل «انه كتب سبعمائة نسخة من المقامات بخطه وقرئت عليه» (٨٢) .

وعلى الرغم من هذا كله ، فإن الإشارة الى حفظ مقامات الحريري ودراستها ، لم تكثر في الحديث عن العلماء في بيت المقدس . وهذا أمر يلفت النظر ، ويدعو الى التساؤل ، فهل كانت مقامات الحريري لا تتلاءم مع ذوق الوسط الأدبي في بيت المقدس ، أو أن العناية بها كانت كبيرة ، ولكن الإشارة اليها لم تكن متوازنة مع تلك العناية ، أو أن أخبارا ضاعت ولم تصل إلينا ؟ اننا نغلب الظن على أن هذه المقامات لاقت عناية كبيرة حقا ، وأنها كانت متلائمة ومعبرة عن ذوق الوسط الأدبي ، فقد كانت

(٧٨) أنظر : معجم الأدباء ٢٦٧ - ٢٦٩ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٨/٧ ، تطور الأساليب النثرية ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٧٩) ولد حوالي سنة ٨١٠هـ ، وطلب العلم واجتهد في تحصيله ، ثم حدث بمسوعه . وتوفي غرس الدين سنة ٨٩٣هـ ، وهو في طريقه الى الخليل ، ودفن فيها .

(أنظر : الضوء اللامع ١٩٣/٣ ، الأنس الجليل ٢٠٨/٢) .

(٨٠) الضوء اللامع ١٩٣/٣ ، الأنس الجليل ٢٠٨/٢ .

(٨١) أنظر : تطور الأساليب النثرية ٣٩٢ ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ٢٩٥ ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري ٢٠٢ .

(٨٢) مفتاح السعادة ٢٤٤/١ ، تطور الأساليب النثرية ٣٩٠ .

الصنعة اللفظية آنذاك مقياس الجودة الأدبية في العصرين اللذين نتحدث عنها . هذا بالإضافة الى أنه ربما ضاعت أخبار ولم تصل إلينا .

ومن الكتب الأدبية التي نالت عناية كبيرة أيضا ، ديوان خطب ابن نباتة (٨٣) . وقد تقدم القول في أنها كانت ومقامات الحريري من أهم ما يعتمد عليه متعاطو صناعة الانشاء كما يقول ابن الأثير . ويبدو الاهتمام بها جليا في كثرة شروحها (٨٤) . ومن شروحها شرح تاج الدين أبي اليمان زيد بن حسن الكندي . وقد أقرأ تاج الدين المذكور المقامات (٨٥) .

كان التأثير كبيرا بخطب ابن نباتة ، وبخاصة تلك الخطب التي وضعها في الجهاد ، وكان ابن الزكي متأثرا بابن نباتة المذكور ، وذلك واضح في الخطبة الاولى التي ألقاها في المسجد الأقصى سنة ٥٨٣هـ عند تحريره من النزاة الصليبيين . ومن الممكن القول بأن ديوان خطب ابن نباتة كان نموذجا نهج الخطباء نهجه (٨٦) . ذكر ابن خلكان أن ابن نباتة «رزق السعادة في خطبه التي وقع الاجماع عليها على أنه عمل مثلها» ، وكان خطيب حلب في ظل سيف الدولة ، وأكثر من خطب الجهاد ليحضر الناس عليه ، كما ذكر ابن خلكان (٨٧) . وذكر ابن الأثير أن خطب ابن نباتة كانت سائرة بين الناس .

(٨٣) أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الفارقي . ولد سنة ٢٢٥هـ بمعا فارقين ، ونسب إليها . وهو صاحب الخطب المشهورة . كان اماما في علوم الأدب . وكان خطيب حلب في عهد سيف الدولة . توفي سنة ٣٧٤هـ (انظر : وفيات الأعيان ١٥٦/٢ - ١٥٨ ، شذرات الذهب ٨٣/٣ - ٨٤ ، تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ١٠٨/٢ - ١١٠ ، النشر الفني في القرن الرابع الهجري ١٥٩/٢ ، ١٦١ .

(٨٤) انظر : كشف الظنون ٧١٤/١ ، النشر الفني في القرن الرابع الهجري ١٥٩/٢ .

(٨٥) الذيل على طبقات الحنابلة ١٩٩/٢ .

(٨٦) انظر الأدب في العصر الأيوبي ١٧٨ .

(٨٧) وفيات الأعيان ١٥٦/٣ - ١٥٨ ، شذرات الذهب ٨٣/٣ .

ولسنا هنا بصدد دراسة خطب ابن نباتة ، ولكننا قصدنا توضيح كيف أن الأدباء نهجوا نهج ابن نباتة الفارقي في خطبهم .

* * *

البلاغة والعروض :

كانت البلاغة مادة للدراسة أيضا . وقد تقدم القول في أن البيان والمعاني نالا عناية من خلال كتب التفسير بخاصة ، ويتمثل ذلك بكل جلاء ، في عناية العلماء ، في بيت المقدس ، بكشاف الزمخشري . ومن الطبيعي أن ينال هذا العلم اهتماما كبيرا ، فقد قامت في خدمة القرآن الكريم لتبيين اعجازه . ويتضح هذا فيما ذهب اليه الخطيب القزويني ، فقد ذهب الى أن للبلاغة طرفين أحدهما «أعلى اليه تنتهي ، وهو حد الاعجاز» (٨٨) .

ويكفينا أن نشير في هذا الصدد الى الكتب البلاغية الكثيرة في موضوع الاعجاز القرآني مثل : دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، واعجاز القرآن للباقلاني ، والنكت في الاعجاز للرماني ، وغير ذلك من كتب الاعجاز .

لا شك أن المشتغلين بالتفسير ، والأصول ، والشعر ، والخطابة ، كانوا يعنون بالبلاغة عناية كبيرة ، ولكن المفسر نظر اليها من ناحية ، والأصولي نظر اليها من ناحية أخرى ، والأديب نظر اليها من ناحية ثالثة ، وهكذا (٨٩) .

* * *

ومما يجدر الحديث عنه في هذا الصدد ، قدوم بعض العلماء الذين كان لهم أثر بيّن في البلاغة ، ومنهم القاضي جمال الدين عبد الرحيم

(٨٨) التلخيص ١٠ ، وأنظر : البيان والتبيين ١/١١٤ ، كشاف مصطلحات الفنون

١٩٨/١ ، ١٩٩ .

(٨٩) أنظر : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي الاول ٢٤٦ .

ابن علي بن شيث (٩٠) ، فقد ذكر أنه ولي الديوان في بيت المقدس (٩١) ، وكان جمال الدين قد استوطن القدس الشريف (٩٢) . وذكر أبو شامة المقدسي (٩٣) ، وابن شاكر الكتبي (٩٤) ، أن ابن شيث قد ولي الديوان في قوص (٩٥) ، ثم في الاسكندرية ، ثم في بيت المقدس . وهذا يدعو الى التساؤل عن المقصود بالديوان في حديثهما ؟ هل هو ديوان الانشاء ؟ لقد وضع ابن شيث كتابا في فن الانشاء وقوانينه ، وهو كتاب «معالم الكتابة ومغانم الاصابة» (٩٦) ، فهل يرجح هذا أن المقصود هو ديوان الانشاء؟ ومما قد يؤيد ذلك أن بعض الروايات أشارت الى تولي ابن شيث ديوان الانشاء في المراكز المذكورة (٩٧) . و«خدم-ابن شيث في ديوان الانشاء في عهد صلاح الدين والملك العادل» (٩٨) ، وكان صاحب ديوان الانشاء في عهد الملك المعظم عيسى (٩٩) ، ومن المعلوم أنه لم يكن يتولى ديوان

-
- (٩٠) ولد بأسنا ، من أعمال قوص ، سنة ٥٥٧هـ ، ونشأ بقوص ، وطلب العلم فيها . واشتغل في ديوان الانشاء . وكان حسن النثر والنظم . توفي بدمشق سنة ٦٢٥هـ .
 (أنظر : الذيل على الروضتين ١٥٣ ، فوات الوفيات ٣١٢/٢ - ٣١٥) .
- (٩١) الذيل على الروضتين ١٥٣ ، فوات الوفيات ٣١٢/٢ .
- (٩٢) أنظر : مقدمة معالم الكتابة ومغانم الاصابة .
- (٩٣) الذيل على الروضتين ١٥٣ .
- (٩٤) فوات الوفيات ٣١٢/٢ .
- (٩٥) نقع في صعيد مصر . وكانت مدينة كبيرة . خرجت الكثير من العلماء . وكانت مركزا من المراكز العلمية المشهورة في مصر (معجم البلدان ٤١٣/٤) .
- (٩٦) كتاب صنعه ابن شيث في ادارة الدواوين ، وبلاغة الكتاب . (أنظر : تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ١٥٦/٥) وانظر الكتاب نفسه .
- (٩٧) أنظر : الأعلام ١٢١/٤ .
- (٩٨) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ١٥٦/٥ .
- (٩٩) أنظر : فوات الوفيات ٣١٢/٢ .

الانشاء الا من كان من مشهوري الأدباء والكتاب في عصره مثل القاضي
الفاضل ، والعماد الأصفهاني ، وغيرهما .

لقد كان ابن شيث مشاركا في الحركة الفكرية في بيت المقدس دون
شك . ولكن ، هل كان مشاركا في الحياة العلمية في المسجد الأقصى ،
وهل كان كتابه «معالم الكتابة ومغانم الاصابة» من الكتب البلاغية التي
لاقت عناية في الأقصى ؟ ان مجريات الأمور ، تقضي بأن ابن شيث كان
ذا أثر بين في الحركة الفكرية بعامة . وقد تقدم القول في أنه شارك في
المجالس العلمية التي كان الملك المعظم عيسى يعقدها ، ومنها مجالسه
التي كان يعقدها في بيت المقدس كما تقدم .

عني العلماء الذين كانوا يدرسون البلاغة بعدد من الكتب البلاغية ،
ومن تلك الكتب التي كانوا يعنون بها كتاب تلخيص المفتاح في المعاني
والبيان للشيخ الامام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي
المعروف بالخطيب القزويني (١٠٠) ، ولا يقتصر هذا الكتاب على علمي المعاني
والبيان ، فانه يتحدث عن علم البديع أيضا . وقد لقي هذا الكتاب عناية
كبيرة ، فأقبل العلماء على درسه وحفظه ، وشرحوه شروحا كثيرة ، ومن
تلك الشروح «المطول» للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (١٠١) .
وقد عني عدد من العلماء في بيت المقدس بالتلخيص ، والمطول ، فدرسوهما ،
ونظموهما ، وشرحوهما ، ووضعوا عليهما الحواشي . ومن الجدير

(١٠٠) ولد سنة ٦٦٦هـ في بلاد الروم ، وطلب العلم فيها ، ثم توجه الى دمشق ، وفيها
اشتغل بالقضاء ، وولي الخطابة ، ثم ولي القضاء في مصر ، ثم أعيد الى قضاء الشام .
توفي سنة ٧٣٩هـ . وقد قيلت فيه مدائح كثيرة ، ورئي بالعديد من المراتي .
(انظر : الدرر الكامنة ١٢٠/٤ - ١٢٣) .

(١٠١) ولد سنة ٧١٢هـ ، وطلب العلم ، وتقدم فيه ، وذاع صيته . وصنف مصنفات عديدة
في البلاغة والنحو والفقه والتفسير والمنطق وغيرها . وكان « اماما بالنحو والتصريف
والمعاني والبيان والاساليب والمنطق » . توفي سنة ٧٩١هـ . (انظر : الدرر الكامنة
١١٩/٥ - ١٢٠/٤ بنية الرماة ٣٨٥/٧) .

بالقول أن النظم التعليمي كان شائعا آنذاك ، وذلك لتسهيل حفظ الكتب على طالبي العلم . ويقال مثل هذا عن الشروح أيضا ، فلا شك أن غرضها كان تعليميا في الغالب . ومن تلك الشروح والحواشي ما وضعه عز الدين بن جماعة ، فقد ذكر أنه وضع ثلاث حواش على المطول سماها «المبين والمفصل» (١٠٢) . ولخص عز الدين المذكور المفتاح أيضا (١٠٣) . ووضح حاشية على كتاب «تلخيص المفتاح» (١٠٤) ، وحاشية أخرى على عروس الأقراخ (١٠٥) .

ومن هذا يتبين لنا أن العناية تمثلت في كتب بلاغية متأخرة ، ولكنها ذات أهمية في البلاغة العربية .

ونرجح أن عددا من العلماء في بيت المقدس درّسوا ما صنّفوه من كتب في البلاغة ، ومن ذلك كتاب «مصباح الزمان في المعاني والبيان» (١٠٦) لمحمد بن محمد الأسدي المقدسي (١٠٧) ، وكتاب «بديع المعاني في علم البيان والمعاني» (١٠٨) لعز الدين أبي البركات عبد العزيز بن علي البغدادي المقدسي الحنبلي ، وكتاب «ألفية المعاني والبيان» لبرهان الدين أبي اسحق ابراهيم بن خليل القباقي الحنبلي المقدسي الشافعي . هذا بالإضافة الى شرحي الكتابين الأول والثالث ، فقد شرح الأسدي كتاب

(١٠٢) انظر : كشف الظنون ١/٤٧٥ .

(١٠٣) انظر : نفسه ١/٤٧٨ .

(١٠٤) انظر : نفسه ١/٤٧٥ .

(١٠٥) انظر : نفسه ١/٤٧٥ .

(١٠٦) انظر : كشف الظنون ٢/١٧٠٦ .

(١٠٧) انظر : ذيل كشف الظنون (ايضاح المكنون) ٣/٧٢ .

(١٠٨) انظر : الأنس الجليل ٢/١٨٠ ، كشف الظنون ١/١٥٧ .

المصباح (١٠٩) ، وشرح القباقيبي الألفية (١١٠) ، وغير ذلك من الكتب والشروح .

وفي العروض والقافية ، نجد أن العلماء في العصرين الأيوبي والمملوكي ، عنوا بهما عناية جلية ، وذلك واضح في المصنفات التي صنفتها في هذا المجال ، ومن ذلك ما صنفه ابن الحاجب ، وابن مالك ، وابن القطاع الصقلي (١١١) ، وغيرهم (١١٢) . وكان الأدباء بعامة والشعراء بخاصة يعنون بالموضوع ، كما كان يعنى به غيرهم .

ومن ذلك ما ذكر عن اهتمام ابن واصل الحموي ، شيخ المدرسة الصلاحية في بيت المقدس ، بعروض ابن الحاجب (١١٣) ، فقد شرح ابن واصل ما صنفه ابن الحاجب المذكور .

وكان شيخ الاسلام شمس الدين أبو اللطف محمد بن علي الحصكفي المقدسي الشافعي (١١٤) معتنيا بالعروض والقوافي ، فقد درسهما في حصن

(١٠٩) انظر : كشف الظنون ١/١٧٠٦ .

(١١٠) انظر : الأنس الجليل ٢/١٨٠ ، كشف الظنون ١/١٥٧ .

(١١١) أبو القاسم هبة الله بن الفضل علي بن جعفر السعدي الصقلي المولد ، المصري الدار والوفاة ، المعروف بابن القطاع الصقلي . وهو واحد من أئمة الأدب . ولد سنة ٤٣٣هـ بصقلية ، وطلب العلم فيها ، ثم رحل الى مصر لما أشرف الفرنج على تملك صقلية ، ووصلها في حدود سنة ٥٠٠هـ . وله مصنفات في اللغة والأدب والعروض . وله شعر كثير أيضا . توفي ابن القطاع سنة ٥١٥هـ . (انظر : وفيات الأعيان ٣/٣٢٣ ، بغية الوعاة ٢/١٥٣ - ١٥٤ ، كشف الظنون ٢/١١٣٤) .

(١١٢) انظر : كشف الظنون ٢/١١٣٣ - ١١٣٧ ، مفتاح السعادة ١/٢١٦ - ٢٩١ .

(١١٣) وهو قصيدة لامية سماها ابن الحاجب « المقصد الجليل في علم الخليل » ، وقد عني الأدباء بلامية ابن الحاجب هذه ، وشرحوها شرحا عديدة . (انظر : كشف الظنون ٢/١١٣٤) .

(١١٤) ولد بحصن كيفا سنة ٨٩١هـ ، وطلب العلم فيها ، ثم في حلب وبيت المقدس ، ودرس العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، والعلوم العقلية ، ثم اشتغل الحصكفي

كيفاً (١١٥) ، وأخذهما عن عدد من العلماء في بلده . وكان عارفاً بالموسيقى ، فقد قرأ الأدوار ، ثم برع في ذلك أيضاً . وقدم الحصكفي إلى بيت المقدس بعد سنة ٨٣٨هـ ، وأقام فيها . واشتغل الحصكفي بالتدريس ، فقد ذكر السخاوي أن الحصكفي تصدر للتدريس في المسجد الأقصى ، ودرّس بالصلاحية أيضاً (١١٦) . ونرجح أنه عني بعلوم كثيرة في تدريسه ، ومنها العروض والقوافي .

ومن الجدير بالقول أن من عنوا بالعروض ممن ذكرنا وضعوا مصنفاً فيه ، ومن ذلك ما صنّفه برهان الدين الجعبري ، فقد صنّف كتاباً في العروض سماه «السبيل الأحمد إلى علم الخليل بن أحمد» (١١٧) .

= بالتدريس في بيت المقدس . وله مصنفاً عديدة ، ونظم جيد . توفي الحصكفي في بيت المقدس سنة ٨٥٩هـ . (أنظر : الضوء اللامع ٢٢٠/٨ ، الأنس الجليل ١٨٣/٢ - ١٨٥) .

(١١٥) كانت بلدة وقلعة عظيمة تشرف على دجلة ، بين آمد وجزيرة ابن عمر . (أنظر : معجم البلدان ٢/٢٦٥) .

(١١٦) الضوء اللامع ٢٢٠/٨ ، الأنس الجليل ١٨٤/٢ ، ١٨٥ .

(١١٧) أنظر : كشف الظنون ٢/٩٧٨ .

الفصل الخامس

علم التاريخ في ظل المسجد الأقصى

عني عدد من المؤرخين بتاريخ بيت المقدس بخاصة ، وصنفوا مصنفات عديدة في تاريخه وفضائله ، تمثلت فيها مكانة بيت المقدس في نفوس المسلمين ، كما تمثلت فيها الدعوة الى الجهاد ، فان الحديث عن فضائل بيت المقدس له اتصال وثيق بالجهاد وتحرير الأراضي المحتلة في العالم الاسلامي ، وذلك أمر طبيعي في عصر تعرضت فيه مدينة بيت المقدس ، بل العالم الاسلامي لغزو صليبي . ويحسن بنا قبل أن نتحدث عن التاريخ موضوعا للدرس في المسجد الأقصى ، نرى لزاما علينا أن نشير الى أنه صنفت مصنفات في التاريخ العام ، والطبقات ، ومناقب الرجال ، ومعجمات المشيخات ، والسيرة ، وفضائل البلدان .

ومن اللافت للنظر أننا وجدنا تركيزا على سماع كتب تحدثت عن فضائل بيت المقدس وقراءتها والبحث فيها . لقد صنفت مصنفات عديدة في هذا المجال ، ونذكرها هنا مرتبة ترتيبا تاريخيا ، فنتبين العناية الكبيرة التي لقيتها تلك الكتب ، وسنقتصر على ذكر الكتب التي نص على قراءتها بالأقصى .

صنف الشيخ أبو المعالي المشرف بن المرجى بن ابراهيم المقدسي (١) كتاب فضائل بيت المقدس والشام (٢) ، وقد سمعه منه ، ورواه عنه

(١) توفي في القرن الخامس الهجري ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أن أبا المعالي كان في عصر أبي القاسم مكي بن عبد السلام الرميلي الشافعي . وقد قتل الرميلي سنة ٤٩٢ هـ على اثر الاحتلال الصليبي . وحدد صاحب كشف الظنون وفاة أبي المعالي بسنة ٨٣٨ هـ ، وهو خطأ . (انظر : طبقات الشافعية ٥/٣٣٢ ، الأنس الجليل ١/٢٩٨ ، ٢٩٩ ، تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٦/٧٣ ، ٧٤ ، كشف الظنون ٢/٢١٧٧) .

(٢) وقيل : فضائل البيت المقدس والصخرة وما اتصل بذلك من أخبار وآثار وفضائل الشام ، وقيل : فضائل بيت المقدس والخليل والشام . (انظر : الأنس الجليل ١/٢٩٨ ،

بالأسانيد أبو القاسم مكي الرميللي^(٣) أحد علماء بيت المقدس . وقد صنف أبو المعالي كتابه هذا في القرن الخامس الهجري^(٤) . ومن الواضح أن أبا القاسم المذكور سمع من أبي المعالي ، وأخذ عنه . وذكر أن أبا المعالي شرع في تاريخ بيت المقدس وفضائله ، وجمع فيه أشياء كثيرة^(٥) ، وأن أبا القاسم صنع صنيع شيخه في هذا المجال^(٦) . ومن الواضح أيضا أن الكتاب المذكور سُمع على مؤلفه ، وأخذ عنه .

ومن هذه الكتب التي قرئت على مؤلفها في المسجد الأقصى كتاب «الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى»^(٧) للامام الحافظ شيخ الاسلام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، فقد ذكر السيوطي أن الكتاب المذكور سمع على مؤلفه ، وأن طبقة سمعته منه في

= كشف الظنون ١٢٧٧/٢ ، التاريخ الجغرافيا في العصور الاسلامية - عمر رضا كحالة ١٨٥٠، تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٧٤/٦، بيلوجرافيا مختارة عن بيت المقدس ١٣ ، مجلة المورد - الكشافات التحليلية للسنوات ١٩٧١ - ١٩٧٦ ، ٢٠٥) .

(٣) ولد سنة ٤٢٢هـ ، وهو من أهل بيت المقدس . وسمع فيها على عدد من العلماء ، ورحل الى غيرها طالبا العلم ، فقد ذكر أنه رحل الى مصر ودمشق وصور وطرابلس وبغداد وعمسقلان وغيرها . وحدث أبو القاسم في بيت المقدس . وكان « ثقة متحريرا ورعا ضابط » . وكانت الفتاوي تجيئه من مصر والساحل ودمشق . أسره الفرنج سنة ٤٩٢هـ ، ثم قتلوه . (أنظر : تذكرة الحفاظ ١٢٢٩/٤ ، العبر ٣٣٤/٣ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣٣٢/٥ ، طبقات الاسنوي ٥٨٣/١ ، الأنس الجليل ٢٩٨/١ - ٢٩٩ ، وغيرها) .

(٤) الأنس الجليل ٢٩٨/١ ، ٢٩٩ ، تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٧٣/٦ ، ٧٤ .

(٥) الأنس الجليل ٢٩٨/١ ، ٢٩٩ .

(٦) أنظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣٣٢/٥ ، طبقات الشافعية للاسنوي ٥٨٣/١ ، الأنس الجليل ٢٩٨/١ .

(٧) أنظر : كشف الظنون ٥٧٤/١ ، تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ١٧٤/٦ ، التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية ١٧٨ ، بيلوجرافيا مختارة عن بيت المقدس ١٣ .

التاسع من شهر رمضان سنة ٥٩٦هـ في المسجد الأقصى ، ثم قرأته عليه «طبقة أخرى في السابع من ربيع الأول سنة ٥٩٨هـ» (٨) . ولا يفهم من التاريخ المذكور أن الكتاب قد قرئ في يوم واحد في أغلب الظن ، ولعل التاريخ المذكور هو تاريخ آخر يوم في قراءة الكتاب .

وقرئ الكتاب المذكور على غير مؤلفه أيضا ، فقد ذكر السيوطي أنه قرئ على الشيخ الامام العالم تقي الدين أبي محمد اسماعيل التنوخي ، وسمع عليه العديد من طالبي العلم ، وانتفعوا به ، ومنهم : الشيخ الامام تاج الدين عبد الرحمن بن ضيا الغزالي ، والامام أبو زكريا يحيى النووي ، وغيرهما ، بقراءة الفقيه العالم المحدث شرف الدين أحمد بن ضيا الفزاري (٩) .

ومن هذه الكتب التي قرئت على مؤلفها كتاب «الأنس في فضائل القدس» (١٠) للقاضي الامام العالم أمين الدين أحمد بن محمد بن الحسن ابن هبة الله بن عساكر الشافعي (١١) . وقد ذكر السيوطي أنه عندما قدم الى بيت المقدس في يوم السبت الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ٨٧٤هـ ، نظر في الكتب الموجودة ومنها هذا الكتاب ، ثم ذكر أن الكتاب قرئ على مؤلفه ، ونص السيوطي على قراءة الكتاب في الجامع الأموي سنة ٦٠٣هـ . وقد قرأه عليه الكثير من طالبي العلم ، طبقة بعد طبقة ، كانت آخرها الطبقة التي قرأته عليه سنة ٦٠٣هـ . وقد قرئ

(٨) اتحاف الاخصاص في فضائل المسجد الأقصى - السيوطي ، ورقة ٥ .

(٩) نفسه ، ورقة ٥ .

(١٠) اعتمد فيه على كتاب «الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى» . (انظر : كشف الظنون ١/١٧٨) .

(١١) ولد سنة ٥٤٢هـ ، ونشأ وطلب العلم ، فسمع من عدد من أشهر العلماء من أمثال عميه الحافظ بن عساكر ، والصابان بن عساكر . وتوجه أمين الدين الى مكة . وسمع فيها . وخرج لنفسه مشيخة . وكتب ، وجمع ، وخدم في جهات كبار . توفي سنة ٦١٠هـ . (انظر : شذرات الذهب ٥/١٠ ، الدارس ٢/٣٠٢) .

هذا الكتاب على غير مؤلفه أيضا (١٢) . ونغلب الظن على أن الكتاب قرئ في بيت المقدس .

ومن هذه الكتب كتاب «فضائل القدس» (١٣) للشيخ الامام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (١٤) ، وهو من الكتب التي اطلع عليها السيوطي كما ذكر في كتابه عن فضائل بيت المقدس (١٥) . ومن الجدير بالاشارة أن هذا الكتاب لم يقرأ على مؤلفه ، فلم يذكر عن ابن الجوزي أنه رحل الى بيت المقدس . ولكن الاطلاع عليه وقراءته أمر واضح كما ذكر السيوطي فيما تقدم . ويبدو الاهتمام بهذا المصنف جليا في الحديث عن سبب تصنيفه ، فقد ذكر أن ابن الجوزي صنفه استجابة لبعض المقدسيين حيث يقول : «سألني بعض المقدسيين أن أذكر له فضائل بيت المقدس» (١٦) .

- (١٢) اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى - السيوطي ، ورقة ٤ ، ٥ .
- (١٣) حققه الدكتور جيراثيل جبور سنة ١٩٧٩م . وكان قد ترجمه الى اللغة الانكليزية . (أنظر : بيلوجرافيا مختارة عن بيت المقدس) . توجد منه صورة فوتوغرافية بمركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الاردنية رقم ٣٩٩ .
- (١٤) وهو منسوب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة . (وفرضة النهر ثلمته التي يستقي منها) .
- ولد ببغداد في سنة ٥١٠هـ . ونشأ وطلب العلم فيها ، فقرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقه ، واشتغل بفتون العلم ، وأخذ عن عدد كبير من الشيوخ ، فقد ذكر نيفا وثمانين شيخا في مشيخته . وأصبح ابن الجوزي علامة عصره ، وامام وقته في الحديث ، وصناعة الوعظ . وصنف مصنفات كثيرة ، وقيل : بلغت نحو ثلاثمائة مصنف ، وله اشعار كثيرة . وشهر ابن الجوزي بمجالسه في الوعظ . وتوفي ابن الجوزي في سنة ٥٩٥هـ . (أنظر : الذيل على الروضتين ٢١ - ٢٧ ، وفيات الاعيان ٣/١٤٠ - ١٤٢ ، الاعلام ٨٩/٤ - ٩٠ ، مقدمة الكتاب - تحقيق جبور) .
- (١٥) اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى - السيوطي ، ورقة ٤ .
- (١٦) فضائل القدس : ابن الجوزي ، ورقة ٢ ، المطبوع ٢٣٨ .

ومن هذه الكتب التي لاقت عناية ، واطلع عليها طالبو العلم ، كتاب «مثير الغرام الى زيارة القدس والشام» (١٧) للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن سرور المقدسي الشافعي (١٨) ، ذكر مجير الدين الحنبلي أن المصنف «فرغ منه في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شعبان سنة ٧٥٢هـ بيت المقدس ، وصار رحلة» (١٩) . وذكر السيوطي أن هذا الكتاب كان من الكتب المتداولة في بيت المقدس ، وأنه مما اطلع عليه السيوطي نفسه (٢٠) ، كما اطلع عليه غيره من طالبي العلم أيضا .

ومن هذه الكتب كتاب «الروض المغرس في فضائل بيت المقدس» (٢١) لشيخ الاسلام العالم تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن عمر الحسيني الشافعي الدمشقي (٢٢) ، وهو مما اطلع عليه السيوطي وقرأه ، وأخذ منه في كتابه «اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى» (٢٣) .

(١٧) أنظر : كشف الظنون ١٥٨٩/٢ ، خطط الشام ١٩٨/٦ ، فهرس المخطوطات المصورة -

تاريخ ٢٨٨/٢ ، بيبولوجرافيا مختارة عن بيت المقدس ١٤ .

(١٨) ولد في بيت المقدس سنة ٧١٤هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، وعني بالحديث ، وسمع الكثير

من عدد من المحدثين . واشتغل بالتدريس ، فدرس بالمدرسة التنكزية . توفي بالقدس

سنة ٧٦٥هـ . وصنف عدة مصنفات . (أنظر : الدرر الكامنة ٢٥٧/١ ، ذيل تذكرة

الحفاظ ١٤٥ ، الأنس الجليل ١٥٧/٢١ - ١٥٨ ، الأعلام ٢١٥/١) .

(١٩) الأنس الجليل ١٥٧/٢ .

(٢٠) اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى ، ورقة ٤ .

(٢١) أنظر : كشف الظنون ٩٢٠/١ ، بيبولوجرافيا مختارة عن بيت المقدس ١٥ .

(٢٢) ولد بعد سنة ٨٠٠هـ بدمشق ، ونشأ وتعلم فيها ، فحفظ القرآن ، كما حفظ كتبا

أخرى . ودرس الفقه والفرائض ، وسمع الحديث . وطلب العلم بالقاهرة . واشتغل

بالفضاء والتدريس في دمشق وحلب . كان بارعا في الفقه والفرائض مع مشاركة في

غيرها . توفي سنة ٨٧٥هـ . (أنظر : الضوء اللامع ١٠٦/٥) .

(٢٣) أنظر : اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى ، ورقة ٤ .

ومنها كتاب السيوطي «اتحاف الأخصا» . وكان السيوطي قد دخل بيت المقدس في الثامن والعشرين من رمضان سنة ٨٧٤هـ كما تقدم ، «وفرغ من تأليف الكتاب في يوم الاثنين المبارك الثالث والعشرين من صفر الأغر من شهور سنة ٨٧٥هـ ببيت المقدس الشريف» (٢٤) . وقرا كتاب السيوطي المذكور العديد من طالبي العلم ، والمصنفين في فضائل بيت المقدس ، فقد ذكر أن كمال الدين بن أبي شريف ، ومحبي الدين بن عبد الظاهر ، صنف كل منهما كتابا عنوانه «اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى» ، ومن مراجعتنا للكتب الثلاثة تبين لنا أن الأخيرين نقلتا عن السيوطي في الغالب ، وذلك بعد الاطلاع على كتابه وقراءته (٢٥) .

ومن المرجح أن المصنفات التاريخية التي صنفها المؤرخون في بيت المقدس ، في المجالات الأخرى التي أشرنا إليها ، درّست أو درس جزء منها على الأقل . ومن هؤلاء المؤرخين شهاب الدين أحمد بن محمد المقدسي الشافعي المؤرخ المعروف بابن أبي عذبية ، ومحمد بن عبد الملك الهمداني المقدسي ، وغيرهما ممن سنتحدث عنهم وعن مصنفاتهم تفصيلا عند الحديث عن حركة التأليف في بيت المقدس ، في كتاب خاص .

وتجدر الإشارة هنا الى المعجمات التي جمعها عدد من المصنفين لشييوخهم أو شيوخ أجدادهم ، أو معجمات لأنفسهم ، وقد ترجموا لأساتذتهم في هذه المعجمات .

* * *

ومن الجدير بالقول أن عددا من أشهر المؤرخين المسلمين سمعوا في بيت المقدس ، وأخذوا عن العلماء هناك . ومما يوضح هذا ما ذكر من أن عز الدين بن الأثير رحل الى بيت المقدس ، وسمع فيها من جماعة (٢٦) .

(٢٤) اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى ، ورقة ٤ ، ١٦٠ .

(٢٥) أنظر : الكتب الثلاثة المذكورة .

(٢٦) وفيات الأعيان ٣/٣٤٨ ، وأنظر : تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٧/٧٥ .

ورحل كمال الدين بن العديم (٢٧) الى بيت المقدس ، وسمع فيها أيضا (٢٨) .
وقد ذكر ياقوت أن والد ابن العديم المذكور رحل الى بيت المقدس مرتين ،
وكان ذلك في سنة ٦٠٣هـ وسنة ٦٠٨هـ ، ولقي في المرتين عددا من العلماء
في بيت المقدس ، وأخذ عنهم ، وسمع منهم (٢٩) .

وممن طلب العلم فيها ابن حجر العسقلاني ، فقد ذكر السخاوي أن
شيخه ابن حجر قدم الى بيت المقدس مرات ، وأنه التقى في احداها بشمس
الدين محمد بن علي المنبجي الحنفي (٣٠) ، وقرأ عليه ، كما قرأ على علماء
آخرين من أمثال تقي الدين القلقشندي (٣١) . وممن التقى ابن حجر بهم
أيضا شمس الدين محمد بن محمد المقدسي (٣٢) ، فقرأ عليه «الأربعين
الصوفية» لأبي نعيم بسماعه لها على محمد بن ابراهيم بن عبد الكريم بن
راشد الذهبي ، والحافظ الصلاح العلائي (٣٣) . وأكثر ابن حجر من
الأخذ عن العلماء في بيت المقدس ممن ذكرنا ، وغيرهم (٣٤) .

وطلب العلم فيها شمس الدين السخاوي ، فقد ذكر السخاوي نفسه
أنه سمع في بيت المقدس والخليل ونابلس ، وذكر أنه أخذ عن تقي الدين

(٢٧) ولد سنة ٥٨٨هـ بحلب ، ونشأ وطلب العلم فيها ، ثم طلبه في بغداد ، ودمشق
والقدس ، والحجاز ، والعراق . وقد سار الى القدس مرتين ، مرة في سنة ٦٠٢هـ ،
وأخرى سنة ٦٠٨هـ ، ودرس فيها على شيوخها . واشتغل بالتدريس والقضاء في بلده .
ووزر لكثير من الأمراء . وصنف ابن العديم مصنفات عديدة . وتوفي في سنة ٦٦٠هـ .
(أنظر : معجم الأدباء ٣٨/١٦ - ٥٧ ، تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٧٥/٦ - ٧٨) .

(٢٨) فوات الوفيات ٣/١٢٦ .

(٢٩) معجم الأدباء ٤/١٦ .

(٣٠) أنظر : الضوء اللامع ٩/١٦٦ .

(٣١) أنظر : نفسه .

(٣٢) أنظر : نفسه ٩/٢٤٤ .

(٣٣) نفسه ٩/٢٤٤ .

(٣٤) ذيل الالفاظ ٣٢٧ ، شذرات الذهب ٧/٢٧١ .

أبي بكر القلقشندي في بيت المقدس ، واستمد من كتبه وارشاده ، كما أخذ عن صلاح الدين العلائي ، وجمال الدين بن جماعة وغيرهم ، وحصل على الاجازة (٣٥) .

وذكر السخاوي أنه التقى بمحب الدين محمد بن محمد الحلبي الحنفي ، المعروف بابن الشحنة (٣٦) في بيت المقدس . وكان ابن الشحنة قد قدم الى بيت المقدس في أواخر ذي القعدة من سنة ٨٥٨هـ ، وأقام هناك «على طريقة حسنة من العبادة والتلاوة والاشتغال والاشغال بحيث أخبرني - السخاوي - أنه يختم القرآن كل يوم ، وأنه جوده بحضرة

(٣٥) الضوء اللامع ٨/٨ ، ٩ ، ٨٥ ، ٢٣/١٠ ، البدر الطالع ١٨٤/٢ .

(٣٦) ولد سنة ٨٠٤هـ بحلب ، ونشأ وتعلم فيها ، ثم توجه الى دمشق ومصر مع والده طالبا العلم ، ثم عاد الى حلب ، واستمر في طلب العلم فيها ، فقرأ القرآن ، وحفظ كتباً في أصول الدين ، والحديث ، والفقه والفرائض ، والنحو ، والمنطق ، والمعاني والبيان ، وكان آية في سرعة الحفظ ، وعرض محفوظة على عدد من العلماء . ودرس الفقه وأصوله ، والعربية ، والحديث ، والمنطق ، وغير ذلك . وحصل ابن الشحنة على العديد من الاجازات . واشتغل ابن الشحنة بالتدريس ، فدرس في عدد من المدارس . ثم ولي العديد من الوظائف ، ومنها : قضاء العسكر ببلده ، ثم قضاء الحنفية فيها في سنة ٨٣٦هـ ، وكتابة السر بالقاهرة ، ونظر الجامع الكبير النوري ، والتصدير بالجامع وخطابته . وولي وظائف بمصر .

وذكر السخاوي أن المحب استمر « مقيماً بالقدس الى احدى الجمادين سنة اثنتين وستين ، فأذن له في العود الى المملكة الحلبية » .

وكان ابن الشحنة « فصيح العبارة ، بديع النظم والنثر ، متقدماً في الكشف عن اللغة وسائر فنون الأدب ، محباً في الحديث وأهله » . وكان شديد الإنكار على ابن عربي ومن نحا نحوه ، عظيم العناية في تحصيل الكتب .

حدث ابن الشحنة ، ودرس ، وأفتى ، وناظر ، وصنّف . وله مصنفات عديدة في التاريخ ، والفقه وأصوله ، وعلم الحديث ، والقراءات ، وغير ذلك . توفي سنة ٨٩٠هـ . (أنظر : الضوء اللامع ٩/٢٩٥ - ٣٠٥) .

الشمس بن عمران شيخ القراء بتلك الناحية ، وأنه كان يكتب في كل يوم
كراسة (٣٧) .

ومن طلب العلم فيها برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي كما
سنبين بعد قليل ، وجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي كما
تقدم في الحديث عن علوم العربية . وكان صلاح الدين الصفدي قد طلب
العلم ايضا ، وأخذ عن العلماء في بيت المقدس ، ومن أخذ عنهم مجد
الدين الفيروز ابادي (٣٨) . وطلب العلم فيها ابن خطيب الناصرية (٣٩) ،
وأخذ عن العلماء في بيت المقدس (٤٠) . وغير هؤلاء كثير لا يسمح المجال
باستقراءه وتفصيل القول فيه .



والى جانب ذلك ، فقد حظيت بيت المقدس بعدد من المؤرخين
المشهورين الذين ساهموا في الحركة الفكرية فيها ، فدرسوا ودرّسوا ،
وصنفوا مصنفاً كثيرة . ومن هؤلاء المؤرخين قاضي القضاة شيخ الاسلام
بهاء الدين بن شداد ، صاحب النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية ،
فقد فوض اليه صلاح الدين ادارة المدرسة الصلاحية والنظر في أوقافها .

(٣٧) الضوء اللامع ٢٩٩/٩ .

(٣٨) أنظر : البدر الطالع ٢٨٠/٢ .

(٣٩) وهو علي بن محمد بن سعد . ولد في سنة ٧٧٤هـ بحلب ، ونشأ وتعلم فيها ،
فحفظ القرآن ، وكتب في الفقه والحديث ، والنحو ، والقراءات . وعرض محفوظه
على جماعة من العلماء . وحصل على الاجازات بحلب والقاهرة . وتوجه الى بيت المقدس
سنة ٧٨٥هـ مع والده . وقرأ بحماسة وطرابلس ايضا .

كان ابن خطيب الناصرية اماما علامة محققا متقنا ، اماما في الحديث ، مشاركا في
الاصول ، والمرية ، والتاريخ . واشتغل بالقضاء والخطابة والافتاء والتدريس ،
وغير ذلك . توفي سنة ٨٤٣هـ . (أنظر : الضوء اللامع ٣٠٣/٥ - ٣٠٧) .

(٤٠) البدر الطالع ٤٧٦/١ .

وكان ابن شداد قد اشتغل بالتدريس قبل ذلك ، ودرّس بالنظامية أربع سنوات (٤١) ، ولا شك أنه كان لابن شداد دور جلي في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، في مدارسها وأقصاها .

ومنهم ابن واصل الحموي ، صاحب مفرج الكروب في أخبار بنسي أيوب ، وقد تقدم الحديث عن دوره في المجالس العلمية التي عقدها الملك المعظم عيسى بالصخرة ، ودوره في تولي المدرسة الصلاحية في بيت المقدس سنة ٦٢٥هـ عندما توجه والده الى الحج . وإلى جانب هذا ، فقد قرأ ابن واصل بالحرم الشريف في بيت المقدس العلوم المختلفة سنة ٦٢٤هـ ، وبخاصة العربية والقراءات كما تقدم .

ومنهم جمال الدين القفطي ، وقد تقدم الحديث عنه في علوم اللغة العربية ، وذلك في مجال اهتمامه باللغة . ولكن القفطي معروف بين المؤرخين ، وهو المجال الذي شهر به ، كما ذكرنا فيما تقدم .

تبينا أن القفطي أقام في بيت المقدس سبع عشرة سنة ، من سنة ٥٩١هـ الى سنة ٦٠٨هـ ، وقد شارك في الحركة الفكرية في هذه السنين الطوال . ولا شك أنه عني بالتاريخ عناية خاصة ، واشتغل به . ويدل على ذلك المصنفات التاريخية العديدة التي صنفها في هذه الفترة أو قبلها أو بعدها ، ومنها كتاب في أخبار مصر من ابتدائها الى ملك صلاح الدين اياها ، وكتاب تاريخ المغرب ، وكتاب تاريخ اليمن ، وكتاب الايناس في أخبار آل مرداس وغيرها (٤٢) .

ولم تقتصر مساهمة القفطي في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، على اللغة والتاريخ ، فقد تمثلت في الحرص على الكتب والاهتمام بجمعها أيضا ، فقد ذكر ياقوت أن القفطي كان «جماعة للكتب حريصا عليها جدا، لم أر ، مع اشتغالي على الكتب وبيعي لها ، وتجارتي فيها ، أشد اهتماما منه بها ، ولا أكثر حرصا منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل

(٤١) أنظر : وفیات الأعيان ٨٤/٧ - ٨٨ ، ٩٩ - ١٠٠ ، الأئس الجليل ١٠٢/٢ .

(٤٢) معجم الادباء ١٨٧/١٥ ، فوات الوفیات ١١٨/٣ .

لأحد» (٤٣) . وذكر ابن شاکر الکتبی أنه - القفطي - «جمع من الکتب
ملا یوصف ، وقصد بها من الآفاق ، وكان لا یحب من الدنيا سواها ،
ولم یکن له دار ولا زوجة» (٤٤) ، فكانت الکتب والاشتغال بها شغله
الشاغل .

ومن المؤرخین الذین ساهموا فی الحركة الفکرية فی بیت المقدس برهان
الدين ابراهيم بن عمر البقاعي (٤٥) ، فقد ذکر السخاوي أن البقاعي دخل
بیت المقدس قادما من دمشق ، وتردد الى بیت المقدس أكثر من مرة ، وفيها
درس علی تاج الدين الغرابيلي (٤٦) ، وعماد الدين بن شرف المقدسي ،
وغيرهما .

(٤٣) معجم الأدياء ١٥/١٨٨ ، وأنظر ١/٢٠١ .

(٤٤) فوات الوفيات ٣/١١٨ ، وأنظر : الحوادث الجامعة ٢٣٨ ، شذرات الذهب ٥/٢٣٦ .
(٤٥) ولد حوالي سنة ٨٩٠هـ في أحد أعمال البقاع ، ونشأ فيها ، ثم تحول الى دمشق ، ثم
توجه الى القدس ، فالقاهرة . وطلب العلم فيهما ، فدرس الفقه وأصوله ، والنحو ،
والمعاني والبيان . وغيرها :

كان البقاعي أديبا مؤرخا ، وله مصنفات منها : « عنوان الزمان في تراجم الشيوخ
والأقران » ، و « اشعار الواعي بأشعار البقاعي » ، وغير ذلك . توفي سنة ٨٨٥هـ ،
ورثي نفسه قبل موته . (أنظر : الضوء اللامع ١/١٠١ - ١١١ ، شذرات الذهب
٧/٣٢٩ - ٣٤٢ ، البدر الطالع ١/١٩ - ٢٢ ، نظم العقيان ٢٤ - ٢٥ ،
الأعلام ١/٥٠) .

(٤٦) محمد بن محمد بن علي بن أبي الجود القاهري ثم الكركي المقدسي الشافعي . ولد
سنة ٧٩٦هـ بالقاهرة ، ثم نقله أبوه الى الكرك حين ولي امرتها ، فنشأ هناك ، ثم
تحول به الى القدس حوالي سنة ٨٢٧هـ ، وطلب العلم فيها ، فحفظ القرآن ، وکتبا
في الحديث والفقه والنحو . ولازم بعض العلماء في المعاني والمنطق ، وأخذ عن العديد
من العلماء ، ومهر في الكثير من الفنون . وعني بالحديث ، والتاريخ ، وصنّف مصنفات
حسنة كما یعول السخاوي .

وأضاف السخاوي أن البقاعي المذكور «استفتى علي من عارضه في تدرّيس حديث بالقدس ، وجمع ذلك في جزء سماه «معتدى المقادسة» ، وأفتوه بتفسيق الناظر والمعارض (٤٨) . ومن الواضح أنه شارك في الحركة الفكرية في بيت المقدس دارسا ومدرسا .

وقد تقدم القول في أن ابن حجر العسقلاني، وشمس الدين السخاوي، طلبا العلم في بيت المقدس ، ولا شك أنه كانت لهما مساهمة في الحركة الفكرية خلال اقامتهما في بيت المقدس .

= وتوجه تاج الدين الى دمشق ثم الى القاهرة ، ولزم ابن حجر العسقلاني فترة من الزمن . وأشاد به ابن حجر في علمه وخلقه ، ووصفه بأنه من « الكملة فصاحة لسان ، وجرأة ، ومعرفة بالأمور ، وقياماً مع اصحابه ، ومروءة ، وتوددا ، وشرف نفس ، وقناعة » ، وأنه امتنع عن الوظائف الجليلة . وكان لا يجتمع بالأكابر الا اذا كانوا من أهل العلم . توفي سنة ٨٣٥هـ . (انظر : الضوء اللامع ٩/٣٠٥ - ٣٠٧) .

(٤٧) الضوء اللامع ١/١٠٢ .

(٤٨) نفسه ١/١١٠ .

الفصل السادس

العلوم العقلية في ظل المسجد الأقصى

العلوم الرياضية :

كانت العلوم الرياضية من حساب وجبر وغيرهما علوما تدرس في بيت المقدس ، وكان طلاب هذه العلوم لا يكتفون بالتحصيل الذي كانوا يحرزون في بيت المقدس ، فكانوا يرحلون الى البلدان الأخرى ، وبخاصة مصر ، ثم يعودون الى بيت المقدس ، فيدرسون في هذا المضمار وغيره . وكان العديد من طالبي العلم أيضا يفدون الى بيت المقدس للأخذ عن شيخ الرياضيين شهاب الدين بن الهائم ، والأخذ عن غيره كذلك . ومما عمل على تشجيع دراسة هذه العلوم في بيت المقدس حاجة الفقهاء الى علمي الحساب والجبر في الفرائض وغيرها ، ولهذا وجدنا عددا منهم يصنفون في الحساب والجبر . هذا بالإضافة الى حاجة المؤقتين بالمسجد الأقصى وغيره الى هذه العلوم كما نتبينه في الحديث عن علم الميقات ، فالصلة كبيرة بين علم الميقات وعلم الحساب بخاصة ، وذلك لمعرفة أزمنة الأيام والليالي ، وكيفية التوصل اليها ، وغير ذلك . ويضاف الى هذا كله الحاجة العملية الكبيرة للعلوم الرياضية ، وخاصة الحساب والجبر .

ان المتتبع لدراسة هذه العلوم في بيت المقدس ، يجد أن عددا من العلماء قد أولوا هذه العلوم عنايتهم ، وعلى رأسهم شهاب الدين أحمد بن محمد المصري ثم المقدسي الشافعي ، المعروف بابن الهائم . وكان ابن الهائم قد قدم الى بيت المقدس سنة ٧٩٨هـ ، واشتغل بالتدريس فيها ، ودرّس في المدرسة الصلاحية وغيرها . وذكر ابن حجر العسقلاني أن ابن الهائم تقدم في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، و «فاق الأقران في ذلك ، ورحل اليه الناس من الآفاق»^(١) و «انتهت اليه الرياسة في الحساب والفرائض» كما يقول السخاوي وغيره . وصنف ابن الهائم مصنفات

(١) انباء الغمر ٢/٥٢٥ ، الضوء اللامع ٢/١٥٧ ، البدر الطالع ١/١١٧ .

عديدة في الحساب والجبر والمقابلة^(٢) . وفي بيت المقدس ، أخذ عنه الناس ، وانتفعوا به ، و «تخرج كثير من الفضلاء ، ورحلوا اليه من الآفاق ، وأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى»^(٣) .

وممن درسوا عليه ، عماد الدين اسماعيل بن ابراهيم ، المعروف بابن شرف المقدسي ، ولازم ابن شرف شيخه ابن الهائم «حتى قرأ عليه غالب تصانيفه ، وانتفع به جدا حتى صار اماما في الحساب مطلقا بأنواعه . وفي علوم الوقت على اختلاف أوضاعه»^(٤) . وحصل ابن شرف على الاجازة من ابن الهائم ، فقد ذكر السخاوي أنه رأى ابن الهائم «كتب اجازة حافلة» لابن شرف المذكور^(٥) .

ثم أقرأ ابن شرف الحساب في بيت المقدس وغيرها ، فقد ذكر أنه أصبح ركنا من أركان العلم في بيت المقدس ، وتصدر لنشر العلم ، فأخذ عنه العديد من طالبي العلم من أمثال ابن حسان ، شمس الدين محمد الموصللي المقدسي ، وكمال الدين بن أبي شريف ، وغيرهما^(٦) . ومن الجدير بالقول أن ابن شرف كان من المتصدرين للتدريس بالمسجد الأقصى كما تقدم ، ومن المدرسين بالصلاحية وغيرها . وصنف ابن شرف مصنفات في الحساب ، وعني بمصنفات شيخه ابن الهائم عناية خاصة فشرحها . واستمر ابن شرف يدرّس في هذا المضمار ، في بيت المقدس^(٧) . وممن أخذ عنه الى جانب من ذكرناهم ، ابن حجر العسقلاني ، فقد ذكر أنه اجتمع بابن شرف ، وأخذ عنه ، وسمع من قوائده^(٨) .

(٢) الضوء اللامع ١٥٧/٢ - ١٥٨ ، البدر الطالع ١١٧/١ - ١١٨ .

(٣) الضوء اللامع ١٥٧/٢ ، البدر الطالع ١١٧/١ ، ١١٨ .

(٤) الضوء اللامع ١٥٨/٢ .

(٥) نفسه ١٥٨/٢ .

(٦) الضوء اللامع ٢٨٥/٢ ، نظم العقيان ٩٢ .

(٧) الضوء اللامع ٢٨٤/٢ ، ٢٨٥ ، نظم العقيان ٩٢ .

(٨) انباء النثر ٥٢٥/٢ ، الضوء اللامع ١٥٨/٢ .

وممن قرأوا على ابن الهائم أيضا ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن أرسلان الرملي المقدسي ، فقد درس عليه الفرائض والحساب ، وكان ابن أرسلان ممن اشتغلوا بالتدريس ، وأقرأ بالزاوية الختنية ، بالمسجد الأقصى ، وكان تلامذته كثيرون كما يقول السخاوي (٩) .

ومنهم جمال الدين يوسف بن منصور بن أحمد المقدسي المعروف بابن التائب (١٠) ، وشهاب الدين أحمد بن محمود بن سليمان المقدسي ثم الدمشقي (١١) . فقد أخذ أولهما عن ابن الهائم ولازمه (١٢) ، وأخذ ثانيهما عن ابن الهائم وتلميذه ابن شرف المقدسي (١٣) .

ومن العلماء المقادسة الآخرين الذين اشتغلوا بالعلوم الرياضية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد الصفدي (١٤) ، فقد كان عارفاً بالفرائض والحساب ، وكان يشتغل بالتدريس بالمدرسة الصلاحية وغيرها (١٥) .

(٩) الضوء اللامع ٢٨٢/١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، الأنس الجليل ١٧٤/٢ .

(١٠) ولد في بيت المقدس سنة ٧٨٢هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، فأخذ عن ابن الهائم ولازمه ، ودرس العربية ، وسمع الحديث على عدد من العلماء هناك . وذكر أنه كان من المتممين لابن عربي . توفي ابن التائب في بيت المقدس سنة ٨٦٥هـ . (انظر : الضوء اللامع ٢٣٥/١) .

(١١) ولد في بيت المقدس سنة ٧٩١هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، ثم توجه الى دمشق . وكان يشتغل بكتابة المصاحف ، ويقرىء القراءات . توفي شهاب الدين سنة ٨٦٥ في دمشق . (انظر : الضوء اللامع ٢٢٤/١) .

(١٢) الضوء اللامع ٣٣٥/١٠ .

(١٣) نفسه ٢٢٤/١ .

(١٤) كان مفتي الشافعية . واشتغل بالتدريس ، فدرس بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس . توفي سنة ٨١٢هـ . (الأنس الجليل ١٦٧/٢) .

(١٥) الأنس الجليل ١٦٧/٢ .

ومنهم الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن الحواري الخليلي المقدسي الشافعي (١٦) ، وكان قد قدم الى بيت المقدس سنة ٧٧٠هـ ، وقطن هناك ، واستمر في طلب العلم في بيت المقدس وغيرهما ، ثم اشتغل بالتدريس ، ودرّس الفرائض والحساب ، فقد كان عالماً بهما ، بل كان أمة فيها كما يقول السخاوي . وصنف علاء الدين كتاباً فيهما (١٧) .

ولما قدم الشيخ زين الدين أبو الجود ماهر بن عبد الله الأنصاري المصري ثم المقدسي ، الى بيت المقدس سنة ٨٠٢هـ ، درس الحساب والفرائض وغيرهما على ابن الهائم ، ولازمه طويلاً ، وأخذ عنه كثيراً ، ثم تصدر للاقراء بالمسجد الأقصى (١٨) .

وكان القاضي زين الدين محمود بن حسن بن الدويك الحنفي (١٩) ذا «يد طولى في علم الفرائض والحساب» ، ويبدو أن طبيعة عمله جعلته يدرس الفرائض والحساب ويتقنهما ، ويصبح ذا باع فيهما ، فقد كان «من أعيان المباشرين على أوقاف المسجد الأقصى» ، وقيل : «انه كان أحد رؤوس مباشري حرم القدس» (٢٠) .

ومن علماء بيت المقدس من درّس الفرائض والحساب في الشام والقاهرة وغيرهما ، من أمثال شيخ الاسلام أبي العباس المقدسي ، وشيخ الاسلام برهان الدين بن أبي شريف المقدسي ، فقد درس أولهما الفرائض

(١٦) ولد بالخليل سنة ٧٥٤هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، ثم توجه الى بيت المقدس ، واستمر في طلب العلم ، واشتغل بالتدريس في بيت المقدس ، فدرس بالصلاحية ، والبدرية ، والنوّلوية ، ودار الحديث . توفي سنة ٨٣٣هـ . (انظر : الضوء اللامع ٥/٢٦١) .

(١٧) الضوء اللامع ٥/٢٦١ .

(١٨) الضوء اللامع ٦/٢٣٦ ، الأنس الجليل ٢/١٨٨ ، نظم العقيان ١٣٥ .

(١٩) توفي سنة ٨٩١هـ في بيت المقدس ، وجاوز الستين من العمر . (الضوء اللامع

١٠/١٩٤ - ١٥٠ ، الأنس الجليل ٢/٢٣٧) .

(٢٠) الضوء اللامع ١٠/١٤٩ ، الأنس الجليل ٢/٢٣٧ .

والحساب وغيرها بالشام والقاهرة ومكة عند توجيهه اليها(٢١) ، ودرس ثانيهما الفرائض والحساب بالقاهرة(٢٢) ، ثم عاد الى بيت المقدس ، ودرّس كلاهما فيه بالمدرسة الصلاحية(٢٣) ، وتصدر أبو العباس المقدسي بالمسجد الأقصى أيضا ، وأخذ عنه الطلبة(٢٤) . ومن المرجح أن أبا العباس كان معنيا بالجبر أيضا ، فقد ذكر أنه درس الجبر على بعض العلماء ، وأخذ «الياسمينة»(٢٥) في الجبر والمقابلة(٢٦) . ولعله درّسها بعد ذلك ، خلال اشتغاله بالتدريس ، وتصدره بالمسجد الأقصى .

وكان القاضي شهاب الدين أحمد بن الغزي(٢٧) ممن درسوا الحساب، وأصبح ذا معرفة تامة به . وذكر مجير الدين الحنبلي أن القاضي المذكور كان من المباشرين بالمسجد الأقصى(٢٨) .



وشارك العلماء الوافدون الى بيت المقدس في الاشتغال بالعلوم الرياضية ، وقد تقدم القول في أن الشيخ زين الدين أبا الجود ماهر المصري ثم المقدسي ، درس على ابن الهائم ثم تصدر بالأقصى .

(٢١) الضوء اللامع ١/٣٦٣ ، الأنس الجليل ٢/١٤١ .

(٢٢) الضوء اللامع ١/١٣٤ .

(٢٣) الضوء اللامع ١/٣٦٤ ، الأنس الجليل ٢/١٤١ ، ٢١٦ .

(٢٤) الضوء اللامع ١/٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٢٥) أرجوزة في الجبر والمقابلة لأبي محمد عبدالله بن حجاج المعروف بابن الياسمين .

(المتوفي سنة ٦٠٠ هـ) ، ولها شروح عديدة ، ومنها شرح لابن الهائم . (أنظر :

الضوء اللامع ٢/١٥٧ ، كشف الظنون ١/٦٢ - ٦٣ ، مفتاح السعادة ١/٣٩٢) .

(٢٦) الضوء اللامع ١/٣٤٦ .

(٢٧) توفي سنة ٨٩٣ هـ في بيت المقدس ، ودفن فيها . (الأنس الجليل ٢/٣٤٥) .

(٢٨) الأنس الجليل ٢/٣٤٥ .

ومن العلماء الوافدين الذين شاركوا في هذا المجال ، الشيخ الامام شمس الدين عبد الواحد بن جبارة المغربي المالكي (٢٩) ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أنه كان ذا معرفة جيدة بالفرائض والحساب ، وأنه تصدر بالمسجد الأقصى ، وكان اماما فيه (٣٠) . ومن المرجح أنه درّس الفرائض والحساب هناك .

ومنهم شيخ الاسلام شمس الدين أبو اللفظ محمد بن علي الحصكفي ، وكان قد درس الهندسة والحساب ببلده حصن كيفا ، ثم قدم الى بيت المقدس ، ودرس هناك . وتوجه ، بعد فترة ، الى القاهرة فدرس الهندسة والحساب وغيرهما ، ثم عاد الى بيت المقدس ، واشتغل بالتدريس متصدرا بالمسجد الأقصى ، ومعيدا بالمدرسة الصلاحية اعادة كبرى ، كما يذكر السخاوي (٣١) .

ومن المرجح أن المصنفات التي صنفها ابن الهائم وغيره كانت موضوعا للدرس ، ومنها : «المعونة في الحساب» (٣٢) ، و «اللمع في الحساب» (٣٣) ، و «المقنع في الجبر والمقابلة» (٣٤) ، وغيرها . وشرح ابن شرف المقدسي مصنفات شيخه ابن الهائم كما تقدم . ومنها كتاب «مرشدة الطالب الى أسنى المطالب» (٣٥) في الحساب ، وغير ذلك . ولعل اشتغال طالبي العلم بهذه الكتب وغيرها واضح من أسمائها . ويؤيد ذلك أيضا مصنف في

(٢٩) قدم ابن جبارة الى بيت المقدس ، وكان مقرنا يقرأ بالقراءات السبع . وكان ابن جبارة ذا معرفة جيدة بالفرائض والحساب ، وكان أديبا شاعرا . توفي سنة ٨٢٦ هـ .
(انظر : الأنس الجليل ٢/٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(٣٠) الأنس الجليل ٢/٢٤٦ .

(٣١) الضوء اللامع ٨/٢٢٠ ، الأنس الجليل ٢/١٨٤ ، ١٨٥ .

(٣٢) أنظر : الضوء اللامع ٢/١٥٧ ، كشف الظنون ٢/١٧٤٣ .

(٣٣) أنظر : كشف الظنون ٢/١٥٦٢ .

(٣٤) أنظر : الضوء اللامع ٢/١٥٧ ، كشف الظنون ٢/١٨٩٠ .

(٣٥) أنظر : كشف الظنون ٢/١٦٥٥ ، ١٩٢٤ .

الحساب لبرهان الدين أبي اسحق ابراهيم بن محمد القباقي الحلبي
ثم المقدسي الشافعي^(٦) ، وهو «عمدة الطلاب في علم الحساب»^(٣٧) .
وسنفضل القول في هذه المصنفات عند الحديث عن حركة التأليف في
كتاب خاص .

المِيقَات :

أولى عدد من العلماء علم الميقات عناية كبيرة ، وتخصص فيه عدد
منهم ، وكان موضوعا من موضوعات الدراسة . ويعد هذا العلم علما
«يتعرف منه أزمنا الأيام والليالي وأحوالها ، وكيفية التوصل اليها .
ومنفعته : معرفة أوقات العبادات ، ونواحي جهتها ، والطوالع والمطالع من
اجراء البروج ، والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر ، ومقادير
الأظلال والارتفاعات وانحراف البلدان وسموتها»^(٣٨) . وجعل بعضهم
معرفة علم مواقيت الصلاة فرضا من فروض الكفايات^(٣٩) .

ويبدو الاهتمام بعلم الميقات جليا في الحديث عن مؤقتي المسجد
الأقصى ، وممن باشروا التوقيت بالأقصى : شمس الدين محمد بن محمد

(٣٦) وهو ابراهيم بن محمد بن خليل بن أبي بكر بن محمد ، ويعرف بابن القباقي .
عني به والده ، المقرئ المشهور في بيت المقدس ، فأخذ عن عدد من أشهر العلماء من
أمثال زين الدين ماهر ، وعلم الدين البلقيني ، وغيرهما . ودرس الفقه ، والقراءات ،
والأصول ، وغيرها . وأصبح من أعيان العلماء في بيت المقدس . ولما توفي والده، خلفه
في القراءات والتدريس ، فقد ولي القراءة بمصحف الملك الظاهر جقمق بالصخرة ،
وولي التدريس بالمدرسة الجوهرية في بيت المقدس . وتصدر للافتاء والتدريس .
وصنف مصنفات عديدة في العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية . وله شعر في
الحنين الى القدس . (أنظر : الضوء اللامع ١/١٣٥ ، ١٣٦ ، الأنس الجليل ٢/١٨) .

(٣٧) أنظر : كشف الظنون ١/١٢٢ ، هدية العارفين ٥/٢٤ .

(٣٨) مفتاح السعادة ١/٣٨٢ .

(٣٩) نفسه ١/٣٨٨ .

المقدسي (٤٠) ، وكان شمس الدين من العلماء في بيت المقدس ، فقد كان معتنيا بالحديث ، وسمعه ، ثم حدث ، وسمع منه العديد من طالبي العلم . ومنح شمس الدين الاجازات ، وممن أجازهم أبو الفتح المراغي ، وكان ذلك سنة ٧٥٨هـ (٤١) .

وممن أتقنوا هذا العلم وتفوقوا فيه ، الشيخ شمس الدين محمد بن أبي عبد الله محمد بن سليمان الشهير بابن البرهان الأخيلي ثم المقدسي الشافعي (٤٢) ، فقد ذكر السخاوي أن ابن البرهان «أتقن الميقات» . وكان ابن البرهان قد درس الفقه والنحو والفرائض والحساب والقراءات على العلماء في بيت المقدس من أمثال شهاب الدين بن الهائم وغيره . وسمع الحديث من عدد منهم من أمثال أبي الخير العلاني ، ونجم الدين بن جماعة وغيرهما (٤٣) .

ومن هذا يتبين لنا أن المؤقت كان واسع الثقافة متنوعا ، فقد كان ابن البرهان «فقيها فرضيا نحويا» (٤٤) ، وكان شمس الدين المقدسي المتقدم ذكره ، محدثا ومؤقتا .

ويبدو هذا التنوع الثقافي جليا فيما قيل عن عماد الدين اسماعيل ابن ابراهيم المقدسي الشافعي ، المعروف بابن شرف المقدسي ، فقد كان اماما في الحساب ، عالما بعلوم الوقت والفرائض والفقه ، «مبرزاً في النحو

(٤٠) أنظر : الأنس الجليل ١٥٧/٢ .

(٤١) نفسه ١٥٧/٢ .

(٤٢) ولد سنة ٧٧٦هـ ، ونشأ وتعلم في بيت المقدس ، ثم اشتغل خطيبا بالأقصى ، ومعيدا بالصلاحية . ولم يتزوج قط . توفي سنة ٨٥٢هـ . (أنظر : الضوء اللامع ٣٧/١٠ ،

الأنس الجليل ١٨٢/٢ - ١٨٣ .

(٤٣) الضوء اللامع ٣٧/١٠ ، الأنس الجليل ١٨٢/٢ - ١٨٣ .

(٤٤) الأنس الجليل ١٨٢/٢ .

وغيره من علوم الأدب ، متقدما في الأصول ، وكان واسع الاطلاع في المعقول والمنقول، (٤٥) .

ولم نذكر هذا الا لنتبين أن مباشرة علم الميقات يرافقها معرفة بالعديد من العلوم ، ولنتبين أن من باشروا التوقيت كانوا من العلماء الأجلاء في بيت المقدس .

لقد بوشر تدريس علم الميقات، ويبدو هذا جليا في الحديث عن مؤقتي المسجد الأقصى ، ومنهم : شمس الدين محمد بن الفقاعي (٤٦) ، وقد كان ذا «معرفة تامة بعلم التأقيت ، وباشره مدة طويلة» (٤٧) ، كما باشر تدريسه ، وممن درسه عليه الشيخ زين الدين عبد الكريم بن علي ابن عبد الرحمن المغربي الخليلي المقدسي الشافعي (٤٨) ، وأتقن زين الدين علم التوقيت ، و «مهر في أوضاعه» ، ثم عمل مؤقتا بالقدس مدة . وكان زين الدين مقرئا الى جانب ذلك ، فقد درس القراءات على والده في الخليل ، ثم درسها على الشيخ شمس الدين بن عمران في بيت المقدس، وتلا قراءة القرآن بالقراءات السبع (٤٩) .

ومن مؤقتي المسجد الأقصى ، الشيخ شمس الدين محمد التميمي ، وقد ذكر أنه كان مؤقتا بالمسجد الأقصى مدة أربعين سنة (٥٠) .

ومن الجدير بالاشارة ، أن المؤقت لم يكن يقتصر على الاشتغال بالتوقيت غالبا ، فابن البرهان عمل خطيبا بالأقصى ، ومعيدا بالمدرسة

(٤٥) الضوء اللامع ٢/٢٨٥ .

(٤٦) توفي سنة ٨٩٨هـ (انظر : الأنس الجليل ٢/٢١٠) .

(٤٧) الأنس الجليل ٢/٢١٠ .

(٤٨) ولد بالخليل سنة ٨٣٠هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، ثم طلب العلم في بيت المقدس . واشتغل فيه بالتأقيت والخطابة والتدريس . توفي سنة ٨٩٥هـ بالقدس (الأنس

الجليل ٢/٢١٠) .

(٤٩) الأنس الجليل ٢/٢١٠ .

(٥٠) نفسه ٢/٢٨٦ .

الصلاحية^(٥١) ، الى جانب اشتغاله بالتوقيت • وعمل زين الدين المقدسي المذكور خطيبا بالأقصى ، وكان فقيها من فقهاء المدرسة الصلاحية ، وصوفيا من صوفية الخانقاه الصلاحية^(٥٢) •

وبعد هذا نتساءل عن الصلة بين علم الميقات وغيره من العلوم ، فنتبين أن له صلة كبيرة بالحساب • وقد تبينا فيما تقدم ، كيف أن مؤقتي الأقصى كانوا يلمون بعلم الحساب وغيره من العلوم • وكان علم الحساب ذا صلة مباشرة بعلم الميقات ، وتتمثل تلك الصلة في حاجة المختصين بعلم الميقات لعلم الحساب ، لمعرفة أزمنة الأيام والليالي ، وكيفية التوصل اليها ، ومعرفة أوقات العبادات ، وغير ذلك مما تقدم •

ومما تجدر الإشارة اليه في هذا المجال أن الساعات الرملية كانت مستخدمة آنذاك ، فقد ذكر أن الشيخ عبد الواحد بن جبارة المغربي المالكي ، امام المالكية بالأقصى ، «بعث الى بلد الخليل يطلب من ابن نصف الدنيا^(٥٣) ساعات رملية^(٥٤) ، فأبطأ عليه ، فكتب اليه ابن جبارة :

إذا كانت الدنيا جميعا بأسرها غدت ساعة لا شك فيها ولا مرا
فمن يطلب الساعات من نصفها يكن جهولا وفي هذا الفعال قد افتري^(٥٥)

(٥١) الأنس الجليل ١٨٢/٢ ، ١٨٣ •

(٥٢) نفسه ٢١٠/٢ •

(٥٣) لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي وقفنا عليها •

(٥٤) ذكر ابن فضل الله العمري أنه كانت توجد مزولة للقبة التي أقامها الملك المعظم عيسى ،

وهي عبارة عن « صفة عليها رخامة منقوشة ٠٠٠ ، مزولة لاجرا ساعات النهار ،

طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلاثان ، وعرضها ذراع وثلاث ، وارتفاعها ذراع ونصف » •

والمزولة «آلة يعرف بها زوال الشمس أي وقت الظهر من الظل، وهي المعروفة بالساعة

الشمسية » • وذكر عارف العارف أن في الحرم القدسي مزولتين لمعرفة الوقت ، ولكنهما

أقيمتا في القرن الرابع عشر الهجري (أنظر : بلدانية فلسطين العربية ٢٦٩ ، تاريخ

الحرم القدسي ٧٤ ، ٧٥ ، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ١٤٦) •

(٥٥) الأنس الجليل ٢٦٤/٢ •

وأشار بعضهم في هذا المجال الى علم يسمى علم الآلات الظلمية ،
«وهو علم يتعرف منه مقادير ظلال المقاييس وأحوالها الأخر ، والخطوط
التي ترسم في أطرافها ، ومعرفة أحوال الظلال المستوية والمنكوشة .
ومنفعته : معرفة ساعات النهار بهذه الآلات ، كالبسائط والقائمات
والمائلات من الرخامات ونحوها» (٥٦) .

ويحتمل استخدام الاسطرلاب ، وأقول محتملا لأن المسلمين كانوا
يستعملونه ، غير أنني لم أعثر على نص صريح يثبت استخدامهم اياه في
بيت المقدس .

ومما له صلة بعلم الوقت ، الحديث عن المؤذنين بالمسجد الأقصى ،
وبخاصة اذا ما علمنا أن المؤذن كان يعرف الميقات ، وقد يعرف الموسيقى،
فقد ذكر مثلا أن رئيس المؤذنين بالجامع الأموي كان يعرف الميقات
والموسيقى (٥٧) .

كان في المسجد الأقصى ، عدد من المؤذنين ، وكان لهم رئيس ، فقد
ذكر أن الرئيس علم الدين سليمان الصفدي (٥٨) كان رئيسا للمؤذنين
بالمسجد الأقصى . وكان علم الدين المذكور قد «حفظ القرآن وتلاه
بالقراءات على الشيخ محمد بن الخليلي» ، وسمع الحديث من أبي الخير
العلائي ، ثم حدث علم الدين في بيت المقدس ، وسمع عليه السخاوي
عندما لقيه فيه (٥٩) . ومن هذا يتبين لنا أن المؤذن كان ذا مستوى علمي
جيد ، كما يتبين أنه كان يحدث أو يدرّس بالأقصى وغيره . وممن الممكن
أن تتبين الصلة بين مباشرة الأذان ، ودراسة علم القراءات ، وخاصة أن

(٥٦) مفتاح السعادة ٣٨٢/١ .

(٥٧) انظر : الكواكب السائرة ١٢/٣ .

(٥٨) ولد سنة ٧٨٥ هـ تقريبا في بيت المقدس . ومات حوالي الستين من العمر (انظر :

الضوء اللامع ٢٦٧/٣) .

(٥٩) الضوء اللامع ٢٦٧/٣ .

كليهما يعنى بالصوت عناية كبيرة ، ومن المعروف أن علم القراءات يركز على التجويد وغيره . وازاء ذلك ، فهل نستطيع أن نشير الى الصلة بين هذا كله ، وبين معرفة الموسيقى كما تقدم .

ومما يؤكد هذا المستوى العلمي للمؤذنين بالأقصى آنذاك ، ما ذكر عن شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن خطاب المقدسي ، فقد كان مؤذنا بالأقصى ، وكان ذا مستوى علمي جيد ، ويدل على ذلك أن ابن حجر العسقلاني عندما لقي شمس الدين المذكور في بيت المقدس ، قرأ عليه كتاب «الأربعين الصوفية» لأبي نعيم (٦٠) ، وكان شمس الدين المؤذن قد سمعه على محمد بن ابراهيم بن عبد الكريم بن راشد الذهبي ، والحافظ صلاح الدين العلائي ، كما تقدم (٦١) .

ولما توفي علم الدين الصفدي ، أصبح شهاب الدين أحمد بن محمد الخليلي (٦٢) رئيسا للمؤذنين بالمسجد الأقصى (٦٣) .

وممن عمل مؤذنا بالمسجد الأقصى برهان الدين ابراهيم بن خضر بن عبد الله المقدسي ثم الدمشقي (٦٤) ، فقد كان مؤذنا في بيت المقدس ، ثم رحل الى دمشق طالبا العلم، فأخذ عن عدد من علمائها ، ثم ولي الخطابة في أحد جوامعها (٦٥) .

وكان عدد من المؤذنين يشغل بالتدريس في المسجد الأقصى وغيره ، الى جانب الاشتغال بالأذان ، ومنهم شهاب الدين أحمد بن محمد المغربي

(٦٠) أنظر : كشف الظنون ٥٤/١ .

(٦١) الضوء اللامع ٢٤٤/٩ .

(٦٢) كان حسن الصوت في الأذان والمديح . وكان يحترف الشهادة رفيقا للقاضي عماد الدين التركستاني . وله مروءة تامة . توفي في بيت المقدس سنة ٨٧٤هـ . (أنظر : الأانس

الجليل ١٩٢/٢) .

(٦٣) الأانس الجليل ١٩٢/٢ .

(٦٤) توفي سنة ٧٨٥هـ (أنظر : انباء الغمر ٢٨٠/١) .

(٦٥) انباء الغمر ٢٨٠/١ .

الأصل المالكي (٦٦) ، فقد كان يشتغل بالأذان ، ويدرس بالمسجد الأقصى كما يذكر مجير الدين الحنبلي (٦٧) .

وكان الفقيه شمس الدين محمد بن غضية الحنفي (٦٨) مؤذنا بالمسجد الأقصى ، كما كان يعمل مؤذنا للأطفال بالمدرسة الجوهرية (٦٩) .
وكان ابنه شمس الدين محمد بن محمد بن غضية (٧٠) مقرئا ومؤذنا .
واشتغل بالعلم بالمدرسة الصلاحية وغيرها . وذكر مجير الدين الحنبلي أن شمس الدين قد عيّن لقراءة « المراسم الشريفة الواردة من السلطان ، على دكة المسجد الأقصى (٧١) » .

ومن هذا يتبين لنا أن المؤذنين كان لهم دور في الحركة الفكرية في بيت المقدس .

العلوم العقلية النظرية :

لم تنل العلوم العقلية عناية مثل تلك العناية التي نالتها العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، سواء آكان ذلك في مجال التدريس أم التأليف أم العلماء الذين عنوا بها .

ان العلوم العقلية التي سنتحدث عنها في هذا الصدد ، هي : المنطق ، وعلم الكلام ، والفلسفة .

(٦٦) كان من العدول بالقدس ، وفيها طلب العلم . وتوجه الى مكة سنة ٨٧٤هـ ، وجاوز

فيها سنة ٨٧٥هـ . وتوفي بمضى سنة ٨٧٥هـ (الأوسر الجليل ٢/٢٥٠) .

(٦٧) الأوسر الجليل ٢/٢٥٠ .

(٦٨) توفي سنة ٨٨٠هـ . (أنظر : الأوسر الجليل ٢/٢٣٣) .

(٦٩) الأوسر الجليل ٢/٢٣٣ .

(٧٠) كان حسن الصوت في القراءة والأذان . توفي سنة ٨٧٥هـ في حياة والده . (أنظر :

الأوسر الجليل ٢/١٩٤) .

(٧١) الأوسر الجليل ٢/١٩٤ .

عني عدد من العلماء ، في بيت المقدس ، بالمنطق ، لصلته بالثقافة الدينية ، وكونه من المستلزمات الثقافية للعلماء ، وفي حاجتهم اليه في دراساتهم ، فقد كان المنطق يساعد في تمييز الخطأ من الصواب ، كما يقول ابن خلدون (٧٢) . وجعله بعض العلماء «من فروض العين لكونه موقوفا عليه معرفة الواجب (لله) تعالى» (٧٣) . ومما يدل على ضرورة المنطق وأهميته ، ربطه بالنحو في أهمية كل منهما ، فالنحو يصحح اللسان ، والمنطق يصحح العقول ، كما يبدو في قول أحدهم :

ان رمت ادراك العلوم بسرعة فعليك بالنحو القويم ومنطق
هذا لميزان العقول مرجح والنحو اصلاح اللسان بمنطق (٧٤)

كان المنطق موضوعا من موضوعات الدراسة في بيت المقدس ، ويوضح ذلك أن عددا من العلماء الذين تصدروا للتدريس بالمسجد الأقصى ، عزا بالمنطق فدرسوه ودرّسوه ، ومن أولئك العلماء شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن عبد الله الكناني المجدلي المقدسي المعروف بأبي العباس المقدسي ، فقد درس ببلده موضوعات عديدة في العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، والعلوم الرياضية ، ودرس المنطق ، وحفظ كتباً فيه ، ومن ذلك كتاب «الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق» للقاضي أفضل الدين محمد بن نامور بن عبد الملك الخونجي الشافعي (٧٥) ، وهو كتاب صنّفه لجمع من كبار العلماء ، وذكر أن الكتاب

(٧٢) مقدمة ابن خلدون ٤٧٨ .

(٧٣) مفتاح السعادة ٢٨٨/١ .

(٧٤) نفسه ٢٨٨/١ .

(٧٥) ولد سنة ٥٩٠ هـ . برع في علوم الأوائل حتى صار أوحد وقته فيها . له مصنّفات أخرى في المنطق ، ومنها : كشف الأسرار ، والموجز في المنطق ، وغيرها (أنظر : مفتاح السعادة ٢٩٨/١ ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي الأول ٣٣٩ . الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ٢٩٦) .

«جمل تنضبط بها قواعد المنطق وأحكامه» (٧٦) . وكان هذا الكتاب من الكتب التي نالت عناية واضحة ، فقد سُرح ونظم واختصر . وما دام الأمر كذلك ، فلا غرابة في أن يعنى به أبو العباس المقدسي . هذا بالإضافة الى أن الخونجي المذكور كان ذا يد طويلة في المعقولات (٧٧) . وكان أبو العباس المقدسي قد استمر في دراسته في دمشق والقاهرة وغيرهما ، وحصل على اجازات عديدة (٧٨) . ولا شك أنه درس موضوعات عديدة في العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية والمنطق ، ثم عاد الى بيت المقدس ، وتصدر للتدريس بالمسجد الأقصى ، وخطب فيه ، وعقد مجالس الوعظ . ذكر السخاوي أن أبا العباس المقدسي كان «متصدرا في المسجد الأقصى ، متصديا لنفع الطلبة» (٧٩) . وأغلب الظن أن أبا العباس درّس كتاب «الجمل» وغيره من كتب المنطق .

وقدم الى بيت المقدس عدد من العلماء ، كانوا معتنين بالمنطق وغيره من العلوم عناية كبيرة ، ومنهم الشيخ الامام سراج الدين سراج بن مسافر ابن زكريا الرومي المقدسي الحنفي ، وقد قدم الى بيت المقدس سنة ٨٢٨هـ ، وكان قد درس العلوم العقلية ببلاده وبلاد العجم ، واشتغل سراج الدين بالتدريس في بيت المقدس ، فدرس عليه طالبو العلم المنطق وعلم الكلام وغيرهما من العلوم ، وأقبل عليه الطلبة ، وكان محسنا اليهم ، فازدادت رغبتهم في الأخذ عنه .

واستمر سراج الدين الرومي يشتغل بالعلم في بيت المقدس الى أن توفي سنة ٨٦٥هـ . ودرس عليه العديد من طالبي العلم ، ومنهم كمال

(٧٦) أنظر : كشف الظنون ٦٠٢/١ ، ١٩٨٦/٢ .

(٧٧) مفتاح السعادة ٢٩٨/١ .

(٧٨) الضوء اللامع ٣٦٣/١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٧٩) نفسه ٣٦٥/١ .

الدين بن أبي شريف ، وكان كمال الدين المذكور محررا لما يليقه شيخه
ويذاكر به (٨٠) .

ودرس عليه الحافظ شيخ المسلمين شهاب الدين أبو العباس أحمد بن
عمر العميري المقدسي الشافعي ، المعروف بالعميري ، فقد ذكر السخاوي
أن العميري المذكور درس أشياء في العقليات على سراج الدين الرومي .
ومن الجدير بالقول أن العميري كان من المتصدرين للتدريس بالمسجد
الأقصى (٨١) .

وممن درسوا عليه أيضا ، شيخ الاسلام شمس الدين أبو اللطف محمد
ابن علي الحصكفي المقدسي الشافعي ، فقد ذكر السخاوي ومجير الدين
الحنبلي أن الحصكفي المذكور استمر في دراسة المنطق في بيت المقدس ،
فأخذ عن سراج الدين الرومي . وكان الحصكفي قد درس المنطق ببلده
حسن كيفا ، وأخذ عن قاضي بلده وغيره . وبعد أن درس المنطق في
بلده ، ثم في بيت المقدس ، توجه الى القاهرة ، وأخذ فيها المنطق عن
محمد بن سليمان بن سعيد الرومي الحنفي المعروف بالكافياجي (٨٢) .

عاد الحصكفي الى بيت المقدس ، وتصدر للتدريس بالمسجد الأقصى ،
ودرس بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس أيضا . ومن المرجح أنه

(٨٠) الضوء اللامع ٣/٢٣٤ - ٢٤٥ ، الأنس الجليل ٢/٢٢٨ .

(٨١) الضوء اللامع ٢/٥٢ - ٥٣ .

(٨٢) ولد بكلجة كي من بلاد الروم قبل ٧٩٠هـ . ونشأ وتلقى العلم ، ثم قدم الشام ،
ودخل القدس ، ثم قدم الى القاهرة بعيد الثلاثين . كان من كبار العلماء بالمعقولات .
تصدى للتدريس والافتاء والتصنيف . وشاع ذكره ، وانتشرت تلامذته ، وفتاواه ، وأخذ
الناس عنه طبقة بعد أخرى . وزادت مصنفاته على المائة . وكان مجيدا في « الأصلين
والتفسير ، والنحو ، والصرف والمعاني والبيان ، والمنطق ، والهيئة ، والهندسة ،
والحكمة ، والجدل ، وغيرها . ويقال له الكافيكي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو .
توفي سنة ٨٧٩هـ (أنظر : الضوء اللامع ٧/٢٥٩ - ٢٦١ . شذرات الذهب ٧/٣٢٦ ،
الأعلام ٧/٢٢) .

درّس المنطق وغيره من الموضوعات . ومن الواضح أن عنايته بالمنطق كانت كبيرة ، ويدل على ذلك دراسته في حصن كيفا ، والقدس ، والقاهرة . واستمر الحصكفي يشغل بالعلم في بيت المقدس الى أن توفي فيها سنة ٨٥٩هـ (٨٣) .

ودرس شيخ الاسلام برهان الدين بن أبي شريف المنطق على سراج الدين الرومي ، ولازمه ، وأخذ عنه الكثير في موضوعات عديدة مثل العربية والأصول والمنطق (٨٤) .

ولما قدم الشيخ زين الدين أبو الجود ماهر بن عبد الله الأنصاري المصري المقدسي الى بيت المقدس ، درس المنطق وغيره من العلوم على الشيخ شهاب الدين بن الهائم ، شيخ الرياضيين في بيت المقدس . وكان الشيخ زين الدين قد قدم الى بيت المقدس سنة ٨٠٢هـ ، ولازم شهاب الدين المذكور ، ودرس عليه علوما عديدة ، وحمل علما جما . ثم تصدر الشيخ زين الدين للتدريس بالمسجد الأقصى ، فأخذ عنه الطلبة ، وانتفعوا به ، ومن تلامذته شهاب الدين بن المحمرة (٨٥) ، وكمال الدين بن أبي شريف ، وغيرهما .

(٨٣) الضوء اللامع ٢٢٠/٨ ، الأنس الجليل ١٨٤/٢ - ١٨٥ .

(٨٤) الضوء اللامع ١٣٤/١ - ١٣٦ ، الأنس الجليل ٢١٦/٢ - ٢١٧ .

(٨٥) وهو أحمد بن محمد ، ويعرف بابن المحمرة نسبة الى أمه ، فقد نسبت الى التحمير من الحمرة . ولد بأحد أعمال القاهرة في سنة ٧٦٧هـ ، وقيل سنة ٧٦٩هـ . ونشأ وتعلم فيها ، فحفظ القرآن ، وكتب في الفقه وغيره . وأخذ عن عدد من أشهر العلماء في بلده من أمثال ابن الملقن ، والبلقيني ، والعراقي ، ولازمهم . وعني ابن المحمرة بالحديث ، فسمع من أشهر محدثي ، وطلبه بمكة والمدينة . وحصل على إجازات عديدة . ثم اشتغل بالحسبة والقضاء ، والافتاء والتدريس . ودرس بمصر ودمشق . وولي مشيخة المدرسة الصلاحية في بيت المقدس سنة ٨٢٨هـ . واستمر يتولاها الى أن توفي سنة ٨٤٠هـ . (انظر : الضوء اللامع ١٨٦/٧ - ١٨٧ ، الأنس الجليل ١١٣/٢ ، الدارس ٣٩٨/١) .

تقدم القول في أن طالبي العلم درسوا المنطق وعلم الكلام في بيت المقدس ، على سراج الدين الرومي وغيره . وتقدم الحديث عن عناية سراج الدين بالمنطق وعلم الكلام ، بل بالعلوم العقلية بعامة . ومن الجدير بالقول أن سراج الدين كان معنيا بالنظر في كشاف الزمخشري ، وكان يراجع تفسير الفخر الرازي وغيره عند اقراء الكشاف . كما كان معنيا بكتاب احياء علوم الدين للإمام الغزالي ، وكان يكثر من المطالعة فيه ، ويقف موقفا ايجابيا من الغزالي ، بينما يقف موقفا سلبييا من ابن عربي ، ويحذر من قراءة كتبه ، وقد رد عليه ، وصنف كتابا في ذلك . وأثنى على ابن تيمية في رده على ابن عربي (٨٦) . ومن المعلوم أن الزمخشري عني بما يذهب اليه المعتزلة في علم الكلام ، وأن الامام الغزالي كان معنيا بعلم الكلام .

وتقدم القول في أن شمس الدين أبا اللطف الحصكفي عني بالعلوم العقلية ، ونضيف أنه كان «متميزا في كثير من الصنائع العجمية» كما يقول السخاوي . وكان الحصكفي قد درس علم الهيئة ، والهندسة ، والحساب ، والموسيقى وغيرها ببلده حصن كيفا ، ثم درسها عندما توجه الى القاهرة (٨٧) ، ثم عاد الى بيت المقدس ، وتصدر للتدريس .

اشتغل عدد من العلماء ، في بيت المقدس ، بالعلوم العقلية الى جانب العلوم ، الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، وغيرها . ومن أولئك العلماء الشيخ عماد الدين اسماعيل بن ابراهيم بن شرف المقدسي الشافعي ، المعروف بابن شرف المقدسي ، فقد ذكر السخاوي أن ابن شرف كان «متقدما في الأصول ، وكان واسع الاطلاع في المعقول والمنقول» (٨٨) .

(٨٦) الضوء اللامع ٣/٢٤٣ - ٢٤٥ ، الأنس الجليل ٢/٢٢٨ .

(٨٧) الضوء اللامع ٨/٢٢٠ ، الأنس الجليل ٢/١٨٤ - ١٨٥ .

(٨٨) الضوء اللامع ٢/٢٨٤ - ٢٨٥ .

ومنهم شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن حسان الموصلني
الأصل ، المقدسي ، المعروف بابن حسان(٨٩) . وتوجه ابن حسان الى
القاهرة لدراسة العلوم العقلية وغيرها . وأخذ عن عدد من أشهر العلماء ،
وخاصة في العلوم العقلية . وذكر أنه قرأ علم الكلام على أشهر العلماء .
ثم اشتغل ابن حسان بالتدريس في القاهرة ، والخطابة بالأزهر نيابة ،
وغير ذلك(٩٠) .

ومنهم بدر الدين عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن أحمد بن غانم
السعدي الخزرجي الأنصاري المقدسي الشافعي(٩١) . فقد ذكر السخاوي
أن ابن غانم المذكور قرأ علوماً مختلفة في بيت المقدس ، من علوم دينية ،
وعلوم لغة عربية وغيرها . وأضاف السخاوي أن ابن غانم «بحث في
المعقولات» مدة طويلة تقارب عشر سنين لازم فيها أحد الشيوخ الذين
تميزوا في هذا المجال(٩٢) .

ودرس عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمان العجلوني المقدسي
الشافعي(٩٣) ، العلوم العقلية ، فأخذ عن شهاب الدين أحمد بن اسماعيل

(٨٩) ولد في بيت المقدس حوالي سنة ٨٠٠هـ ، ونشأ وتلقى العلم فيه ، فدرس على أشهر
علمائها ، ثم توجه الى القاهرة ، وفيها أخذ عن العديد من علمائها ، ولازم ابن
حجر العسقلاني بخاصة . كان ابن حسان «اماماً عالماً فقيهاً باحثاً نظاراً فصيحا»
كما يقول السخاوي . وصنف ابن حسان مصنفات عديدة ، وأنشأ الشعر . توفي
سنة ٨٥٥هـ . (انظر : الضوء اللامع ١٥٢/٩ - ١٥٤ ، نظم العقيان ١٦٨) .

(٩٠) الضوء اللامع ١٥٢/٩ - ١٥٣ ، نظم العقيان ١٦٨ .

(٩١) ولد في بيت المقدس سنة ٧٨٦هـ ، ونشأ وتعلم فيه ، فدرس العلوم الدينية ، وعلوم
اللغة العربية وشيئا من العلوم العقلية . وطلب ابن غانم العلم في المغرب وتونس
والجزائر ، ورحل الى بلاد المشرق ، ثم رحل الى آسيا الصغرى . وعاد بدر الدين
الى بيت المقدس . يعد ابن غانم أديبا ، وله نظم كثير . توفي ابن غانم بالقاهرة
سنة ٨٥٦هـ (الضوء اللامع ٢٣٧/٤ - ٣٢٨ ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٣١/٣) .

(٩٢) الضوء اللامع ٣٢٧/٤ .

(٩٣) ولد في قرية من قرى عجلون سنة ٧٧١هـ ، وقيل ٧٧٢هـ ، ونشأ وتعلم هناك ، وحفظ
كتبا في فنون شتى . ثم انتقل الى بيت المقدس طالبا العلم ، فدرس الفقه وغيره .

=

الطبيب المعروف بالحريري (٩٤) . وذكر ابن حجر العسقلاني أن الحريري كان ماهراً في الطب والهيئة والمعقولات (٩٥) . وذكر السخاوي أن الشيخ عز الدين المذكور كان معنيا بالرد على ابن عربي ، بل كان «شديد الحط والانكار على ابن عربي ، ومن هنا نحوه» (٩٦) .

وكان عدد من العلماء في بيت المقدس يتوجهون الى القاهرة وغيرها لدراسة العلوم العقلية ، كما تقدم في الحديث عن بعض العلماء . ومن ذلك أيضا ما ذكره السخاوي عن شيخ الاسلام برهان الدين ابراهيم من محمد بن أبي شريف المقدسي الشافعي ، فقد توجه برهان الدين الى القاهرة ، وقرأ فيها علوما وكتبا عديدة ، ومن ذلك أنه قرأ شرح العقائد للفتازاني على أمين الدين يحيى بن محمد بن ابراهيم الأقصري (٩٧) (٩٨) .

= ثم توجه الى القاهرة ، فأخذ عن عدد من أشهر العلماء فيها من أمثال سراج الدين البلقيني ، وسراج الدين بن الملتن ، ودرس عز الدين في دمشق . ومكة ، والمدينة ، وغيرها . وحصل على إجازات عديدة . واشتغل عز الدين بالخطابة والقضاء والتدريس . وولي التدريس في المدرسة الصلاحية في بيت المقدس سنة ٨٣١هـ ، وبقي شيخا لها حتى سنة ٨٣٨هـ ، ثم تولاهما ثانية سنة ٨٤٠هـ ، واستمر كذلك الى أن توفي سنة ٨٥٠هـ في بيت المقدس . (انظر : الضوء اللامع ٢٠٣/٤ - ٢٠٦ ، الانس الجليل ١١٣/٢) .

(٩٤) انظر : الضوء اللامع ٢٤٠/١ ، ٢٠٥/٤ .

(٩٥) نفسه ٢٤٠/١ .

(٩٦) نفسه ٢٠٥/٤ .

(٩٧) ينسب الى « أقصر » ، آق سراي إحدى مدن الروم . ولد في سنة ٧٩٧هـ بالقاهرة . ونشأ فيها ، وحفظ القرآن ، وكتبا في الفقه والنحو ، وقرأ بقراءة أبي عمرو ، ودرس الأصول ، والنحو والصرف ، ولازم عز الدين بن جماعة في النحو ، والأصليين ، والتفسير ، والمعاني والبيان ، والمنطق ، وغيرها . وسمع الحديث ، وحصل على الإجازات واشتغل بالتدريس ، ومشيخة التصوف ، وارتحل اليه طالبو العلم . وأخذوا عنه . وحدث ، وقصد بالفتاوي . زار القدس والخليل سنة ٨٢٨هـ . توفي أمين الدين الأقصري سنة ٨٨٠هـ بالقاهرة . (انظر : الضوء اللامع ٢٤٠/١٠ - ٢٤٣) .

(٩٨) الضوء اللامع ١٣٤/١ .

وتوجه قاضي القضاة غرس الدين أبو الصفا خليل بن عبد الله العسقلاني الأصل المجدلي المقدسي (٩٩) ، الى القاهرة ، بعد أن درس في بيت المقدس وغيرها ، وفيها أخذ في العقلية عن عدد من أشهر العلماء في هذا المجال . ومما قرأه في العقلية حاشية السيد علي شرح العقائد (١٠٠) .

ومن هذا يتبين لنا كيف أن عددا من العلماء في بيت المقدس ، قد رحلوا في سبيل أن ينهلوا من العلوم العقلية بعامة ، والمنطق وعلم الكلام بخاصة . وعاد أولئك العلماء الى بيت المقدس ، واشتغلوا بالتدريس ، فأخذ عنهم العديد من طالبي العلم .

ورأينا كيف أن عددا من العلماء الوافدين الى بيت المقدس ، شاركوا في مجال العلوم العقلية مشاركة فعالة كما تقدم .

* * *

لقد لقي علم الكلام عناية واضحة ، وهذا أمر طبيعي ازاء الصراع بين المسلمين والفرنجة ، فان الصراع لم يكن صراعا عسكريا فحسب ، بل كان صراعا حضاريا وفكريا ، وصراعا في العقيدة . ولهذا تصدى العلماء المسلمون للدفاع عن عقيدتهم ، وتوضيح أصولها ، وقامت مناظرات بين المسلمين والفرنجة في هذا المجال . وانعكس أثر ذلك في الفكر والأدب . وشاع الرد على اليهود والنصارى ، للدفاع عن العقيدة الاسلامية . وظهرت مصنفات عديدة في هذا المضمار (١٠١) . وظهر أثر ذلك الصراع في

(٩٩) ولد سنة ٨٢٥هـ ، وطلب العلم ، فدرس العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية على عدد من أشهر العلماء في بيت المقدس ، ثم طلب العلم في دمشق وطرابلس والقاهرة ، وحصل على اجازات عديدة . واشتغل بالتدريس والقضاء ، فولي مشيخة الصلاحية ، وولي القضاء بالخليل والرملة والقاهرة ونابلس . توفي غرس الدين سنة ٨٩٨هـ بمكة . (انظر : الضوء اللامع ٣/١٩٨ - ١٩٩ ، الأنس الجليل ٢/٢٨٤) .

(١٠٠) الضوء اللامع ٣/١٩٩ .

(١٠١) انظر : الحياة العقلية في مصر والشام في عصر الحروب الصليبية ١٨٤ - ١٨٧ ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي الأول .

الشعر (١٠٢) . هذا بالإضافة الى ما ثار من خلاف بين المذاهب والفرق الاسلامية ، وليس ذلك جديدا ، فقد رأينا جليا في بيت المقدس ، قبيل الاحتلال الصليبي ، وكان ذلك جليا أيضا في العصرين الأيوبي والملوكي (١٠٣) .

التصوف :

شاع التصوف شيوعا كبيرا في العصرين الأيوبي والملوكي في بيت المقدس ، فقد شجع الحكام المتصوفة ، وعملوا على انتشار التصوف ، للوقوف في وجه المذهب الاسماعيلي ، والعمل على نشر الثقافة الاسلامية السنية ، والحث على الجهاد ، في الرباطات وغيرها . وأقام الحكام الخوانق والزوايا والرباطات في بيت المقدس ، ووقفوا عليها أوقافا كثيرة ، وكثرت هذه المؤسسات الدينية والفكرية والاجتماعية في بيت المقدس ، في العصرين المذكورين ، كما تقدم في الحديث عن عوامل الحركة الفكرية . وقد تبينا أنها لم تكن مقتصرة على التصوف فحسب ، بل كانت تقوم بأدوار ثقافية واجتماعية أيضا .

ومن الجدير بالاشارة أن التصوف كان موجودا في بيت المقدس من قبل ، ولكنه انتشر في هذين العصرين انتشارا كبيرا ، فقد ذكر المقدسي أنه كان «ببيت المقدس خلق من الكرامية ، لهم خوانق ومجالس» (١٠٤) في القرن الرابع الهجري . ولا ننسى أن نشير ، بصدد الحديث عن شيوع التصوف ، الى الوازع الديني ، والآثار المترتبة على الحروب ، وردة الفعل للانحراف الأخلاقي لدى بعض فئات المجتمع ، ووفود عدد من المتصوفة الى بيت المقدس ، وغير ذلك . ولسنا هنا بصدد الحديث عن التصوف ونشأته ومذاهبه وطرقه ، ولكننا نريد أن نتبين أن التصوف كان مادة

(٢) أنظر ، مثلا : قصيدة في القضاء والقدر ، تغليس ابليس ٤٠ - ٤٧ .

(١٠٣) أنظر : الحياة العقلية في مصر والشام في عصر الحروب الصليبية ١٨٨ - ١٩٢ .
الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي الأول ٣٣٧ .

(١٠٤) أنظر : بلدانية فلسطين العربية ١٠٧ .

للدروس ، وأن المتصوفة شاركوا في الاشتغال بالعلم ، والتصنيف فيه ،
وذلك الى جانب أن التصوف كان سلوكا .

ومما يوضح لنا هذا أننا اذا نظرنا في عدد من المدارس الموجودة في
الأقصى ، تبين لنا صحة ما نقول ، فالمدرسة الديوبندرية وقفت على «ثلاثين
نفرا من الطائفة الصوفية والمتصوفة من العرب والعجم» (١٠٥) والمدرسة
الباسطية وقفت على الصوفية أيضا (١٠٦) .

كان الشيخ أبو بكر بن علي بن عبد الله الشيباني الموصلني ثم الدمشقي
الشافعي (١٠٧) صوفيا ذا مكانة مرموقة ، وكان يعقد المجالس العلمية ،
ويقريء كتاب «منازل السائرين» (١٠٨) ، ويلقن الذكر ، ويلبس الخرقة ،
ويجمع بين علمي الشريعة والحقيقة . ولما قدم الى بيت المقدس ، عقد
المجالس في المدرسة الأمينية وغيرها . وأقرأ مصنفات في التصوف ، وأغلب
الظن أنه أقرأ مصنفاه في التصوف . وكان الشيخ أبو بكر المذكور قد
أقرأ التصوف في دمشق قبل ذلك ، ومما أقرأه فيها كتاب «منازل
السائرين» كما ذكر ابن حجر العسقلاني ، ومجير الدين الحنبلي (١٠٩) .

(١٠٥) أنظر : الأنس الجليل ٣٩/٢ ، المعاهد المصرية في بيت المقدس ٨ ، المفضل في تاريخ
القدس ٢٤٢ .

(١٠٦) الأنس الجليل ٣٩/٢ ، خطط الشام ١٢٠/٦ .

(١٠٧) ولد بدمشق سنة ٩٧٠هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، ثم قدم الى بيت المقدس . وكان
هذا الشيخ من أهل العلم ، ومن مشايخ الصوفية . توفي بالقدس سنة ٨٤٤هـ .
(أنظر : الضوء اللامع ٨٤/٥ ، الأنس الجليل ١٧٦/٢) .

(١٠٨) وهو كتاب « منازل السائرين الى الحق المبين » للشيخ عبدالله بن محمد بن اسماعيل
الأنصاري الهروي الصوفي المتوفي سنة ٤٨١هـ . وهو كتاب في أحوال السلوك ، ألفه
صاحبه حين سأل جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين الى الحق من أهل
هراة فأجاب ، ورتب لهم فصولا وأبوابا ، فجعله مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام ،
كل منها يحتوي على عشرة مقامات، وشرحه كثيرون (أنظر: كشف الظنون ١٨٢٨/٢) .

(١٠٩) الدرر الكامنة ٤٨٠/١ ، الأنس الجليل ٤٢/٢ .

ونهج ابنه نهجه كما ذكر السخاوي ، فقد ذكر أنه كانت للشيخ عبد الملك «كلمات حكمية ، ولطائف صوفية وفقهية» ، وسمع الكثيرون عليه ، وحصلوا على الاجازات منه . وكان له فقراء ومريدون . وأضاف السخاوي أن الأكابر أخذوا عن الشيخ المذكور ، وأن شهاب الدين أحمد بن أرسلان كان «يدل عليه من يروم أخذ الطريق» (١١٠) .

وكان شهاب الدين أحمد بن حسين بن أرسلان ، الامام العالم العارف بالله ، قد أقبل على التصوف ، وأخذه عن عدد من مشايخ التصوف في بيت المقدس من أمثال أبي بكر الموصللي المتقدم ذكره ، وشمس الدين محمد بن أحمد (١١١) ، وغيرهما . وصحبهما ابن أرسلان ، وتلقن الذكر منهما ، ولبس الخرقة من الشيخ محمد القرمي المذكور (١١٢) . وسمع ابن أرسلان كتاب «العوارف» للسهروردي . وكان ابن أرسلان «غزير العلم ، مرييا للمريدين» (١١٣) ، واشتغل بالافتاء والتدريس . وقد كان يقرئ في الزاوية الختنية بالأقصى (١١٤) ، وغيرها من المراكز العلمية . وذكر السخاوي أنه قد كثر تلامذة ابن أرسلان ومريدوه . ومن أخذوا عنه كمال الدين بن أبي شريف ، وأبو الأسباط الرملي ، وغيرهما (١١٥) .

(١١٠) الضوء اللامع ٨٤/٥ ، الأنس الجليل ١٧٦/٢ .

(١١١) كانت له زاوية تعرف بزاوية الشيخ محمد القرمي . وهو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الأصل ، المعروف بالقرمي الشافعي (٧٢٠ - ٧٨٨هـ) . نشأ بدمشق ، وتعلم فيها ، ثم قدم الى بيت المقدس ، وأقام فيه ، وله خلوات ومجاهدات . وحدث في القدس (أنظر : الأنس الجليل ١٦٠/٢ ، ١٦١) .

(١١٢) الضوء اللامع ٢٨٣/١ .

(١١٣) نفسه ٢٨٢/١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ .

(١١٤) الضوء اللامع ٢٨٤/١ ، الأنس الجليل ١٧٤/٢ .

(١١٥) الضوء اللامع ٢٨٦/١ .

وكان ابن أرسلان نفسه قد سمع من الشيخ الصالح زين الدين عبد القادر بن الشيخ العارف بالله محمد القرمي الشافعي (١١٦) ، كما سمع منه غيره ، وانتفعوا به ، وأخذوا عنه في مدينة بيت المقدس بعد قدومه إليها (١١٧) .

وكان الشيخ الامام تقي الدين أبو بكر بن محمد بن أبي الوفا الحسيني المقدسي الشافعي ، المعروف بابن أبي الوفا ، قد عني بالتصوف عناية كبيرة ، فقرأ العديد من كتب التصوف ، وأخذ عن العديد من علماء المتصوفة ، فقد قرأ كتاب «آداب المريدين» على زين الدين الحافي الحنفي ، وقرأ كتاب «احياء علوم الدين» ، وبحث فيه على برهان الدين ابراهيم الميزي ، نزيل بيت المقدس . وقرأ كتاب الاحياء ثانية على يوسف الصفدي ، ولازمه في بيت المقدس ، وقرأ عليه كتباً أخرى في التصوف ، ومنها كتاب «العوارف» ، وكتاب «شمس المعارف» ، وغيرهما من الكتب الأخرى (١١٨) .

وكان الشيخ سراج الدين بن مسافر بن زكريا الرومي ثم المقدسي الحنفي ، يكثر من المطالعة في كتاب الاحياء (١١٩) . ومن المرجح أنه كان يقرئه . وكان الشيخ سراج الدين المذكور من المتصدرين للتدريس في المسجد الأقصى (١٢٠) ، وكان قد قدم الى بيت المقدس سنة ٨٢٨هـ (١٢١) .

وكان الشيخ شرف الدين يحيى بن علي الحصكفي ثم الحلبي

(١١٦) كان رجلاً صالحاً . وكان من الأعيان في بيت المقدس . توفي سنة ٨٤٣هـ في بيت المقدس . ودفن عند والده بالزاوية المعروفة باسم والده . (انظر : الأنس الجليل ١٧٢/٢) .

(١١٧) انباء الغمر ١/٣٢٦ ، الضوء اللامع ١/٢٨٣ ، الأنس الجليل ١٧٢/٢ .

(١١٨) انظر : الضوء اللامع ١١/٨٤ ، ٨٥ .

(١١٩) الضوء اللامع ٣/٢٤٣ - ٢٤٥ ، الأنس الجليل ٢/٢٢٨ .

(١٢٠) الضوء اللامع ٨/٢٢١ - ٢٢٢ .

(١٢١) الضوء اللامع ٣/٢٤٣ ، ٢٤٤ ، الأنس الجليل ٢/٢٢٨ .

الشافعي ، المعروف بابن الشاطر (١٢٢) ، يطالع كتب المتصوفة ، ويحتفل بالنظر في احياء علوم الدين ، وذلك في مجاورته في بيت المقدس ، فقد جاور فيه حوالي اثنتي عشرة سنة (١٢٣) .

وفي بيت المقدس ، قرأ ابن حجر العسقلاني كتاب «الأربعين الصوفية» لأبي نعيم ، فقد قرأه على شمس الدين محمد بن محمد بن خطاب المقدسي (١٢٤) ، وكان مؤذنا بالأقصى ، بسماعه على الحافظ صلاح الدين العلائي وغيره (١٢٥) ، كما تقدم .

وذكر أن بعض المتصوفة كانوا يقرئون كتب ابن عربي ، فقد ذكر أن الشيخ القدوة خليفة بن مسعود بن موسى المغربي الجابري المالكي (١٢٦) ، امام المالكية بالأقصى ، كان «يقرئ» كلام ابن عربي (١٢٧) على الرغم من الموقف العام المعارض لابن عربي آنذاك .

كان الشيخ خليفة قد قدم الى بيت المقدس سنة ٧٨٤هـ ، وفيها ولي امامة المالكية كما تقدم ، وولي مشيخة المغاربة (١٢٨) .

(١٢٢) انظر : الكواكب السائرة ١/٣١٣ .

(١٢٣) نفسه ١/٣١٣ ، ٣١٤ .

(١٢٤) وهو شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله بن خطاب المقدسي . وذكر ابن حجر العسقلاني أنه لقيه في بيت المقدس ، وقرأ عليه كما تقدم . وذكره السخاوي ، وترجم له في الضوء اللامع ، ولم يحدد تاريخ وفاته ، ولم يفصل في الحديث عنه . (انظر : الضوء اللامع ٩/٢٤٤) .

(١٢٥) الضوء اللامع ٩/٢٤٤ .

(١٢٦) ولد سنة ٧٤٩هـ ، ونشأ وتعلم ببلاده ، ثم قدم الى بيت المقدس سنة ٧٨٤هـ ، وذهب الى مكة حاجا ، ثم عاد الى بيت المقدس ، وأقام فيه دهرا ، وكانت له كرامات ومكاشفات . توفي سنة ٨٣٣هـ في بيت المقدس . (انظر : الضوء اللامع ٣/١٧٨ ،

الانس الجليل ٢/٢٤٧) .

(١٢٧) الضوء اللامع ٣/١٨٧ .

(١٢٨) الانس الجليل ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ .

وحاول بعضهم الاعتذار عن الشيخ خليفة بأنه «لم يكن يعتقد ما ينسب لابن عربي ، وانما كان يؤول كلامه غلطا منه بتأويل كلامه» ، و «الغلط لا يخرج الانسان عن الصلاح» (١٢٩) . وفي هذا اقرار بأن الشيخ خليفة كان يقرىء كلام ابن عربي حقا . ولعله كان يقرئه للخاصة أو المقربين ، وربما لغيرهم . وهذا يبين لنا أن بعض المتصوفة في بيت المقدس ، كانوا يعنون بابن عربي ، ويدرسون بعض آثاره ولكننا لم نجد نصا يحدد تلك الآثار التي كانوا يعنون بها أكثر من غيرها .

وذكر السخاوي أن جمال الدين يوسف بن منصور بن أحمد المقدسي . المعروف بابن التائب (١٣٠) ، كان من المنتسبين لابن عربي ، وقد أذن له خليفة المغربي في التلقين سنة ٨٢٥هـ (١٣١) .

وذكر السخاوي أيضا أن شهاب الدين أحمد بن محمد النابلسي الأصل المقدسي ، المعروف بابن عثمان الخليلي (١٣٢) ، كان «ينتحل في التصوف مذهب ابن عربي» (١٣٣) .

(١٢٩) الضوء اللامع ٣/ ١٨٧ .

(١٣٠) ولد سنة ٧٨٢هـ في بيت المقدس ، ونشأ وتعلم فيه ، فأخذ عن ابن الهائم ولازمه . ودرس العربية ، وعمل المواعيد ، وسمع الحديث على أبي الخير بن العلامي . وسمع في سنة ٨٠١هـ علي شمس الدين محمدا بن اسماعيل القلقشندي . وذكر السخاوي أنه لقي ابن التائب في بيت المقدس ، وقرأ عليه . توفي ابن التائب سنة ٨٦٥هـ في بيت المقدس (أنظر : الضوء اللامع ١٠/ ٣٣٥) .

(١٣١) الضوء اللامع ١٠/ ٣٣٥ .

(١٣٢) ولد سنة ٧٣٣هـ ، ونشأ وتلقى العلم على عدد من أشهر العلماء ، وحصل على اجازات عديدة ، فقد أجاز له جماعة من الشاميين والمصريين . سكن غزة ، واتخذ فيها جامعا ، وللناس فيه اعتقاد . وقد اجتمع به ابن حجر العسقلاني في مسجده ، وقرأ عليه ، وأشاد به . توجه ابن عثمان الى مكة عدة مرات ، وجاور بها ، وتوفي فيها سنة ٨٠٥هـ . (أنظر : انباء القدر ٢/ ٢٤٠ ، الضوء اللامع ٢/ ١٤٠ ، ١٤١ ، الانس الجليل ٢/ ١٦٥) .

(١٣٣) الضوء اللامع ٢/ ١٤١ .

ومما يذكر في هذا الصدد ، أنه أشير على ابن أبي الوفاء ، المتقدم ذكره ، بقراءة كتب ابن عربي ، وتضارب الموقف ، فأشير عليه بعدم قراءتها . وحرار ابن أبي الوفاء في أمره ، فاستشار شيخه يوسف الصفدي ، المتقدم ذكره ، فأشار عليه بعدم قراءتها ، ثم استشار شيخه زين الدين الحافي ، فوافق على ما ذهب إليه الصفدي ، وأشار عليه بعدم قراءتها أيضا (١٣٤) . وعلى الرغم من موقفي الحافي والصفدي ، فإن المهم في نظرنا هنا أن كتب ابن عربي كانت مجالا للدرس عند عدد من المتصوفة على الأقل .

وذكر أن قاضي القضاة شيخ الاسلام سعد الدين بن محمد بن عبد الله الديري الحنفي ، كان يقتني كتب ابن عربي ، فقد ذكر السخاوي أن

(١٣٤) قال له الصفدي : « اعلم يا ولدي ، وفقك الله تعالى ، أن هذا العلم المنسوب لابن عربي ليس بمخترع له ، وإنما هو كان ماهرا فيه . وقد ادعى أهله أنه لا يمكن معرفته الا بالكشف ، فإن صح مدعاهم ، فلا فائدة في تقريره ، لأنه ان كان المقرر والمقرر له مطلعين ، فالتقرير تحصيل حاصل ، وان كان المطلع أحدهما فتقريره لا ينفع الآخر ، والا فهما يخيطان خبط عشواء ، فسيبل العارف علم البحث عن هذا العلم ، وعدم السلوك فيما يوصل الى الكشف عن الحقائق ، ومتى كشف له عن شيء علمه ، وسعى في أعلى سنة » .

وزاد زين الدين الحافي على ما قاله الصفدي ، فقال : « ان العبد اذا تخلق ، ثم تحقق ، ثم جذب ، اضمحلت ذاته ، وذهبت صفاته ، وتخلص من السوي ، فعند ذلك تلوح له بروق الحق بالحق ، فيطلع على كل شيء ، فيرى الله عند كل شيء ، فيغيب بالله عن كل شيء ، ولا يرى شيئا سواه ، فينتطق الله عين كل شيء ، وهذا أول المقامات ، فاذا ترقى عن هذا المقام ، وأشرف عليه من مقام هو أعلى سنة ، وعضده التأييد الإلهي ، رأى أن الأشياء كلها فيض وجوده تعالى لا عين وجوده ، فالناطق حينئذ بما ظنه في أول مقام اما محروم ساقط ، واما نادم تائب ، وربك يخلق ما يشاء ويختار » (أنظر : نظم العقيان ٩٩) .

«عنده بعض تصانيف ابن عربي ، وأنه ينتحلها ، واعترف بكونها عنده ، وأنكر ما عدا ذلك» (١٣٥) .

وكان سعد الدين المذكور يدرّس في بيت المقدس ، وكثر تلامذته ، وأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى ، وانتسب اليه الفضلاء (١٣٦) .
ونتساءل : هل درّس سعد الدين بعض مصنّفات ابن عربي ؟ هل درّسها للخاصة والمقربين ؟

ونجد بعض العلماء يحذرون من ابن عربي ، فقد كان سراج الدين الرومي يحذر تحذيرا شديدا من قراءة ابن عربي ، وكان يذهب الى أن كلام ابن عربي باطل ، فقد ذكر أنه «خالط المشتغلين بكلامه في بلاد الروم وغيرها ، ووجد كثيرا منهم زائغا يتستر بالتأويل ظاهرا ، وهو في الباطن غير مؤول» ، ورد سراج الدين على ابن عربي ، وأثنى على ابن تيمية في رده على ابن عربي . وبسبب هذا الموقف ، عُزل سراج الدين عن مشيخة المدرسة العثمانية ، نظرا لأن ابن منشئها كان يميل الى ابن عربي ، وكان الابن متوليا النظر في المدرسة المذكورة . وكان سراج الدين يكثر من المطالعة في كتاب احياء علوم الدين ، في الوقت الذي يحذر فيه من القراءة في كتب ابن عربي كما تقدم (١٣٧) .

وكان زين الدين الحافي قد استخلف ابن أبي الوفاء على جميع أصحابه في كل البلاد . وأخذ ابن أبي الوفاء يعقد مجالس الذكر ، ويدرّس كتب التصوف ، فأخذ عنه جماعة من أهل بلده والقادمين اليها . وكان السخاوي ممن اجتمعوا به ، وأخذوا عنه (١٣٨) . ومن المرجح أن ابن أبي الوفاء كان يدرّس الكتب التي درسها من قبل ، ولعله كان يدرس غيرها . ولعل مما يؤيد اشتغاله بتدريس كتب التصوف

(١٣٥) الضوء اللامع ٢/٢٥٢ .

(١٣٦) الضوء اللامع ٣/٢٥١ ، الذيل على رفع الاصر ١٣٢ ، الانس الجليل ٢/٢٢٧ .

(١٣٧) أنظر : الضوء اللامع ٣/٢٤٤ .

(١٣٨) نفسه ١١/٨٤ .

وغيرها ، أنه اشتغل بالتدريس ، وتولى مشيخة مدرسة الأمير حسن الكشكلي بالمسجد الأقصى ، وذلك بعد سنة ٨٣٥هـ (١٣٩) .

ومن علماء المتصوفة الذين اشتغلوا بالعلم في بيت المقدس ، الشيخ الامام تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد الله الحلبي الأصل ، المقدسي ، الشافعي ، الصوفي ، المعروف بالطولوني (١٤٠) ، وكان قد قدم الى بيت المقدس سنة ٨١٤هـ ، وكان «من أهل العلم والعمل ، ومن أعيان المشايخ» . واشتغل الطولوني بالعلم ، وسمع منه العديد من العلماء من أمثال شهاب الدين بن أبي عذبية ، ونجم الدين بن فهد المكي (١٤١) ، وغيرهما (١٤٢) . وفي أغلب الظن أن طالبي العلم سمعوا من الطولوني ، شيخ المدرسة الطولونية بالمسجد الأقصى ، في التصوف وغيره من العلوم .

وفيها درّس الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أحمد الزيري المصري (١٤٣) ، وولي مشيختها ، وكان قد قدم الى بيت المقدس بعد سنة

(١٣٩) الضوء اللامع ٨٥/١١ .

(١٤٠) ولد في سنة ٧٤٨هـ ، ونشأ وتلقى العلم على العديد من العلماء ، ومن تتلمذ عليهم الشيخ عبد الله البسطامي . واشتغل بالفقه والحديث . كان خطيبا في حلب . ثم قدم الى بيت المقدس سنة ٨١٤هـ ، ونزل في صوفية الخانقاه السلطانية ، ثم نزل الطولونية وسكنها . وولي مشيختها ، وانقطع فيها للذكر والعبادة ، وتردد اليه أهل الخير في ليالي الجمع . وكان للناس فيه اعتقاد . وقد حدث هناك . وله نظم ونثر . (أنظر : الضوء اللامع ٨٠/١١ - ٨١ ، الأانس الجليل ١٧٣/٢) .

(١٤١) ولد سنة ٧٦٠هـ تقريبا بمكة ، ونشأ وتعلم فيها . كما تعلم في المدينة . ورحل الى القاهرة طالبا العلم ، وحصل على الاجازات . وحدث نجم الدين ، وسمع منه الفضلاء . توفي سنة ٨١١هـ (أنظر : الضوء اللامع ٢٣١/٩) .

(١٤٢) الضوء اللامع ٨٠/١١ .

(١٤٣) ولد بصعيد مصر في حدود سنة ٧٧٠هـ ، ونشأ وتعلم هناك ، ثم قدم الى القاهرة . فأخذ عن علمائها من أمثال البلقني ، والعراقي ، وابن الملتن ، وغيرهم . قدم شهاب الدين الى بيت المقدس بعد سنة ٨٣٠هـ ، ونزل بمدارس الفقهاء ، وصحب الشيخ شهاب الدين بن أرسلان ، ثم انقطع بالمدرسة الطولونية . وفيها زاره تقي الدين ابن قاضي شهبة عندما قدم الى بيت المقدس ، وأخذ عنه طالبو العلم . (أنظر : الضوء اللامع ٢٨٩/١ ، الأانس الجليل ١٨٣/٢) .

٨٣٠هـ • وأخذ عنه العديد من طالبي العلم (١٤٤) في علوم متعددة ، ومنها علم التصوف •

وكانت للتصوف خوانق وزوايا ورباطات ، سنفصل القول فيها في كتاب خاص بها وبالمدارس كما أشرنا فيما تقدم • وسنتحدث عن العلماء المتصوفة في بيت المقدس ، والقادمين إليها في كتاب خاص بالعلماء في بيت المقدس •

الفصل السابع

دور الخطباء والأئمة والوعاظ وشيوخ

الحرم القدسي في الحركة الفكرية

قام الخطباء بدور فعال في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، في العصرين الأيوبي والملوكي ، فلم يقتصر دورهم على الخطابة في الصلاة في أيام الجمع ، بالأقصى والصخرة ، أو في المناسبات الدينية مثل الأعياد وغيرها ، بل شاركوا في الاشتغال بالتدريس والافتاء والقضاء ، وحدثوا . ولم يقتصر دورهم على ما قاموا به في بيت المقدس ، فقد كان لهم دور فكري في المجالات المذكورة ، في مصر والشام أيضا . ولكن ما يهمنا هنا ، هو أن نوضح دورهم الفكري في بيت المقدس .

كان يتولى الخطابة بالمسجد الأقصى عدد من العلماء ذوي المكانة العلمية المرموقة ، وكان الخطيب يعين بمرسوم خاص يصدره السلطان . ومن ذلك أن أبا الحزم محمد بن تقي الدين أبي بكر القرقيشندي ، استقر في خطابة الأقصى سنة ٨٢٢هـ ، فقرأ توقيعه بالأقصى ، ثم توجه الى منزله وأعلام المسجد حوله ، ومشى الناس في خدمته . وكان يوما مشهودا كما يقول مجير الدين الحنبلي (١) . ومن ذلك أيضا أنه «في يوم الخميس سابع جمادى الأولى ، وصل الخطيب محب الدين بن جماعة ، ودخل هو وأخوه شيخ الاسلام النجمي - نجم الدين بن جماعة - وعلى كل منهما خلعة السلطان بولاية مشيخة الصلاحية ، ونصف الخطابة وما معها ، ونصف مشيخة الخانقاة الصلاحية ، ودخلا الى المسجد الأقصى الشريف ، والناس معهما ، وجلسا في المحراب ، وقرأ توقيعهما وهما جالسان . وهذا خلاف المصطلح المعروف ، فان العادة جرت بتأخير قراءة التوقيع الى بعد صلاة الجمعة» (٢) .

(١) الأنس الجليل ٢/ ٣١٩ .

(٢) نفسه ٢/ ٢٩٨ .

يبين هذان المثالان المكانة التي كان الخطباء يحظون بها ، ويبين المثال الثاني أن الخطباء كانوا يقومون بالتدريس ، ومشیخة الخانقاة الصلاحية ، وذلك الى جانب الخطابة .

خصصت بالمسجد الأقصى دار للخطابة ، وان دل هذا على أمر فانما يدل على الأهمية الكبيرة التي كانوا يولونها للخطابة آنذاك . وكانت دار الخطابة تلك بالأقصى ، بجوار الزاوية الختنية . وذكر مجير الدين الحنبلي أن نجم الدين بن جماعة كان يقيم فيها (٣) . وذكر أن بعض العلماء ولد بقاعة الخطابة من المسجد الأقصى سنة ٨٠٥هـ (٤) ، وهو جمال الدين يوسف بن أحمد الباعوني المقدسي ثم الصالحي الدمشقي (٥) .

وتبدو أهمية هذا المنصب الديني من النظر فيمن أسندت اليهم الخطابة بالمسجد الأقصى ، فقد وليها علماء درسوا بالأقصى وغيره ، وأصبحوا من العلماء ذوي المكانة الكبيرة .

وجمع عدد من الخطباء بين التدريس والخطابة ، فمنهم من تولى مشیخة الصلاحية في بيت المقدس ، وهي من الوظائف السننية في الاسلام كما تقدم ، ومنهم من اشتغل بالتدريس فيها معيدا ، ومنهم من درّس في عدد من مدارس القدس الأخرى .

وجمع عدد من الخطباء أيضا بين الخطابة والتدريس والافتاء والقضاء ، وغير ذلك من الوظائف .

(٣) الأانس الجليل ١٣/٢ ، ١٠٨ .

(٤) الضوء اللامع ٢٩٨/١٠ .

(٥) نشأ في دمشق ، فقد انتقل اليها مع والده في الرابعة من عمره ، وتعلم هناك ، فقرأ القرآن على جماعة ، وقرأ العربية ، والفقه وأصوله ، وسمع الحديث بدمشق وبيت المقدس والخليل والرملة . وفي سنة ٨٢٨هـ توجه الى القاهرة طالبا العلم . ولي جمال الدين وظائف عديدة ، فعمل في القضاء ، وباشر كتابة السر بصفد ، وباشر القضاء فلها ، ثم في طرابلس ، وغير ذلك ، واشتغل بالتدريس . توفي في سنة ٨٨٠هـ .
(انظر : الضوء اللامع ٢٩٨/١٠ ، الأعلام ٦٣/٩) .

كان الخطباء بالمسجد الأقصى مقادسة أو وافدين ، وكانوا يتولونها استقلالا ، أو نيابة ، أو مشاركة ، وهو ما سيتضح لنا من خلال الحديث عن الخطباء الذين قاموا بدور ملموس في الحركة الفكرية في بيت المقدس .

وكانت الخطابة وراثية غالبا يتولاها الابن بعد أبيه ، أو الأخ بعد أخيه . ومما يلفت النظر أن الابن كان يتولاها على الرغم من كونه صغيرا في بعض الأحيان ، ولكنه لا يباشرها ، فينوب من يقوم بالخطابة فعليا .

وكان الخطباء يقومون بدور ملموس سياسيا واجتماعيا . وهو ما سنتحدث عنه بعد الانتهاء من الحديث عن دورهم في الحركة الفكرية .



تنوعت الخطابة بين الخطب الدينية متمثلة في الخطابة في أيام الجمع والعيدين ، وخطب الجهاد ، مثل خطبة القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن علي بن محمد القرشي^(٦) ، وهو أول خطيب خطب بالأقصى بعد تحريره من الاحتلال الفرنجي . ويضاف الى هذين النوعين الخطب التدريسية ، وهي الخطب التي كان المدرسون يلقونها . ومن ذلك أن قاضي القضاة شيخ الاسلام نجم الدين أبا البقاء محمد بن ابراهيم بن جماعة الكناني المقدسي الشافعي ، افتتح درسه ، يوم الخميس سابع جمادى الأولى سنة ٨٧٨هـ عندما أعيد تعيينه بالصلاحية ، بخطبة بليغة ، وتكلم على قوله تعالى : «ولما فتحوا متاعهم ، وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ، قالوا : يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا» . وأشار نجم الدين

(٦) ولد سنة ٥٥٠هـ ، وسمع من والده وغيره ، وقرأ المذهب على جماعة . وكان فقيها أدبيا منشئا بليغا فصيحا . وكان ذا فضائل عديدة من الفقه والادب وغيرهما ، وله النظم المليح والخطب والرسائل . وتولى القضاء بدمشق في سنة ٥٨٨هـ ، وتولاه قبل ذلك نيابة ، وأضيف اليه قضاء حلب . وكان محيي الدين يحظى بمكانة كبيرة لدى صلاح الدين . توفي بدمشق سنة ٥٩٨هـ . (انظر : الذيل على الروضتين ٣١ - ٣٢ ، وفيات الأعيان ٢٢٩/٤ - ٢٣٦ ، طبقات السبكي ١٥٧/١ - ١٥٩ ، الأنس الجليل ١٣٤/٢ - ١٣٥ ، شذرات الذهب ٣٣٧/٤) .

في خطبة الدرس الى أن مشيخة الصلاحية «كانت بيده ، وخرجت عنه .
فمن الله بعودها ، والعود أحمد» (٧) .

ومن الجدير بالاشارة أن نجم الدين كان قد ولي التدريس بالصلاحية
سنة ٨٦٥هـ ، ثم عُيِّن غيره لتوليها ، ولكن نجم الدين ، أعيد الى مشيخة
الصلاحية سنة ٨٧٨هـ (٨) . وذكر مجير الدين الحنبلي ، وكان ممن حضروا
درس نجم الدين المذكور ، أنه وصل التوقيع السلطاني بتعيين نجم الدين ،
وقرىء التوقيع بالأقصى . وحضر الدرس خلق كثير من الخاصة
والعامة (٩) .

ومنها خطب مناسبة كان العلماء يستهلون بها مجالسهم العلمية ،
أو مصنفاتهم ، ومن ذلك ما ذكره السخاوي في حديثه عن القاضي زين
الدين عبد الرحمن بن علي التميمي الداري الخليلي الشافعي (١٠) ، فقد
صنف زين الدين كتابا في التفسير سماه «درر النفاثس في ملح المجالس» ،
وقد «صنفه على طريقة الوعظ ، وافتتح كل مجلس منه بخطبة
مناسبة» (١١) .

ومنها خطب الاستسقاء ، ومن ذلك أنه عندما وقع قحط في بيت
المقدس سنة ٨٩٥هـ ، ولم ينزل المطر ، وقد «مضى غالب الشتاء ،
وانزعج الناس لذلك ، وصاموا ثلاثة أيام ، ثم استسقوا في صبيحة يوم

(٧) الأنس الجليل ١١٧/٢ ، الكواكب السائرة ٢٦/١ .

(٨) أنظر : الضوء اللامع ٢٥٦/٦ ، الأنس الجليل ١١٧/٢ ، الكواكب السائرة ٢٦/١ .

(٩) الأنس الجليل ١١٧/٢ ، ٢٩٠ .

(١٠) ولد بالخليل سنة ٧٩٣هـ ، ونشأ وتعلم هناك ، فدرس الحديث والفقه والتفسير والنحو
والفرائض ، على شيوخ كثيرين ، ومنهم والده وجده لأمه . ثم طلب العلم بالقاهرة .
اشتغل زين الدين بالتدريس والقضاء ، فولى مشيخة الحديث والتفسير ، وولي القضاء
بالخليل ونابلس . توفي زين الدين بالخليل سنة ٨٧٦هـ . (أنظر الضوء اللامع

٩٥/٤ - ٩٦ ، الأنس الجليل ١٣٣/٢) .

(١١) الضوء اللامع ٩٦/٤ .

الأحد خامس عشر ربيع الآخر بالصخرة الشريفة» . وخطب خطيب الأقصى شرف الدين موسى بن عبد الله بن جماعة (١٢) ، «خطبة بليغة ، وتضرع وابتهل ، وضج الناس الى الله بالدعاء ، ودخلوا الى الأقصى بالذكر والتهليل ، ثم انصرفوا ، ولم يسقوا في يومهم ، فجزع الناس لذلك ، وتضرعوا الى الله تعالى» ، وأنعم الله بالغيث العميم في اليوم التالي (١٣) .



وليس غرضنا أن ندرس الخطابة وأنواعها وسماتها في هذا المجال ، فذلك مكانة في الحديث عن الحركة الأدبية في بيت المقدس . ونكتفي بالحديث عن دور الخطباء في المجالات الأخرى في الحركة الفكرية في بيت المقدس . ولكي يتضح لنا بجلاء ، ما تقدم الحديث عنه ، يحسن بنا أن نستعرض العلماء الذين تولوا الخطابة بالأقصى ، بعد تحريره من الاحتلال الصليبي ، فنتبين الدور الذي أسهم به كل منهم على حدة ، والدور الذي أسهموا فيه بعامة .

كان أول من ولي الخطابة بالأقصى بعد تحريره ، القاضي محيي الدين أبو المعالي محمد بن علي القرشي ، كما تقدم . وذكر أبو شامة المقدسي ما قاله العماد الأصفهاني ، ويبين ذلك القول أن ابن الزكي خطب «أربع خطب في أربع جمع ، كلها من انشائه» (١٤) ، ولم تصل إلينا منها الا الخطبة الأولى .

(١٢) وهو موسى بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن جماعة المقدسي . ولد سنة ٨٤٥هـ ، واشتغل بالعلم على والده ، وأخذ عن كمال الدين بن أبي شريف وغيره من العلماء ، وسمع الحديث على جده وغيره ، وحصل شرف الدين على الاجازات . واشتغل بالخطابة والتدريس ، فخطب بالأقصى ، ودرس بالصلاحية ، وصار من أعيان العلماء في بيت المقدس . توفي في بيت المقدس سنة ٩١٦هـ . (أنظر : الضوء اللامع ١٨٤/١ ، الأنس الجليل ١٤٣/٢ ، الكواكب السائرة ٢٩٠/١) .

(١٣) الأنس الجليل ٣٤٨/٢ .

(١٤) كتاب الروضتين ١١٠/٢ .

وكان أبو الحسن علي بن محمد المالقي المالكي (١٥) ، أول من عيّن للخطابة بالمسجد الأقصى . فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أن أبا الحسن المذكور كان «خطيب المسجد الأقصى الشريف بعد فتحه» . وشارك أبو الحسن في مجالات أخرى ، فحدث في بيت المقدس ، وذلك الى جانب الخطابة بالأقصى . وكان أبو الحسن المالقي محدثًا مجيدًا كما يقول مجير الدين الحنبلي (١٦) .

ولم يل أبو الحسن الخطابة ، ولم يحدث ، الا بعد أن جد في سبيل العلم ، فقد طلبه بالشام ، فسمع كتاب «الأحكام الكبرى في الحديث» (١٧) . وسمع من علماء كثيرين . وسمع أبو الحسن في بيت المقدس كتاب «الجامع المستقصى في فضل المسجد الأقصى» على مصنفه بهاء الدين القاسم بن عساكر في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة ٥٩٦هـ (١٨) .

واستمر أبو الحسن يؤدي دوره خطيبًا ومحدثًا الى أن توفي سنة ٦٠٥هـ (١٩) .

وولي الخطابة بالأقصى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن نعمة النابلسي المقدسي الشافعي (٢٠) ، ووليها مدة طويلة ، وذلك بعد أن تلقى

(١٥) وهو علي بن محمد بن حميد بن سعد الدين المغافري المالقي . درس بالأقصى ، وسمع كتاب «الجامع المستقصى في فضل المسجد الأقصى» على مصنفه الحافظ بهاء الدين القاسم بن عساكر في سنة ٥٩٦هـ كما تقدم . ولم يحدد مجير الدين تاريخ وفاته (أنظر : الأنس الجليل ١٣٥/٢) .

(١٦) الأنس الجليل ١٣٥/٢ .

(١٧) للشيخ أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الاشبيلي المتوفي سنة ٥٨٢هـ . وهو كتاب كبير انتقاه من كتب الأحاديث ٠٠٠ (أنظر : كشف الظنون ٢٠/١) .

(١٨) الأنس الجليل ١٣٥/٢ .

(١٩) العبر ١٣/٥ ، شذرات الذهب ١٧/٥ .

(٢٠) وهو أحمد بن جعفر النابلسي المقدسي . ولد بنابلس في سنة ٥٧٧هـ . ونشأ وتعلم هناك . سمع الحديث بدمشق من الحافظ ابن عساكر وغيره . توفي بدمشق سنة ٦٦٥هـ .

العلم في نابلس وبيت المقدس ودمشق ، وأصبح محدثاً • وزوى عنه والده وغيرهما • ولم يقتصر دور شهاب الدين على الخطابة ، فقد جمع بينها وبين التدريس • وحدّث في بيت المقدس ، كما حدّث في دمشق والقاهرة •

لم نتبين متى ولي شهاب الدين الخطابة في بيت المقدس ، ولكن من المرجح أنه تولّاها بعد سنة ٦٠٥ هـ • واستمر يتولاها مدة طويلة كما تقدم • ومما تحسن الإشارة إليه هنا ، أن شهاب الدين توفي بدمشق سنة ٦٦٥ هـ (٢١) •

ولي الخطابة بالأقصى الشيخ الامام الخطيب قطب الدين أبو الذكا عبد المنعم بن يحيى بن ابراهيم القرشي الزهري الصوفي النابلسي المقدسي الشافعي (٢٢) • وكان قطب الدين ، الى جانب ذلك ، اماما ومفتيا ومفسرا ومحدثا ، فقد مكث بالمسجد الأقصى «خطيبا واماما ومفتيا» ، وغير ذلك ، أكثر من أربعين سنة •

وكان قطب الدين قد اشتغل بالفقه ، والتفسير ، والحديث ، والعربية ، وغيرها من العلوم • ورحل في سبيل ذلك الى دمشق ، وحلب ، والموصل ، وبغداد ، وواسط ، وهمدان ، وحصل على اجازات عديدة ، ثم حدّث في

() أنظر : الوافي بالوفيات ٢١٨/٨ ، فوات الوفيات ٥٧/١ ، الأنس الجليل ١٣٥/٢ ، شذرات الذهب ٣١٧/٥) •

(٢١) أنظر : الوافي بالوفيات ٢١٨/٨ ، فوات الوفيات ٥٧/١ ، العبر ٢٧٤/٥ ، ٢٧٩ ، الأنس الجليل ١٣٥/٢ •

(٢٢) ولد بنابلس سنة ٦٥٣ هـ • درس الفقه والعربية والتفسير ، وسمع الحديث • ورحل الى دمشق ، وحلب ، والموصل ، وبغداد ، وواسط ، وهمدان ، وسمع من شيوخها • وحصل على اجازات عديدة • ثم اشتغل بالامامة والافتاء في بيت المقدس ، واشتغل خطيبا بالمسجد الأقصى كما تقدم • توفي سنة ٦٨٧ هـ • (أنظر : الأنس الجليل ١١٧/٢ ، شذرات الذهب ٤٥١/٥) •

سنة ٦٥٤هـ ، وكتب :نه جماعة من الأئمة في مصر والشام . وقد أقام
قطب الدين بالقدس ، وتوفي فيها سنة ٦٨٧هـ (٢٣) .

وجمع قاضي القضاة شيخ الاسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن
ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني المقدسي الشافعي (٢٤) ، بين
الخطابة والامامة بالأقصى ، والقضاء في القدس . وكان ذلك في سنة
٦٨٧هـ ، بعد موت قطب الدين ، واستمر بدر الدين المذكور كذلك الى أن
تولى القضاء بمصر في سنة ٦٩٠هـ ، وتولى مشيخة الشيوخ فيها أيضا .
ثم نقل بدر الدين الى دمشق ليتولى القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ
فيها ، ثم أعيد الى القضاء في مصر .

وتحدث بدر الدين عن خطابته بالأقصى ، فتمنى أن تدوم خطابته فيه
كما يبدو واضحا في قوله (٢٥) :

يا لهف نفسي لو تدوم خطابتي
ما كان أهني عيشنا وألذ
الدين فيه سالم من هفوة
والناس كلهم صديق صاحب
بالجامع الأقصى وجامع جلق
فيها وذاك طراز عمري لو بقي
والرزق فوق كفاية المسترزق
داع وطالب دعوة بترفق

(٢٣) تاريخ ابن الفرات ٧٤/٨ - ٧٥ ، الأنس الجليل ١٣٦/٢ ، شذرات الذهب ٤٠١/٥ .

(٢٤) ولد سنة ٦٩٣هـ بحماة ، وسمع فيها ، وسمع بدمشق ، وحصل على اجازات عديدة .

ثم درس بالقاهرة العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية ، وحصل على اجازات أيضا .

ولي قضاء القدس سنة ٦٨٧هـ ، ثم نقل الى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٠هـ ،

وجمع له بين القضاء ومشيخة الشيوخ ، ثم نقل الى دمشق ، وجمع له بين القضاء

والخطابة ومشيخة الشيوخ ، ثم أعيد الى مصر . واشتغل بدر الدين بالتدريس أيضا .

ولي بدر الدين خطابة القدس . وكان يخطب من انشائه . وكان بدر الدين صاحب

مصنفات في الفقه ، والحديث ، والأصول ، والتواريخ . وكان صاحب نظم ونثر

وخطب . توفي بدر الدين سنة ٧٣٣هـ . (أنظر : فوات الوفيات ٢/٢٩٧ ، ٢٩٨ ،

الدرر الكامنة ٣/٣٦٧ - ٣٦٩ ، نكت الهميان ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، الوافي بالوفيات ٢/١٨ ،

١٩ ، طبقات الاستوي ١/٢٨٦ ، درة الحجال ٢/١١١ ، شذرات الذهب ١٠٥/٦ ، ١٠٦) .

(٢٥) الوافي بالوفيات ٢/١٩ ، نكت الهميان ٢٣٦ .

وكان بدر الدين يخطب من انشائه ، ويؤدي خطابته بفصاحة كما يقول ابن حجر العسقلاني ، وصلاح الدين الصفدي (٢٦) .

وكان بدر الدين محدثاً قوي المشاركة في الحديث ، وكان كذلك في الفقه ، والأصول ، والتفسير ، والعربية ، وغيرها . واشتغل بدر الدين بالتدريس ، وقيل انه كان يدرّس رسالة له في الاسطرلاب (٢٧) . وكان يدرّس العلوم الأخرى التي تقدم ذكرها . وقصد بدر الدين بالفتوى (٢٨) .

ومن الواضح أن بدر الدين لم يقتصر على الخطابة بالأقصى ، فقد ولي الامامة فيه ، وولي القضاء في القدس ، واشتغل بالتدريس كما تقدم . وكان دوره فعالاً في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، في الفترة التي تولى فيها الخطابة والامامة والقضاء والتدريس .

وولي الخطابة بالأقصى قاضي القضاة الشيخ الامام بدر الدين أبو اليسر محمد بن عبد القادر الأنصاري الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن الصائغ (٢٩) ، وخطب بالمسجد الأقصى حوالي سنة ٧٢٧هـ .

وذكر أنه خطب مدة مديدة (٣٠) . وكان بدر الدين المذكور قد درس في دمشق ، وسمع الكثير ، ثم درّس في عدد من مدارسها ،

(٢٦) فوات الوفيات ٣/٣٩٧ ، الوافي بالوفيات ٢/١٨ ، نكت الهميان ٢٣٥ ، الدرر الكامنة ٣/٣٦٨ .

(٢٧) الوافي بالوفيات ٢/١٩ .

(٢٨) الدرر الكامنة ٢/٣٦٩ .

(٢٩) ولد سنة ٦٧٦هـ بدمشق ، ونشأ وتعلم فيها ، فقرأ الفقه ، وسمع الحديث . اشتغل

بالتدريس ، وحدث وأمتنع عن تولي القضاء . وكان على طريقة حميدة ، وملازمة

للصلحاء والأخيار . توفي سنة ٧٢٩هـ بدمشق . (أنظر : شذرات الذهب ٦/٩٢ ،

الدارس ١/٢٣٨ ، ٢٣٩) .

(٣٠) فوات الوفيات ٣/٢٩٣ .

وحدثت (٣١) ، وأغلب الظن أنه فعل مثل ذلك عندما ولي الخطابة في بيت المقدس .

ووليها بعد وفاته في سنة ٧٢٩هـ ، قاضي القضاة عماد الدين أبو حفص عمر بن عبد الرحيم النابلسي الشافعي (٣٢) ، وقد وليها مدة ، وولي الى جانبها ، القضاء في نابلس . وفي أخريات حياته ، ولي القضاء في القدس .

وكان عماد الدين معتنيا بالحديث ، فشرح صحيح مسلم ، وحدثت . واستمر كذلك الى أن توفي في سنة ٧٣٤هـ في بيت المقدس (٣٣) .

ثم وليها عوضا عنه الخطيب العلامة زين عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكناني (٣٤) ، ووليها الى أن توفي سنة ٧٣٩هـ (٣٥) .

وفي السنة المذكورة ، وليها ابنه قاضي القضاة شيخ الاسلام برهان الدين أبو اسحق (٣٦) ، وقد كتبت الخطابة بأسمه ، ولكنه لم يباشرها ،

(٣١) ذيل تذكرة الحفاظ ٢٢١ ، شذرات الذهب ١٩٢/٦ ، الدارس ٢٣٨/١ .

(٣٢) ولد سنة ٦٧٠هـ ، وثنا وتعلم في دمشق ، وأخذ عن علمائها ، وحصل على الاذن بالافتاء . اشتغل بالخطابة ، وعني بالحديث كما تقدم . وتوفي عماد الدين سنة ٧٣٤هـ في بيت المقدس . (انظر : الأانس الجليل ١٣٧/٢) .

(٣٣) الدرر الكامنة ٢٤٦/٢ ، الأانس الجليل ١٣٧/٢ ، شذرات الذهب ١٠٨/٦ .

(٣٤) وهو عبد الرحيم بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة ، ولي الخطابة في بيت المقدس ، وخلع عليه بذلك من دمشق . (انظر : الدرر الكامنة ٤٦٩/٢ ، الأانس الجليل ١٣٧/٢ ، شذرات الذهب ١٢١/٦) .

(٣٥) الدرر الكامنة ٤٦٩/٢ ، الأانس الجليل ١٣٧/٢ ، شذرات الذهب ١٢١/٦ .

(٣٦) ولد سنة ٧٢٥هـ ، وتلقى العلم على جده ووالده وعمه ، فقد كان بنو جماعة مشهورون بنبوغ عدد كبير من العلماء فيهم . وسبح برهان الدين الكثير بمصر والشام كما تقدم . وكان من الذين من كبار العلماء في بيت المقدس ، وقد قام بدور سياسي واجتماعي من شأنه ان يبرز في (انظر : كنهيل الصافي ٧٩ ، الدرر الكامنة ٣٩/٦ ، شذرات الذهب ١٠٨/٦) .

فقد كان صغيراً لا يتجاوز أربعة عشر ربيعاً من العمر ، فاستناب ابن عمه نجم الدين أبا عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن جماعة ، وقد ناب عنه في الخطابة بالأقصى ، والتدريس بالصلاحية . وحدث نجم الدين ، وروى عنه ولده وغيره (٣٧) .

باشر برهان الدين الخطابة والتدريس بعد أن كبر ، وأصبح مؤهلاً لتوليها ، فقد تلقى العلم على جده ووالده وعمه ، وغيرهم من بني جماعة المشهورين في العلم . ورحل إلى مصر والشام ، وأخذ عن أشهر العلماء فيهما ، وسمع الحديث ، ودرس الفقه والعربية وغيرهما من العلوم . وجد في التحصيل إلى أن انتهت إليه رياسة العلماء في زمانه كما يقول ابن حجر العسقلاني (٣٨) .

لم نتبين السنة التي باشر برهان الدين الخطابة فيها بالتحديد ، ولكنه «انقطع ببيت المقدس عليها» . وعمر برهان الدين «المنبر الرخام بالصخرة الشريفة ، وكان قبل ذلك من الخشب» ، وكان يخطب عليه خطبة العيد ، كما كان يخطب عليه للاستسقاء أيضاً (٣٩) .

واشتغل برهان الدين بالتدريس ، وبأشره بالمدرسة الصلاحية في سنة ٧٦١هـ بعد صلاح الدين العلائي . وكان برهان الدين مجيداً في تدريسه ، حسن اللقاء له ، وكان محباً للآداب ، مغرماً باقتناء الكتب ، وقد اقتنى مكتبة ضمت الكثير من الكتب النفيسة (٤٠) .

واستمر برهان الدين مشغولاً بالخطابة والتدريس في بيت المقدس ، إلى أن ولي القضاء بمصر في سنة ٧٧٣هـ ، وبقي كذلك حتى سنة ٧٧٩هـ ، ثم عاد إلى بيت المقدس ، وباشر الخطابة فيه على عادته . وفي سنة ٧٨١هـ ،

(٣٧) الضوء اللامع ٢٨٢/٧ .

(٣٨) الدرر الكامنة ٩٣/١ - ٤٠ .

(٣٩) الأنس الجليل ١٩/٢ ، ١٠٨ .

(٤٠) الدرر الكامنة ٣٩/١ ، أنباء الفجر ٣٥٥/١ ، الأنس الجليل ١٠٧/٢ .

ولي برهان الدين القضاء ثانية بمصر ، واستمر فيه حتى سنة ٧٨٤هـ .
وفي السنة التي تليها ، ولي القضاء والخطابة بدمشق ، وأضيف إليه
مشيخة الشيوخ ، وبقي كذلك الى أن توفي في دمشق سنة ٧٩٠هـ .

ومن الجدير بالاشارة أن برهان الدين صنف مصنفا في التفسير ،
وغيره (٤١) .

يتبين لنا مما تقدم ، أن برهان الدين قام بدور كبير في الحركة الفكرية
في بيت المقدس ، ولم يقتصر دوره في ذلك ، فقد تعداه الى مصر والشام
كما تقدم .

وعندما كان برهان الدين متوليا القضاء بمصر ، ناب عنه ابن عمه
عماد الدين اسماعيل بن ابراهيم بن جماعة (٤٢) ، فتولى الخطابة بالأقصى،
والتدريس بالصلاحية ، واشتغل بالافتاء ، واستمر كذلك الى أن توفي
سنة ٧٧٦هـ . وكان عماد الدين قد تلقى تعليمه في القدس ومصر ومكة
وغيرها (٤٣) .

وبعد سنة ٧٧٦هـ ، ناب عنه - برهان الدين - ابن عمه نجم الدين
ابن جماعة كما تقدم .

ولما توفي برهان الدين سنة ٧٩٠هـ ، ولي الخطابة ابنه محب الدين
أحمد ، وولي التدريس بالصلاحية ، ولكنه لم يباشرهما لأنه كان صغيرا ،
وكان والده قد كتب توقيعا بأن يكون نجم الدين نائبا عن والده في حياته ،
مستقلا بها بعد وفاته .

(٤١) المنهل الصافي ٧٩ ، الدرر الكامنة ٣٩/١ ، انباء النمر ٣٥٥/١ ، الأنس الجليل ١٠٧/٢ ،
١٠٨ .

(٤٢) ولد سنة ٧١٠هـ . واشتغل بالقضاء بمصر نيابة ، كما اشتغل بالخطابة والتدريس .
أشاد به ابن حجر العسقلاني . فوصفه بأنه كان فاضلا ، مُدرسا . (أنظر : الدرر
الكامنة ٣٨٧/١ ، الأنس الجليل ١٣٨/٢ ، شذرات الذهب ٢٤١/٦) .

(٤٣) الدرر الكامنة ٣٨٧/١ ، الأنس الجليل ١٣٨/٢ ، شذرات الذهب ٢٤١/٦ .

بأمر نجم الدين الخطابة بالأقصى ، والتدريس بالصلاحية ، وأقام في دار الخطابة بالأقصى ، واستمر يباشرهما نيابة إلى أن توفي محب الدين سنة ٧٩٥هـ ، فوليها استقلالاً ، وصدر مرسوم أو توقيع سلطاني بتولية نجم الدين الخطابة والتدريس ، ولكنه توفي في السنة ذاتها قبل مباشرتهما استقلالاً (٤٤) .

وولي الخطابة بالقدس عماد الدين اسماعيل بن أحمد بن علي الحلبي الشافعي (٤٥) . وكان قد طلب العلم في حلب ودمشق وغيرهما . وولي قضاء بعلبك ، ثم ولي خطابة القدس كما تقدم . وبعد فترة ، ولي قضاء الشوبك ، ثم قضاء القدس أيضاً . وشارك عماد الدين في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، فحدث ، ودرّس ، وأفتى ، واستمر يؤدي دوره إلى أن توفي حوالي سنة ٧٩٩هـ في بيت المقدس (٤٦) . ثم وليها قاضي القضاة عماد الدين أبو عيسى أحمد بن عيسى بن موسى العامري الأزرق الكركي الشافعي (٤٧) . وولي إلى جانبها الإمامة بالأقصى ، والتدريس بالصلاحية . واستمر يؤدي دوره إلى أن توفي سنة ٨٠١هـ في بيت المقدس (٤٨) .

ومما يلفت النظر ، أن انحرافاً حدث ، وتمثل في تولي الخطابة خطباء قد لا يكونون جديرين بها ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أن قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن غانم المقدسي النابلسي ، وليها بمال بذله في سنة ٨٠١هـ . وكان قبل ذلك ، قد تولى قضاء نابلس ، وقضاء صفد . وأضاف

(٤٤) الأنس الجليل ١٠٨/٢ ، ١٠٩ .

(٤٥) شذرات الذهب ٣٥٣/٦ .

(٤٦) شذرات الذهب ٣٥٣/٦ .

(٤٧) ولد بالكرك في سنة ٧٤١هـ وقيل ٧٤٢هـ ، وطلب العلم فيها ، فقرأ على والده وغيره . ورحل إلى الشام والقاهرة في طلب الحديث ، وأخذ عن جماعة . اشتغل بالقضاء ، وولي قضاء الكرك بعد والده . واشتغل بالخطابة والإمامة والتدريس كما تقدم . (أنظر : الأنس الجليل ١٠٩/٢) .

(٤٨) الأنس الجليل ١٠٩/٢ .

مجير الدين أن القاضي جمال الدين عبد الله بن السائح ، قاضي الرملة ، سعى عليه - جمال الدين يوسف - بمائة ألف درهم ، فتولاها لمدة ثلاثة أشهر فحسب ، ثم عزل ، ووليها قاضي القضاة الامام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر بن خليفة الناصري الباعوني الشافعي (٤٩) . وكان شهاب الدين المذكور قد نشأ وتعلم في الناصرة وصفد ، ثم توجه الى دمشق ، وأخذ عن علمائها ، وحصل على الاجازة ، ثم رجع الى بلده ، وأقام في صفد الى بُعيد سنة ٧٩٠هـ .

واشتغل شهاب الدين خطيباً بالجامع الأموي ، وتولى القضاء في دمشق سنة ٧٩٣هـ ، واشتغل بالتدريس ، فدرّس الفقه والتفسير في مدارس متعددة ، وولي مشيخة الشيوخ فيها .

وبعد هذا الاشتغال بالعلم ، والخبرة بالخطابة ، ولي شهاب الدين الخطابة في بيت المقدس ، وكان ذلك في سنة ٨٠٢هـ .

وشارك شهاب الدين في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، وأخذ عنه طالبو العلم . وذكر ابن حجر العسقلاني أنه اجتمع به في بيت المقدس ، وسمع عليه جزءاً في الحديث ، وسمع من نظمه وفوائده . وكان شهاب الدين «خطيباً بليغاً له اليد الطولى في النظم والنثر» . وكان ذا قدرة «على ارتجال الخطب» ، مع جميل المحاضرة ، وحسن المذاكرة . واستمر شهاب الدين على هذا الحال ، الى أن عاد الى دمشق ، وتولى الخطابة بالجامع الأموي (٥٠) .

(٤٩) ولد بقرية الناصرة من أعمال صفد حوالي سنة ٧٥٢هـ ، فقيل له الناصري . وكان أبوه من باعون ، وهي قرب عجلون ، ومن أعمال صفد ، ثم انتقل الى الناصرة ، ولهذا قيل له الباعوني . توفي سنة ٨١٦هـ . (انظر : انباء الغمر ٢/٢٠ - ٢٢ ، الضوء اللامع ٢/٢٣١ - ٢٣٢ ، الأنس الجليل ٢/١٣٩ ، شذرات الذهب ٧/١١٨ - ١١٩) .

(٥٠) انباء الغمر ٢/٢٠ - ٢٢ ، الضوء اللامع ٢/٢٣١ - ٢٣٣ ، الأنس الجليل ٢/١٣٩ ، شذرات الذهب ٧/١١٨ - ١١٩ .

وباشر ابنه برهان الدين ابراهيم^(٥١) خطابة بيت المقدس ، وكان من كبار العلماء ، وولي الخطابة بالجامع الأموي في فترة لم تحدد بالضبط . وذكر السخاوي أن برهان الدين المذكور «جمع ديوان خطب من انشائه ، وديوان شعر من نظمه» وغير ذلك . ووصفه السخاوي «بشيخ الأدب بالبلاد الشامية» ، وأخذ عنه الفضلاء^(٥٢) .

وذكر برهان الدين القدس في شعره ، وذلك بصدد الحديث عن كتاب «السماط» في النحو لشهاب الدين بن الهائم ، شيخ الصلاحية ، فقال في صغره^(٥٣) :

لفتى الهائم فهم قد محا الاشكال محوا
مداً بالقدس ساطما أشبع الطلاب نحو^(٥٤)

وفي سنة ٨٠٩هـ ، باشر الخطابة بالمسجد الأقصى قاضي القضاة شيخ الاسلام جمال الدين عبد الله بن محمد بن جماعة الكناني المقدسي الشافعي ، نيابة . وجمع بينها وبين التدريس ، فقد عيّن معيدا في الصلاحية في السنة المذكورة . ثم باشرها استقلالا في سنة ٨١٢هـ ، وولي الامامة بالأقصى أيضا . وكان جمال الدين قد ولي الخطابة عوضا عن

(٥١) ولد سنة ٧٧٧هـ بصغد ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن ، تلاوة وتجويدا ، وحفظ كتبا في الفقه . ثم انتقل مع أبيه الى الشام طالبا العلم ، فدرس الفقه والأدب ، ثم طلب العلم في مصر ، وأخذ عن أشهر علمائها ، ثم عاد الى بلده ، اشتغل برهان الدين بالخطابة بالجامع الأموي ، وولي مشيخة الشيوخ ، وامتنع من القضاء . واشتغل برهان الدين بالتدريس . صنف مصنفات في اللغة ، وله شعر وخطب ورسائل ، وبرع في فن الانشاء وصناعة الأدب والترسل والنظم . توفي سنة ٨٧٠هـ . (انظر : الضوء اللامع ٢٦/١ - ٢٩ .

(٥٢) الضوء اللامع ٢٦/١ - ٢٩ .

(٥٣) نفسه ٢٨/١ - ٢٩ .

(٥٤) السمات : كتاب في النحو ، كما تقدم .

الشيخ الامام زين الدين عبد الرحيم بن علي الشهير بالحموي (٥٥) ، فقد كان الحموي المذكور خطيب المسجد الأقصى في عهد الملك الناصر فرج ابن برقوق . وكان الحموي خطيبا جيدا ، وشارك في الحركة الفكرية و «اجتمع عليه الناس للوعظ ، والتفسير ، وقراءة الحديث» (٥٦) .

تقدم القول في أن الخطابة كانت مشاركة بين عدد من الخطباء بالمسجد الأقصى . ذكر مجير الدين الحنبلي أنه «كان اشترك بني القرقشندي وبني جماعة في الخطابة بالقدس الشريف من زمن الملك المؤيد شيخ قبل العشرين والثمانمائة» (٥٧) . وفي سنة ٨١٥ هـ ، باشر جمال الدين الخطابة مشاركة ، فقد شارك فيها شرف الدين عبد الرحمن بن محمد القرقشندي المقدسي الشافعي (٥٨) .

واشتغل جمال الدين بالقضاء في بيت المقدس ، وولي مشيخة الصلاحية سنة ٨٥٠ هـ . وكان جمال الدين مشتغلا بالافتاء أيضا ، وكانت «الفتاوي تأتي اليه من ضواحي القدس ، والصلت ، وعجلون ، والكرك» ، وغيرها . واستمر يؤدي دوره الكبير في الحركة الفكرية في بيت المقدس وأخذ عنه طالبو العلم ، وكان السخاوي واحدا منهم ، فقد ذكر أنه قرأ على جمال الدين في بيت المقدس والقاهرة .

(٥٥) قال ابن حجر : « تعاني عمل المواعيد ، فبرع فيها ، واشتهر ، وأثرى . وقدم القاهرة بعد اللنكية فاستوطنها الى أن مات سنة ٨٤٨ هـ . وكان قد اشتهر اسمه ، وطار صيته . وكان يقرأ صحيح البخاري في رمضان » . (أنظر : الأنس الجليل ١٤٠/٢ ، شذرات الذهب ٢٦٢/٧) .

(٥٦) الأنس الجليل ١٤٠/٢ ، شذرات الذهب ٢٦٢/٧ .

(٥٧) الأنس الجليل ١٣٩/٢ ، ١٤٠ .

(٥٨) ولد في أوائل سنة ٧٨٢ هـ في بيت المقدس ، ونشأ وتعلم فيه ، وأخذ عن أبيه وغيره . وسمع في القدس و نابلس ودمشق ، وقد سمع بصحبة ابن حجر العسقلاني . ثم حدث ، واشتغل بالتدريس والافتاء والخطابة ، ودرس في عدد من المدارس في بيت المقدس . وله نظم . ومصنفات ، توفي سنة ٨٢٦ هـ ، وقيل ٨٢١ هـ . (أنظر : انباء الغمر ٣/٣٦٦ ، الضوء اللامع ١٢٢/٤ - ١٢٤ ، الأنس الجليل ١٣٩/٢) .

ولا يفوتنا أن نشير الى الدور السياسي والاجتماعي الذي قام به ،
كما سنتبينه فيما بعد . واستمر جمال الدين يؤدي دوره الى أن توفي
سنة ٨٦٥هـ (٥٩) .

وباشر الخطابة بالأقصى قاضي القضاة شيخ الاسلام نجم الدين
محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن جماعة الكناني المقدسي الشافعي .
وباشر التدريس بالصلاحية بعد وفاة جده جمال الدين سنة ٨٦٥هـ .
ثم جمع بين الخطابة والتدريس والقضاء في سنة ٨٧٢هـ بعد وفاة والده
واستمر نجم الدين يؤدي دوره ذلك الى أن توفي سنة ٩٠١هـ (٦٠) .

وأما الشيخ شرف الدين عبد الرحمن ، فقد اشتغل بالتدريس
والافتاء ، ودرّس في مدارس عديدة في بيت المقدس ، وحدث بالقدس ،
كما حدث بالقاهرة ، حيث توجه اليها أكثر من مرة . واستمر شرف
الدين يؤدي دوره في الحركة الفكرية في بيت المقدس الى أن توفي سنة
٧٢١هـ غالبا (٦١) .

ثم ولي الخطابة بالأقصى ، الخطيب شهاب الدين أبو حامد عبد الرحيم
القرقشندي (٦٢) ، في سنة ٨٢١هـ . وحدث شهاب الدين ، ودرّس
بالصلاحية . وذكر مجير الدين الحنبلي أن الرحالين رواوا عن شهاب الدين
المذكور (٦٣) .

وفي سنة ٨٦٩هـ ، وليها عوضا عنه الحافظ العلامة شيخ الاسلام
شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله الكناني الشافعي المقدسي ،

(٥٩) أنظر : الضوء اللامع ٥١/٥ - ٥٢ ، الأنس الجليل ١١٤/٢ - ١١٥ ، نظم العيان ١٢١ .

(٦٠) الضوء اللامع ٢٥٦/٦ ، الأنس الجليل ١١٦/٢ ، الكواكب السائرة ٢٥/٢ - ٢٦ .

(٦١) انباء الغمر ٣١٦/٢ ، الضوء اللامع ١٢٢/٤ - ١٢٤ ، الأنس الجليل ١٣٩/٢ .

(٦٢) ولد في سنة ٨٠٠هـ ، وطلب العلم ، واشتغل به . وسمع الحديث ، ثم اشتغل
بالتدريس ، فعين معيدا بالصلاحية ، وحدث . توفي سنة ٨٦٩هـ . (الأنس الجليل

١٤٠/٢ - ١٤١) .

(٦٣) الأنس الجليل ١٤٠/٢ - ١٤١ .

وكان أبو العباس المذكور متصدرا للتدريس بالأقصى ، وكان الواعظ فيه . وقد أناب عنه ابنه قاضي القضاة شمس الدين محمد (٦٤) ، وخطب في يوم الجمعة سنة ٨٦٩هـ (٦٥) .

ثم تولى بدلا منه الخطيب علاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الرحيم القرقيشندي الشافعي (٦٦) ، وهو أخو شهاب الدين أحمد المتقدم ذكره . واشتغل علاء الدين بالتدريس أيضا ، فأعاد بالصلاحية ، كما أقرأ بالكرمية والطازية في بيت المقدس . وكان السخاوي ممن قرأوا عليه كما يقول . واستمر علاء الدين كذلك الى أن توفي سنة ٨٧٤هـ (٦٧) .

ولي بعده ابنه الخطيب برهان الدين ابراهيم (٦٨) ، فباشر الخطابة بالأقصى ، والتدريس بالصلاحية ، والكرمية والطازية . واستمر يؤدي دوره خطيبا ومدرسا الى أن توفي حوالي سنة ٨٧٩هـ (٦٩) .

(٦٤) ولد في سنة ٨٢٨هـ بنابلس ، وانتقل منها الى القاهرة مع أبيه ، فحفظ القرآن ، وكتبا في الفقه والنحو ، وعرض محفوظه على عدد من العلماء ، وسمع على جماعة . وذكر السخاوي أنه لقيه بمكة سنة ٨٩٤هـ . وجاور بمكة في سنة ٨٩٨هـ . (أنظر : الضوء اللامع ٢٢٧/٦ ، الأنس الجليل ١٤١/٢) .

(٦٥) الضوء اللامع ٢٢٧/٦ ، الأنس الجليل ١٤١/٢ .

(٦٦) نشأ بالقدس ، وتعلم فيها ، فقرأ القرآن ، وحفظ كتبا في الفقه والنحو . ودرس على عدد من العلماء . درس بالصلاحية طالبا ، ثم درس فيها . وذكر السخاوي أنه لقي علاء الدين المذكور في بيت المقدس ، وقرأ عليه . (أنظر : الضوء اللامع ٢٣٩/٥ ، الأنس الجليل ١٤١/٢ ، ١٤٢) .

(٦٧) الضوء اللامع ٢٣٩/٥ ، الأنس الجليل ١٤١/٢ ، ١٤٢ .

(٦٨) باشر برهان الدين الخطابة بمشاركة بالمسجد الأقصى ، واستقر في نصفها الى أن مات ، وهو عائد من الحج ، في سنة ٨٧٩هـ ، وقيل ٨٧٧هـ . (أنظر : الضوء اللامع ٨٤/١ ، الأنس الجليل ١٤٢/٢) .

(٦٩) الضوء اللامع ٨٤/١ ، الأنس الجليل ١٤٢/٢ ، ٢٩٥ .

ومما يلفت النظر ، أن المشاركة في خطابة الأقصى ، كانت بين عدد من العلماء ، فواحد بيده النصف ، وثان بيده الربع ، وثالث بيده الثمن ، وهكذا . ذكر مجير الدين الحنبلي أنه ولي الخطابة بالأقصى مشاركة شيخ الشيوخ الخطيب محب الدين أبو البقاء أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن جماعة الكناني الشافعي (٧٠) ، وأنه ولي ما كان بيد برهان الدين القرقشندي المذكور ، «وهو نصف الخطابة ، مضافا لما بيده وهو الثمن ، ثم عزل من النصف المذكور ، ثم أعيد إليه الربع منه» (٧١) .

واستمر محب الدين خطيبا مشاركة ، ومتوليا الخانقاه الصلاحية مشاركة أيضا ، ومعيدا بالمدرسة الصلاحية حتى سنة ٨٨٢هـ (٧٢) .

وكان الخطيب أبو الحزم محمد بن تقي الدين أبي بكر القرقشندي ، قد استقر في نصف خطابة الأقصى ، في سنة ٨٨٢هـ عوضا عن محب الدين ابن جماعة ، وخطب بالمسجد الأقصى في «يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة» ، وقرأ في أول ركعة : «ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم» (٧٣) كما تقدم .

وذكر مجير الدين الحنبلي أن الشيخ زين الدين عبد الكريم بن علي المغربي الخليلي ثم المقدسي الشافعي (٧٤) ، ناب في الخطابة بالمسجد

(٧٠) اشتغل بالعلم ، وسمع على جده . كما سمع على تقي الدين القلقشندي . تمييز محب الدين بالفرائض . وذكر السخاوي أنه سمع منه في بيت المقدس . توفي سنة ٨٨٩هـ .
(أنظر : الضوء اللامع ١/١٩٥ ، الأنس الجليل ٢/١٤٢ ، ١٤٣) .

(٧١) الضوء اللامع ١/١٩٥ ، الأنس الجليل ٢/١٤٢ .

(٧٢) الأنس الجليل ٢/١٤٢ .

(٧٣) نفسه ٢/٣١٩ .

(٧٤) ولد في حدود سنة ٨٣٠هـ بالخليل ، ونشأ وتعلم هناك ، فتلا بالروايات السبع على والده ، وشمس الدين بن عمران وغيرهما . كان من الفقهاء بالصلاحية ، والصوفية بالخانقاه . وكان يؤدي القراءة بحسن صوت . كان خيرا فاضلا في القراءات . واشتغل بالاقراء (الأنس الجليل ٢/٢١٠) .

الأقصى ، وأقرأ فيه . وكان ممن باشروا التوقيت بالقدس مدة (٧٥) .
ولم يوضح مجير الدين متى ولي زين الدين المذكور الخطابة نيابة ، ولكن
من المؤيد أنه وليها قبل سنة ٨٩٥هـ حيث توفي في القدس (٧٦) .

وولي الخطابة بالأقصى الشيخ الامام العالم شرف الدين موسى بن
عبد الله بن جماعة ، وقد تقدم ذكره في الحديث عن خطب الاستسقاء .
واستقر شرف الدين مشاركا ببقية الخطباء ، واشتغل بالتدريس معيها
بالصلاحية ، وأخذ عنه الطلبة . واستمر كذلك الى أن توفي سنة
٩١٦هـ (٧٧) .

وهكذا يتضح لنا كيف أن الخطباء بالمسجد الأقصى شاركوا مشاركة
فعالة في الحركة الفكرية ، في بيت المقدس ، في العصرين الأيوبي والملوكي .

* * *

دور الأئمة :

رتب في المسجد الأقصى أربعة من الأئمة ، وهم امام المالكية ، وكان
يصلي في جامع المغاربة الواقع غربي المسجد من جهة القبلة . وامام
الشافعية ، وكان يصلي بالجامع الكبير القبلي المتعارف عند الناس بالمسجد
الأقصى ، وامام الحنفية ، وكان يصلي بقبة الصخرة الشريفة ، وامام
الحنابلة ، وكان يصلي بالمسجد الواقع تحت المدرسة السلطانية ،
بالرواق الغربي خلف منارة باب السلسلة من جهة الشمال (٧٨) . وذكر
أن الوظيفة في امامة الحنابلة قد تركت ، واستقر فيها غير مستحقها ،
لعدم وجود الحنابلة في بيت المقدس . ولما بنيت المدرسة السلطانية

(٧٥) الأنس الجليل ٢/٢١٠ .

(٧٦) نفسه ٢/٢١٠ .

(٧٧) الضوء اللامع ١٠/١٨٤ ، الأنس الجليل ٢/١٤٢ ، شذرات الذهب ٨/٢٧٨ ، الكواكب
الساخرة ١/٣٠٩ .

(٧٨) الأنس الجليل ٢/٣٢ . وانظر : تاريخ الحرم القدسي ١٠٦ .

الأشرفية ، رتب امام الحنابلة للصلاة في المجمع الواقع أسفل المدرسة وكان في سنة ٨٩٠ هـ . ولم يقتصر أمر استقرار الامامة في غير مستحقيها على امامة الحنابلة ، بل شمل امامة المالكية والشافعية والحنفية أحيانا (٧٩) .

وكان للمسجد الأقصى عدد آخر من الأئمة ، وكانوا يأمون «بداخل المسجد الأقصى ، وبمغارة الصخرة ، وعند أبواب المسجد يصلون التراويح في رمضان فقط» ، ولكن كانت «العمدة على الأئمة الأربعة المتقدم ذكرهم» (٨٠) .

وهذا ما كان يجري في صلاة الظهر والعصر ، وأما في صلاة المغرب والعشاء والفجر ، فكانت تصلى على غير ترتيب . وكانت صلاة الجمعة تقام في المسجد الأقصى المعروف ، كما كانت صلاة العيدين ، وصلاة الاستسقاء تقام في المحراب الذي على صحن الصخرة» (٨١) .

لم يقتصر دور الأئمة بالمسجد الأقصى على الامامة في الصلاة ، ولكنهم شاركوا في الحركة الفكرية مشاركة فعالة ، ولكي يتبين دورهم ، نستعرض أولئك الأئمة متبينين الدور الفكري الذي قاموا به الى جانب دورهم الديني المعروف .

قام الأئمة بالمسجد الأقصى بدور فعال في الحركة الفكرية ، فقد اشتغلوا بدور فعال في الحركة الفكرية ، فقد اشتغلوا بالعلم ، وتصدر بعضهم للتدريس بالمسجد الأقصى ، وتولى بعضهم المشيخة أو التدريس بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس . وقام أولئك الأئمة بتدريس الموضوعات المختلفة من قراءات وحديث وفقه ، ولغة ونحو وبلاغة ، وتصوف ، وغير ذلك من الموضوعات المختلفة . ويتبين هذا الدور في الحركة الفكرية في استعراضنا لعدد من الأئمة كما أشرنا فيما تقدم .

* * *

(٧٩) الأنس الجليل ٣٢/٢ .

(٨٠) نفسه ٣٢/٢ .

(٨١) الأنس الجليل ١٥/٢ ، ١٩ ، تاريخ الحرم القدسي/١٠٦ .

قام أئمة المالكية بدور في الحركة الفكرية ، ومنهم الشيخ الامام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن مغيث الأندلسي المالكي (٨٢) ، فقد كان مقرئ بيت المقدس ، وفيه اشتغل بالعلم ، وأخذ عن العلماء في بيت المقدس من أمثال صلاح الدين العلائي وغيره . ثم درّس في بيت المقدس ، وانتقم به الطلبة ، وأخذوا عنه ، وسمعوا منه ، ومنجهم الاجازات . ومن تلامذته الذين سمعوا منه ثم حصلوا على الاجازة : الشيخ تقي الدين القرقشندي (٨٣) .

وهكذا كان ابن مغيث امام المالكية بالمسجد الأقصى ، كما كان متصدرا للتدريس فيه ، ثم نزل عن الامامة والتدريس لسببته الشيخ الامام شمس الدين عبد الواحد بن جبارة المغربي المالكي (٨٤) ، وكان ابن جبارة مقرئا مشهورا في بيت المقدس ، يقرأ بالقراءات السبع ، وكان عارفا بالفرائض والحساب والنحو ، وكان أدبيا شاعرا (٨٥) . وتصدر ابن جبارة للتدريس بالمسجد الأقصى .

ومن هذين المثالين يتبين لنا المستوى العلمي الذي كان الامام يتمتع به من ناحية ، والمشاركة الفعالة في الحركة الفكرية من ناحية أخرى .

ومن الأئمة المالكية أيضا الشيخ خليفة بن مسعود المغربي الجابري المالكي ، وقد ولي مشيخة المغاربة ، وامامة المالكية بالأقصى ، وذلك بعد قدومه الى بيت المقدس سنة ٧٨٤هـ (٨٦) . وكان الشيخ خليفة يتمتع بمكانة مرموقة ، وكان للناس فيه اعتقاد كما يقول السنخاوي (٨٧) .

(٨٢) توفي شهاب الدين سنة ٨٠٨هـ (الأنس الجليل ٢/٢٤٥) .

(٨٣) الأنس الجليل ٢/٢٤٥ .

(٨٤) توفي سنة ٨٢٦هـ (الأنس الجليل ٢/٢٤٦) .

(٨٥) الأنس الجليل ٢/٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٨٦) نفسه ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٨٧) الضوء اللامع ٣/١٨٧ .

ومما يلفت النظر أن الشيخ خليفة كان «يقرى» كلام ابن عربي» على الرغم من الموقف العام من ابن عربي آنذاك كما تقدم . ويدل هذا على اهتمام الوافدين المغاربة بابن عربي ودراسته وتدريسه ، كما يدل على شيء من الحرية الفكرية في بيت المقدس ، والا فكيف استطاع الشيخ خليفة أن يدرّس ابن عربي ؟ وذلك في الوقت الذي كان العديد من العلماء ينتكرون لابن عربي وما يذهب إليه . ولهذا حاول بعضهم الاعتذار عن الشيخ خليفة بأنه «لم يكن يعتقد ما ينسب لابن عربي ، وإنما كان يؤول كلامه غلطا منه بتأويل كلامه» كما تقدم (٨٨) . وواضح من هذا كله ، أن الشيخ خليفة كان ذا مشاركة فعالة في الحركة الفكرية في بيت المقدس، وقد استمر يؤدي دوره الفكري هذا الى أن توفي سنة ٨٣٣هـ في بيت المقدس (٨٩) .

ثم ولي الامامة بالمسجد الأقصى ابنه الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد . وكان شمس الدين مقدسي المولد والنشأة ، فقد ولد في بيت المقدس سنة ٨٠١هـ ، ونشأ وتعلم هناك ، وعني بالفقه المالكي عناية خاصة ، «فحفظ الرسالة في فقه مذهب الامام مالك ، ولقي جماعة من مشايخ الصوفية ، وأخذ الحديث عن جماعة» ، ثم استقر اماما للمالكية بالأقصى بعد وفاة والده . وكان شمس الدين متفرغا للعبادة والعلم . واستمر مشتغلا بالعلم الى أن توفي سنة ٨٨٩هـ في بيت المقدس (٩٠) .

ومنهم من حدث في بيت المقدس مثل الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المغربي الأصل الخليلي ثم المقدسي ، المعروف بابن المغربي ، فقد كان معنيا بالقرآن والحديث ، حفظ القرآن ، وأكثر من تلاوته ، وسمع الحديث على جماعة ، ثم حدث في بيت المقدس ، واستمر ابن

(٨٨) الضوء اللامع ١٨٧/٣ .

(٨٩) الضوء اللامع ١٨٧/٣ ، الأنس الجليل ٢٤٧/٢ .

(٩٠) الأنس الجليل ٢٥٢/٢ ، ٢٥٣ .

المغربي مشغلا بالامامة والحديث الى أن توفي في بيمارستان بيت المقدس
سنة ٨٩٢هـ (٩١) .

ومن الجدير بالاشارة ن أئمة المالكية هؤلاء كانوا ممن وفدوا الى
بيت المقدس ، أو ممن ولدوا ونشأوا فيه ، وهم من أصل مغربي .
ومعروف أن المذهب المالكي هو المذهب المشهور في المغرب . ومن هذا يتبين
لنا أيضا أن الوافدين الى بيت المقدس ، كانوا يشاركون مشاركة فعالة
في الحركة الفكرية . ويتبين لنا دور أئمة المالكية بالأقصى جليا ،
وبخاصة في الفقه المالكي ، والحديث ، والقراءات ، والتصوف ، وغير
ذلك .



وقام الأئمة الشافعية بدور فعال في الحركة الفكرية. أيضا ، ومنهم
قاضي القضاة شيخ الاسلام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
ابن جماعة الكناني الحموي الأصل المقدسي الشافعي ، وهو مقدسي المولد
والنشأة ، وتلقى العلم : الحديث والفقه والأصول والعلوم العقلية وغيرها
في بيت المقدس والقاهرة ، وحصل على الاجازات ، وأصبح من كبار العلماء
في بيت المقدس ، ثم اشتغل بالتدريس والخطابة الى جانب الامامة ، فقد
ولي مشيخة المدرسة الصلاحية ، والخطابة بالمسجد الأقصى ، وأخذ عنه
الكثيرون من طالبي العلم من أمثال شمس الدين السخاوي . وشارك
جمال الدين في الافتاء ، فقد كانت الفتاوي تأتي اليه من ضواحي القدس
والصلت وعجلون والكرك وغيرها (٩٢) كما تقدم . وسنفضل القول في
حياة الشيخ جمال الدين العلمية في الحديث عن المدرسة الصلاحية في بيت
المقدس .

(٩١) الأنس الجليل ٢/٢٥٣ .

(٩٢) أنظر : الضوء اللامع ٥/٥١ ، ٥٢ ، الأنس الجليل ٢/١٤ - ١١٥ ، نظم العيان ١٢٦ .

ومنهم الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد
القرمي الشافعي (٩٣) ، فقد كان «من أعيان بيت المقدس ، وفقهاء المدرسة
الصلاحية» ، الى جانب الامامة بالمسجد الأقصى (٩٤) .

ومنهم الشيخ كريم الدين أبو المكارم عبد الكريم بن داود بن أبي
الوفا الحسيني المقدسي البدري الوفاي ، المعروف بابن أبي الوفاء ،
وهو مقدسي المولد والنشأة ، فقد درس الفقه والقراءات والحديث على
كبار العلماء في بيت المقدس وغيره ، وبلغ شيوخه الذين أخذ عنهم مائة
شيخ . وحصل ابن أبي الوفاء على الاجازات ، وأصبح من أشهر القراء في
بيت المقدس ، وصار المشار اليه في القراءات . واشتغل ابن أبي الوفاء
مقرئاً ومدرسا الى جانب الامامة بالأقصى . وأخذ عنه الكثير من طالبي
العلم بالمسجد الأقصى ، والمدرسة الصلاحية ، واستمر يؤدي دوره في
الحركة الفكرية الى أن توفي سنة ٨٩٥هـ (٩٥) .

وكان الفقيه شرف الدين قاسم بن سليمان الحوراني (٩٦) امام قبة
موسى ، عليه السلام ، واشتغل بالتدريس الى جانب الامامة ، فقد باشره
بالمدرسة الدويدارية في بيت المقدس ، وكان مشرفا عليها مشاركة (٩٧) .

* * *

وقام الأئمة الحنفية بدور فعال في الحركة الفكرية أيضا ، ومنهم
الشيخ العلامة سعد الدين سعد الله بن حسين الفارسي الحنفي ، وكان
اماما بالصخرة الشريفة . وقد عين اماما في السنة التي قدم فيها الى بيت

(٩٣) توفي سنة ٨٦٧هـ ، ودفن عند والده وجده بالزاوية « زاوية محمد القرمي » . (انظر :

الأنس الجليل ١٨٨/٢) .

(٩٤) الأنس الجليل ١٨٨/٢ .

(٩٥) انظر : الضوء اللامع ٣٠٩/٤ ، الأنس الجليل ٢١١/٢ .

(٩٦) قدم الى بيت المقدس ، وذكر مجير الدين الحنبلي أنه كان موجودا هناك في سنة ٦٩٦هـ .

وكانت له صلة بالأمير سنجر الدويدار واقف الدويدارية . (انظر : الأنس الجليل

١٥٢/٢) .

(٩٧) الأنس الجليل ١٥٢/٢ .

المقدس ، وهي سنة ٨٧٧هـ ، وكان من أشهر القراء آنذاك ، فقد «حفظ القرآن ، وأتقنه بالروايات ، ثم قدم الى دمشق ، فأخذ القراءات عن أشهر القراء فيها أيضا ، «وتميز فيها ، وشارك في علوم أخرى . ثم توجه سعد الدين الى القاهرة ، فأخذ فيها عن سعد الدين الديري العالم المشهور . كل هذا قبل قدومه الى بيت المقدس .»

لم يقتصر عمل الشيخ سعد الدين على الامامة ، فقد عمل في الافتاء والتدريس ، وتصدى لاقراء القرآن ، و «تصدر بالصخرة الشريفة لاشتغال الطلبة ، والتدريس ، والفتوى . وانتفع به جماعة من فقهاء الحنفية» . وكان سعد الدين مباشرا النظر في الأوقاف المضافة الى امامة الصخرة . واستمر يباشر الامامة والتدريس والافتاء وغيرها الى أن توفي سنة ٨٩٠هـ في بيت المقدس (٩٨) .

كان الأئمة ذوي مستوى علمي كبير ، كما تقدم في الحديث عن سعد الدين الفارسي ، ومثله كان قاضي القضاة الامام خير الدين محمد بن محمد ابن عمران الغزي الأصل ثم المقدسي الحنفي ، فقد طلب العلم ببلده غزة ، وقرأ القرآن بالروايات على والده ، ثم سافر الى مصر ، وأخذ عن علمائها ، وحصل على الاذن بالافتاء والتدريس . وكان قد «برع في مذهب الامام الأعظم أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، وتميز وصار من الأعيان المعتمدين» . ثم ولي قضاء الحنفية بالقدس ، وباشر القضاء ، ثم استقر في الامامة بالصخرة الشريفة .

واشتغل خير الدين «بالعلم وقراءة القرآن والحديث ، وانتهت اليه رئاسة مذهب أبي حنيفة بالقدس ، وتصدر للافتاء والتدريس ، ودرّس بالمعظمية ، ونسخ بخطه الكثير من المصاحف الشريفة، وكتب الحديث، والفقه، وغير ذلك» ، وعمل طريقة في المصحف الشريف كما تقدم (٩٩) .

(٩٨) أنظر : الضوء اللامع ٢/٢٤٦ ، الانس الجليل ٢/٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٩٩) أنظر : الانس الجليل ٢/٢٣٩ - ٢٤٠ .

دور الوعاظ :

كان للوعاظ في بيت المقدس دور في الحركة الفكرية ، وكانوا يعقدون مجالس خاصة بالمسجد الأقصى .

بدا أثر الوعظ واضحا في العصرين الأيوبي والمملوكي في بيت المقدس ، فقد ذكر أن مجالس الوعظ عقدت للحث على الجهاد ، أو لنتقد بعض حكام المسلمين الذين قصروا في الحرب أو تساهلوا مع الفرنج ، ومن ذلك مجلس عقده سبط بن الجوزي ، وندد فيه بالملك الكامل الأيوبي لتنازله عن بيت المقدس وتسليمه للصليبيين سنة ٦٢٦هـ . وفي مجلس للوعظ رثيت القدس بعد التنازل عنها . وغالبا ما كان الوعظ يجري في المسجد ، وقد يكون في ميدان القتال(١٠٠) .

وعندما حرر السلطان صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ ، صلى المسلمون صلاة الجمعة بالمسجد الأقصى ، وخطب القاضي محيي الدين بن الزكي خطبة الجمعة ، ثم «نصب سرير الوعظ تجاه القبلة ، فجلس عليه الشيخ الامام الفقيه الواعظ المفسر زين الدين أبو الحسين علي بن ابراهيم بن نجا بن غانم الأنصاري الدمشقي ، المعروف بابن نجية الحنبلي(١٠١) ، وعقد مجلسا للوعظ ، وكان مجلسه «حافلا حصل له الأانس والبهجة والخشوع(١٠٢) ، وليت المصادر ذكرت ما قاله ابن

(١٠٠) أنظر : مفرج الكروب ٢٤١/٤ - ٢٤٦ ، كتاب الروضتين ٢/٢٥٠ - ٢٠٦ ، مرآة الزمان ، ج١ق٢/٦٥٤ - ٦٥٧ ، المنتصر ٤٠/٦ ، ٤١ ، الانس الجليل ١/٤٠٦-٤٠٧ .

(١٠١) أنظر : أدب الحروب الصليبية ٢٠٤ .

(١٠٢) أبو الحسن علي بن ابراهيم بن نجا الأنصاري الدمشقي . ولد بدمشق سنة ٥٠٨هـ ، واشتغل بالتفسير والوعظ ، بعثه نور الدين محمود رسولا الى بغداد سنة ٥٦٤هـ ، وسمع بها . سكن مصر . وكان صلاح الدين وأولاده يحضرون مجلسه . وكان صاحب جاه عظيم وحرمة زائدة ، وأموال كثيرة .

نشر أبو الحسن المذهب الحنبلي بالقدس وما حوله . وكان معه أعيان اهل العلم . وكان ذا مكانة كبيرة لدى صلاح الدين . أنظر فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ ،

نجية كما ذكرت خطبة ابن الزكي ، ولكنها اقتضت على ذكر الخبر .
وعلى الرغم من ذلك ، فاننا نستطيع أن نغلب الظن على أن ابن نجية تحدث
عن الجهاد ، والفتح والفتح ، وما يتصل بذلك في يوم الفتح القدسي
العظيم .

لقد كان ابن نجية «واعظا حسنا بليغا» (١٠٣) ، وكان عالما « من أعيان
أصل العلم ، وله رأي صائب . وكان صلاح الدين يسميه عمرو بن
العاص ، وكان يعمل برأيه ، ويكاتبه ، ويحضر مجلسه» (١٠٤) . وكان
أولاد صلاح الدين يحضرون مجلسه أيضا . لقد كان ابن نجية يتمتع
بمكانة مرموقة ، «وكان له الجاه العظيم ، والحرمة الزائدة . ولم يقتصر
دور ابن نجية على الوعظ ، فقد كان من المشتغلين بالتفسير الى جانب
اشتغاله بالوعظ» (١٠٥) . ومن المرجح أنه كان من المشتغلين بالفقه ، وذلك
واضح من تلقيبه بالفقيه المفسر كما تقدم .

وحضر فتح بيت المقدس الفقيه أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن
عبد الوهاب السعدي العبادي الشيرازي الأصل الدمشقي الحنبلي ،
المعروف بابن الناصح الحنبلي (١٠٦) ، وكان من المشتغلين بالوعظ ،

= وجلس للوعظ عقب صلاة الجمعة بالأقصى . توفي سنة ٥٩٩هـ . (انظر : الذيل
على الروضتين ٣٤ ، ٣٥ مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/٥١٥ ، الأنس الجليل ١/٣٣٩ ،
٢/٢٥٦) .

(١٠٣) الأنس الجليل ١/٣٣٩ .

(١٠٤) نفسه ٢/٢٥٦ .

(١٠٥) مرآة الزمان ج ٢/٣٠٠ ، ٥١٥ ، سنا البرق الشامي ق ١/١٤٨ .

(١٠٦) ولد بدمشق سنة ٥٥٤هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، فقد سمع بها من القاضي أبي الفضل
الشهرزوري وجماعة ، ورحل الى البلاد ، فأقام ببغداد مدة . وسمع بها من عدد
العلماء ، ثم رحل الى أصبهان ، وسمع فيها . وسمع بالموصل ، بغداد ، تفقه
ابن الناصح الحنبلي على عدد من العلماء من أمثال أبي البقاء المكي ، وقرأ
عليه فصيح ثعلب . واشتغل ابن الناصح بالوعظ ، وبرع فيه . ووعظ من أوائل

=

والبارعئين فيه ، فوعظ في كثير من البلاد التي دخلها ، ومنها بيت المقدس . وكانت له حرمة عند صلاح الدين وغيره من الملوك والسلاطين . وذكر أنه اجتمع بالسلطان صلاح الدين ثانية في بيت المقدس ، وكان ذلك بعد الفتح القدسي بسنتين ، فتذاكر والسلطان في مجلسه ، في عدد من الأمور ، وسأله صلاح الدين في أمور فقهية وغيرها . وقد أثنى عليه صلاح الدين .

كان ابن الناصح الحنبلي واعظا متواضعا متقنا ، وكان عالما جليلا ، فقد انتهت اليه رئاسة المذهب الحنبلي في دمشق بعد الشيخ موفق الدين الجماعيلي المقدسي ، وكان عالما في الفقه والحديث ، واشتغل بالتدريس ، وصنف مصنفات في الحديث والفقه والجهاد ، ومن مصنفااته تلك كتاب في «تاريخ الوعاظ» ، وكتاب «الانجاز في الجهاد» ، وغيرها . وذكر أن له خطبا ومقامات (١٠٧) .

ومن هذا يتبين لنا أن المشتغل بالوعظ كان من العلماء ذوي المكانة المرموقة ، وتكفي الاشارة الى أن ابن نجية ، وابن الناصح ، وسبط بن الجوزي ، وكل منهم عقد مجالس الوعظ في بيت المقدس كما تقدم .

لقد قام الوعاظ بدور ملموس في الحركة الفكرية ، فاشتغلوا بالعلم ، وشاركوا بالتدريس في المسجد الأقصى والمدرسة الصلاحية وغيرها . ودرّسوا موضوعات مختلفة مثل القراءات والحديث والفقه ، والعربية ، ودرّس بعضهم المنطق والرياضيات ، وصنفوا في العديد من المجالات العلمية ، واشتغلوا بالافتاء ، واشتغل بعضهم بالقضاء والحكم . وتتضح هذه الأقوال من النظر في الدور العلمي الذي قام به عدد من الوعاظ في بيت المقدس .

= عمره ، وقد وعظ بكثير من البلاد كمصر وحلب واربل والمدينة وبيت المقدس . وذكر أنه في اجتماعه بالسلطان صلاح الدين في بيت المقدس ، سأله عن اشياء كثيرة منها الخضاب بالسواد ، ومنها ما هو حول الصحابة . توفي ابن الناصح بدمشق سنة ٦٣٤هـ . (انظر : الذيل على الروضتين ١٦٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١٩٣/٢ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، شذرات الذهب ١٦٥/٥ - ١٦٦ ، الاعلام ١١٦/٤) .

(١٠٧) انظر : شذرات الذهب ١٦٦/٥ .

ومن الوعاظ الذين كان لهم دورهم في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، الشيخ الامام العالم زين الدين عبد المؤمن بن عمر بن أيوب الرهاوي الحلبي ثم المقدسي الشافعي ، وكان قد قدم الى بيت المقدس سنة ٨١٥هـ ، ونال احتراما كبيرا لدى علمائها ، فقد «أكرمه الشيخان شمس الدين الهروي ، وشمس الدين الديري ، ووجدوا فيه أهلية للعلم» ، فعينه شمس الدين الهروي ، شيخ الصلاحية آنذاك ، معيدا بالصلاحية . لقد كان زين الدين «عالما فاضلا مفتيا واعظا» ، وكان متفنا في وعظه ، يعظ «بلطافة وجد وهزل» . وحضر الناس مجالس وعظه ، والتفتوا كثيرا لسماع مواعيده . وكان زين الدين يمزج وعظه بالغرائب والنوادر والأشعار . وتبوأ زين الدين مكانة مرموقة في بيت المقدس ، وأصبح واعظها ومفتيها وعالمها كما يقول مجير الدين الحنبلي . واستمر زين الدين مشغولا بالوعظ والافتاء والتدريس الى أن توفي سنة ٨٤٥هـ في بيت المقدس (١٠٨) .

ومنهم قاضي القضاة عز الدين أبو البركات عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز البغدادي ثم المقدسي الحنبلي ، المعروف بالعز المقدسي البغدادي (١٠٩) . وقد قدم الى بيت المقدس سنة ٨٠٤هـ بعد فتنة تيمورلنك ، وولي فيه القضاء ، «وطالت مدته ، واستمر مدة تبلغ عشرين

(١٠٨) الأناضول الجليل ١٧٧/٢ .

(١٠٩) ولد ببغداد قبيل سنة ٧٧٠هـ ، نشأ وتعلم فيها ، فحفظ القرآن ، وأخذ عن علمائها الفقه والتفسير ، وسمع الحديث . وعني بالوعظ . اشتغل عز الدين بالتدريس والافتاء . وولي القضاء في بيت المقدس سنة ٨٠٤هـ بعد فتنة تيمورلنك ، وطال اشتغاله بالقضاء في بيت المقدس ، فقد عمل فيه الى سنة ٨٢٣هـ ، حيث ولي قضاء دمشق . ثم درس بالقاهرة ، وولي القضاء فيها سنة ٨٢٩هـ . وصنف عز الدين مصنفات عديدة في الفقه والقراءات ، والمعاني والبيان ، والنحو ، وغيرها . توفي سنة ٨٤٦هـ بدمشق . (انظر : الضوء اللامع ٤/٢٢٢ - ٢٢٤ ، الأناضول الجليل ٢/٢٦١ - ٢٦٢ ، شذرات الذهب ٧/٢٥٩ ، الدارس ٢/٥٣ ، الأعلام ٤/١٤٨) .

سنة» . وذكر مجير الدين الحنبلي أنه «لم يعلم أن حنبلياً قبله ولي
القدس» (١١٠) .

وكان العز المقدسي قد نشأ في بغداد وطلب العلم فيها قبل قدومه
الى بيت المقدس ، فتلا «القرآن بالروايات ، وتفقه على شيوخها» ، وعني
بالحديث والتفسير والأصول ، واشتغل بالتدريس والافتاء والتصنيف .
وكان العز المقدسي معنياً بالوعظ ، وذكر السخاوي أنه «تعانى عمل
المواعيد» (١١١) . ومن المؤكد أن العز المقدسي ساهم في الحركة الفكرية
في بيت المقدس ، وعقد المجالس بالمسجد الأقصى وغيره .

ومن الوعاظ المشهورين في بيت المقدس ، الحافظ العلامة شيخ
الاسلام شهاب الدين أحمد بن عبد الله الكناني المجدلي المقدسي الشافعي ،
المعروف بأبي العباس المقدسي ، فقد كان أبو العباس يعقد مجالس الوعظ
بالمسجد الأقصى منذ سنة ٨٣٦هـ الى أن توفي سنة ٨٧٠هـ . وكان متفوقاً
في مجال الوعظ ، بل كان «امام أهل الوعظ بلا منازع من مدة متطاولة» .
وذكر العز المقدسي ، المتقدم ذكره ، أنه «لم يصعد كرسي الوعظ» مثله
الا القليل (١١٢) .

وذكر ابن حجر العسقلاني أن أبا العباس وعظ بالمسجد الأقصى ،
«فاجتمع عليه العوام وبعض الخواص» (١١٣) . وذكر السخاوي أن مجالس
أبي العباس التي كان يعقدها كانت نهاية في الحسن (١١٤) . ووصف
أبو العباس بأنه «ابن الجوزي - في - زمانه» (١١٥) .

(١١٠) الأنس الجليل ٢/٢٦١ ، وأنظر : الضوء اللامع ٤/٢٢٣ .

(١١١) الضوء اللامع ٤/٢٢٢ .

(١١٢) أنظر : نفسه ١/٣٦٥ .

(١١٣) أنظر : نفسه ١/٣٦٥ .

(١١٤) نفسه ١/٣٦٥ .

(١١٥) الأنس الجليل ٢/١٤١ .

لقد كان أبو العباس المقدسي عارفا بالقراءات والفقہ والحديث ،
واللغة ، والمنطق ، وعلوم الرياضة ، وحصل على الاجازات العلمية العديدة ،
ثم اشتغل بالافتاء والتدريس ، فكتب على الفتوى ، ودرّس بالمسجد
الأقصى كما تقدم ، ودرّس بالمدرسة الصلاحية (١١٦) ، كما سنفصل
القول فيه في الحديث عن المدارس . ومن هذا يتبين لنا الدور الفكري
الفعال الذي قام به أبو العباس المقدسي في بيت المقدس .

ومنهم الشيخ العلامة الفقيه علاء الدين علي بن ابراهيم الرملي
المقدسي الشافعي القادري (١١٧) ، وهو من أهل الرملة مولدا ونشأة ،
ثم قدم الى بيت المقدس ، وقطن فيه . وأخذ يعقد مجالس الوعظ بالمسجد
الأقصى (١١٨) . وكان الشيخ علاء الدين فقيها من فقهاء المدرسة الصلاحية ،
والخاتمة الصلاحية في بيت المقدس . وكان قد التقى بابن حجر العسقلاني ،
وقرأ عليه «الأربعين المتباينة» (١١٩) في الحديث ، كما قرأ عليه جزءا من
الصحيح ، وغيرهما (١٢٠) .

ولم يقتصر عمل علاء الدين على الوعظ والتدريس ، فقد شارك في
الحكم أيضا ، وباشره في بيت المقدس نيابة عن القاضي فيها آنذاك (١٢١) .

ومنهم الحافظ العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر العميري
الشافعي ، الإمام الواعظ المحدث ، فقد اشتغل العميري بالوعظ والتدريس .
وكان له مجلس وعظ بالمسجد الأقصى ، وكان يدرّس فيه أيضا كما

(١١٦) أنظر : الضوء اللامع ١/٣٦٣ - ٣٦٦ . الأنس الجليل ٢/١٤١ .

(١١٧) وهو من تلامذة شهاب الدين بن أرسلان في بيت المقدس ، وقد كناه ابن أرسلان بأبي
مدين . توفي علاء الدين في بيت المقدس سنة ٨٨١هـ (الأنس الجليل ٢/١٩٨) .

(١١٨) الأنس الجليل ٢/١٩٨ .

(١١٩) وهو كتاب في الحديث ، صنّفه شيخ الاسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر
العسقلاني . وقد عني به عديد من العلماء (أنظر : كشف الظنون ١/٥٨) .

(١٢٠) الضوء اللامع ٥/١٥٢ .

(١٢١) الأنس الجليل ٢/١٩٨ .

تقدم . وقد ذكر مجير الدين الحنبلي أنه كان يحضر مجالس العميري في الوعظ والتدريس ، وحصل منه على الاجازة الخاصة والعامه . وأضاف مجير الدين الحنبلي أن العميري «اشتهر أمره في المملكة ، وعظم عند الناس ، وصار له قبول في الوعظ ، وكان خاشعا مانوس النعمة ، ذا سكون ووقار ، وكان متواضعا حسن اللقاء ، كثير البشر (١٢٢) . وهكذا اشتغل العميري مدرسا وواعظا ، كما اشتغل بالافتاء والحكم (١٢٣) . وقد تقدم القول في أنه تصدر بالمسجد الأقصى .

ومن الجدير بالاشارة ان الشيخ العالم العابد الواعظ شهاب الدين أحمد المعروف بشكر الرومي ، كان يعظ في بيت المقدس بالعربية والتركية والعجمية . وكان شهاب الدين الرومي قد قدم الى بيت المقدس ، وسمع هناك ، ثم وعظ ، وأحبه الناس ، واعتقدوا فيما يقول . وكانت طريقته في الوعظ «حسنة مرضية» كما يذكر السخاوي . واستمر شهاب الدين الرومي واعظا في بيت المقدس ، منذ قدومه قبل فتنة تيمورلنك كما يقول مجير الدين الحنبلي ، الى أن توفي سنة ٨٥٣هـ في بيت المقدس (١٢٤) .

ولم يقتصر الوعظ على الرجال ، فقد شاركت فيه النساء أيضا ، ومن النساء اللواتي وعظن في بيت المقدس ، بريم ابنة أحمد بن محمد بن سرور الديروبية المالكية (١٢٥) ، فقد ذكر السخاوي أنها «دخلت مع أبيها بيت المقدس ، فقرأت على من به من الشيوخ ، ووعظت النساء» . وكانت بريم المذكورة قد قرأت القرآن ، وخالطت الفقهاء ، وقرأت بالقراءات السبع ،

(١٢٢) الأنس الجليل ٢/٢٠٣ .

(١٢٣) الضوء اللامع ٢/٥٢ - ٥٣ ، الأنس الجليل ٢/٢٠٣ - ٢٠٤ .

(١٢٤) أنظر : الضوء اللامع ٢/٢٦١ ، الأنس الجليل ٢/١٦٩ - ١٧٠ .

(١٢٥) نشأت تقرا القرآن ، وتخالط الفقهاء مثل والدها . وتلت بالقراءات السبع ،

ودخلت بيت المقدس ، وحفظت كتباً في الفقه والقراءات والعقائد والشعر مثل العمدة،

والشاطبية . وعقيدة الغزالي ، والبردة ، ورياض الحالين ، وغيرها . (انظر :

الضوء اللامع ١٢/١٥) .

وحفظت العديد من الكتب في الفقه والحديث والقراءات ، كما كانت تحفظ قصيدة البردة للبوصيري (١٢٦) .

اشتغلت بريم بالعلم كما تقدم ، وكانت تكثر من مطالعة «رياض الصالحين» (١٢٧) ، و «طهارة القلوب» (١٢٨) وغيرهما (١٢٩) .

دور شيوخ الحرم القدسي :

كان شيخ الحرم القدسي الشريف يباشر مشيخة الحرم ، ويشرف على الأوقاف ، وما يوضح ذلك أن صلاح الدين الأيوبي ، بعد تحرير بيت المقدس ، عين الشيخ موسى بن غانم الأنصاري «في مشيخة الحرم بالقدس الشريف ، والنظر عليه ، والتصرف في أوقافه» . وعيّن الشيخ الأنصاري بمرسوم أصدره صلاح الدين ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلي أنه رأى توقيع السلطان بذلك (١٣٠) . ومن هذا يتضح لنا أن شيخ الحرم كان مسؤولاً عن الاشراف على شؤون الحرم الادارية والمادية وغيرهما .

تولى مشيخة الحرم عدد من كبار العلماء الذين كان لهم دورهم في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، ومن أولئك العلماء من قدم الى بيت المقدس ، مثل جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد الوائلي البكري الأندلسي ، المعروف بالشريشي المالكي النحوي ، فقد ذكر أنه أقام في القدس ، وتولى مشيخة الحرم . وقد تقدم القول في أن جمال الدين كان

(١٢٦) الضوء اللامع ١٥/١٢ .

(١٢٧) للامام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفي سنة ٦٧٦هـ . جمعه من الأحاديث الصحيحة ، مشتملا على ما يكون طريقا لصاحبه الى الآخرة ، جامعا للترغيب والترهيب . والتزم فيه الا يذكر حديثا صحيحا . (انظر : كشف الظنون ٩٣٦/١) .

(١٢٨) للشيخ الامام عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديري المتوفي سنة ٦٩٧هـ . (انظر : كشف الظنون ١١١٨/٢) .

(١٢٩) الضوء اللامع ١٥/١٢ .

(١٣٠) الأنس الجليل ٢/٢٦٩ .

عالماً من كبار العلماء عندما قدم الى بيت المقدس ، وشارك في الحركة الفكرية بعامة ، وفي مجال اللغة بخاصة . وكان قبل ذلك ، قد طلب العلم ببلاده ، ثم في بغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، واشتغل بالتدريس في دمشق ومصر (١٣١) . واذا كان الأمر كذلك ، فانه من المرجح أن يكون لجمال الدين دور فعال في الحركة الفكرية في بيت المقدس وهو يتولى مشيخة الحرم .

لم نستطع أن نحدد المدة التي أقامها جمال الدين في بيت المقدس ، ولكن النعيمي يذكر أن جمال الدين عاد الى دمشق ، ، وبقي فيها متولياً مشيخة الحديث ، ومشيخة المالكية ، وغير ذلك ، واستمر الى أن توفي سنة ٦٨٥هـ . وهذا يعني أنه ترك مشيخة الحرم قبل التاريخ المذكور .

لم نستطع تبين من ولي المشيخة قبل أن يتولاها الشيخ الامام العلامة ناصر الدين محمد بن سليمان بن غانم المقدسي الشافعي (١٣٢) ، فقد وليها في سنة ٧٢٩هـ ، وصدر توقيع بذلك من قاضي القضاة علاء الدين أبي الحسن علي القونوي الشافعي ، قاضي دمشق في عهد ناصر الدين محمد ، وذكر مجير الدين الحنبلي أنه رأى ذلك التوقيع ، وحدد تاريخه بيوم الجمعة في الثامن من شوال سنة ٧٢٩هـ (١٣٣) كما تقدم .

وكان ناصر الدين المذكور من المحدثين الذين حدثوا في بيت المقدس وغيره ، وكان قد سمع الكثير قبل ذلك ، فقد سمع الحديث من أشهر المحدثين والمحدثات ، ومما سمعه «السفينة الجرائدية» على عماد الدين محمد بن يعقوب الجرائدي الأنصاري الدمشقي ، نزيل مصر ثم بيت

(١٣١) بغية الوعاة ٤٤/١ .

(١٣٢) محمد بن سليمان بن حسن بن موسى بن غانم المقدسي الشافعي ، ولد سنة ٧٠٧هـ .

ونشأ وتعلم ، وعني بالحديث ، فسمع من هدية بنت عسكر ، وزينب بنت شحر .

وسمع من غيرها . وأصبح محدثاً . توفي سنة ٧٨٠هـ . (انظر : الدرر الكامنة

٦٨/٤) .

(١٣٣) الانس الجليل ١٥٣/٢ . ٢٧١ .

المقدس (١٣٤) . وحصل ناصر الدين على الاجازة . ثم أخذ عنه الكثير من طالبى العلم ، وسمعوا منه ، ومن سمعوا منه تقي الدين المقرئ وغيره ، ثم منحه الاجازة ، ومنح غيره ممن سمعوا منه (١٣٥) .

وهكذا يتبين لنا أن شيخ الحرم كان من العلماء الذين شاركوا مشاركة فعالة في الحركة الفكرية ، فقد كانوا يشتغلون بالتدريس ، ويحدثون ويمنحون الاجازات العلمية . هذا بالإضافة الى مشاركتهم في تسيير شؤون الحياة العامة في بيت المقدس كما تقدم .

ومن تولوا مشيخة الحرم الامام العالم جمال الدين عبد الله بن محمد ابن غانم المقدسي الشافعي ، فقد ذكر أنه كان «شيخ حرم القدس الشريف» ، وأنه «كان موجودا في سنة احدى وسبعين وسبعمائة» (١٣٦) . ثم وليها ابنه الشيخ العالم بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن غانم شيخ حرم القدس الشريف ، وقد ذكر انه كان موجودا في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة . وكان بدر الدين من أعيان بني غانم كما يذكر مجير الدين الحنبلي (١٣٧) .

ثم وليها ابنه جمال الدين عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان ابن غانم الأنصاري الخزرجي المقدسي ، وذكر أنه توفي والده ، وترك ابنه صغيرا ، فنشأ بعده في بيت المقدس . وتعلم فيه ، وأخذ من عدد من أشهر العلماء من أمثال شمس الدين القلقشندي ، وشمس الدين الهروي ،

(١٣٤) ولد بدمشق سنة ٦٩٣ هـ ، ونشأ وتعلم فيها . قرأ بالقراءات السبع ، وحصل على العديد من الاجازات بالشاطبية والتيسير وغيرهما . وسمع الجرائدي الحديث . ثم حدث في بيت المقدس ، وأقرأ فيه أيضا ، واستوطنه ثمانية اعوام ، وتوفي هناك سنة ٧٢٠ هـ (أنظر : غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٢٨١ - ٢٨٢ ، الدرر الكامنة ٥/٥٨ ، الوافي بالوفيات ٢٢٥/٥) .

(١٣٥) الدرر الكامنة ٤/٦٨ .

(١٣٦) الانس الجليل ٢/١٥٨ ، ٢٠٤ .

(١٣٧) نفسه ٢/١٦٠ .

وغيرهما ، ثم ولي ما كان بيد والده من مشيخة الحرم • وولي مشيخة الخاتقاه الصلاحية بعد ذلك • واستمر جمال الدين المذكور متوليا المشيخة الى أن توفي سنة ٨٩٠هـ في بيت المقدس (١٢٨) • وقد قام بدور في الحركة الفكرية خلال تلك الفترة التي تولى فيها مشيخة الحرم •

ثم وليها ابنه الشيخ ناصر الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن محمد ابن غانم المقدسي الشافعي ، وكان ناصر الدين المذكور قد نشأ في بيت المقدس ، فحفظ القرآن ، كما حفظ كتاب «التنبيه» (١٢٩) في فروع الشافعية للشيخ أبي اسحق ابراهيم بن علي الشيرازي الشافعي ، ثم عرضه على شيخ الصلاحية عز الدين المقدسي ، وعرضه على غيره من العلماء • ودرس ناصر الدين الفقه على عدد من أشهر العلماء في بيت المقدس من أمثال عماد الدين بن شرف المقدسي ، وزين الدين أبي الجود ماهر بن عبد الله المصري المقدسي ، وغيرهما • وسمع الحديث على عدد من أشهر المحدثين في بيت المقدس أيضا • من أمثال جمال الدين بن جماعة ، وتقي الدين القلقشندي ، وغيرهما • وحصل ناصر الدين على الاجازة العلمية باستدعاء كمال الدين بن أبي شريف (١٤٠) •

ورحل ناصر الدين ، في سبيل العلم ، الى القاهرة ودمشق ، وأخذ عن عدد من أشهر العلماء فيهما (١٤١) •

وعاد ناصر الدين الى بيت المقدس ، وأصبح من كبار العلماء فيها • وفيها عمل شيخا للحرم المقدسي كما تقدم ، واستقر في مشيخة الصوفية

(١٢٨) الضوء اللامع ٦٤/٥ ، الأنس الجليل ٢٠٤/٢ •

(١٢٩) وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة في المذهب الشافعي • ولقي هذا الكتاب عناية كبيرة ، فشرح شروحا كثيرة ، ونظم ، وغير ذلك • (انظر : كشف الظنون ٤٨٩/١ - ٤٩٣) •

(١٤٠) الضوء اللامع ١١٢/٨ •

(١٤١) نفسه ١١٢/٨ •

بالخائفة الصلاحية في بيت المقدس (١٤٢) . ولا شك أن ناصر الدين قام بدوره في الحركة الفكرية ، فدرّس ، وحدّث ، وغير ذلك .

يؤكد لنا كل هذا ، كيف أن شيخ الحرم القدسي كان من العلماء المرموقين في بيت المقدس ، والمشاركين في الحركة الفكرية حقا .

الدور السياسي والاجتماعي :

كان المسجد يمثل مركزا دينيا واجتماعيا وسياسيا ، الى جانب كونه مركزا علميا ، وأما كونه مركزا دينيا ، فانه ليس بحاجة الى ايضاح ، وأما كونه مركزا سياسيا واجتماعيا ، فانه يبدو جليا ، من الوهلة الأولى ، في النظر الى اهتمام الدين الاسلامي بمختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وغيرها من المجالات . ويبدو ذلك جليا في اتخاذ المسجد مركزا للقضاء والحسبة .

وكانت تعقد فيه الاجتماعات للنظر في أحوال المسلمين الاجتماعية والسياسية ، والعمل على حل القضايا والمشكلات التي تبرز أمامهم .

لم يقتصر دور العلماء على الاشتغال بالعلم ، والتصنيف فيه ، وغير ذلك مما يتطلبه الاشتغال بالعلم ، ولكنهم كانوا يقومون بدور كبير في حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية ، فاهتموا بمصالح الأمة الاسلامية ، ودافعوا عن حقوقها ، وعملوا على توجيه الناس وقادتهم ، الى الطريق الصحيح .

لقد كان العلماء يحظون بمكانة كبيرة عند الخاصة والعامة ، مما جعل دعوتهم تؤتي أكلها في أحيان غير قليلة عند الخاصة ، وفي الكثير من الأحيان عند العامة ، في المجالات السياسية والاجتماعية ، الى جانب المجالات العلمية . وممن الممكن القول بأن العلماء كانوا يتصدرون الأمة الاسلامية آنذاك ، ويكفينا أن نضرب أمثلة في هذا المجال بالشيخ عز الدين

ابن عبد السلام ، وكمال الدين بن أبي شريف ، ونجم الدين بن جماعة ، وغيرهم .

ومن الجدير بالاشارة أن المسجد قام بدور كبير في الجهاد ضد العدو الصليبي الغازي ، وضد غيرهم من الأعداء الذين غزوا العالم الاسلامي ، ويتمثل ذلك الدور في الحث على الجهاد ، وتعبئة مشاعر المسلمين ، والدعوة الى التضحية في سبيل الاسلام والمسلمين . ويتضح هذا الدور فيما قام به خطباء المساجد وأئمتها ووعاظها ، وغيرهم ممن كانوا يؤدون أدوارهم في المسجد . ومن الطبيعي أن نشير الى أن دور المسجد هذا سيكون معطلا في ظل الاحتلال ، وهكذا كان المسجد الأقصى ، وهو يروح تحت الاحتلال الصليبي . ولكنه قام بدوره كما ينبغي أن يقوم به ، قبل الغزو ، متبها الى ما كان عليه المسلمون ، داعيا الى الوقوف صفا واحدا في وجه العدو . ثم قام بدوره بعد تحريره من الاحتلال ، فدعا الى تحرير ما بقى محتلا من بلاد المسلمين .

ومن الجدير بالاشارة أيضا ، أن المسجد كان يستغل أحيانا لخدمة أغراض مذهبية ، كما حدث في العصر الفاطمي ، والعصر الأيوبي . ولكننا لا نرى ذلك واضحا في الدور الذي قام به المسجد الأقصى ، كما كان الأمر واضحا بكل جلاء في الجامع الأزهر .

وإذا كان هذا هو ما نجده في أنحاء العالم الاسلامي ومساجده ، فإننا نجد ذلك جليا في بيت المقدس بعامة ، والمسجد الأقصى بخاصة .

ان الدور الاجتماعي والسياسي الذي قام به المسجد الأقصى ، يبدو جليا في العمل على حل المشكلات ، والنظر في القضايا التي تهم المسلمين ، كما تقدم . لقد كان أولو الأمر من العلماء والقضاة والشيوخ يعقدون الاجتماعات في المسجد الأقصى للنظر في حل المشكلات السياسية والاجتماعية . ومما يوضح ذلك ، أحداث كثيرة ، ومنها ما ذكره مجير الدين الحنبلي في حديثه حول واقعة كنيسة اليهود في سنتي ٨٧٨هـ و

٨٧٩هـ ، ومشاركة العلماء والقضاة والشيوخ ، في بيت المقدس ، في العمل على حل تلك الواقعة ، والمحافظة على حقوق المسلمين (١٤٣) .

(١٤٣) وملخص تلك الواقعة أنه كان للمسلمين مسجد بحارة اليهود ، وكان ملاصقا لكنيسة اليهود، ولما وقع المطر، هدمت دار من أوقاف اليهود، فكتشف باب المسجد من جهة الشارع السلوك ، وكان المسلمون يصلون الى مسجدهم من زقاق مستطيل ، وأراد المسلمون أن يكون طريق المسجد من الشارع السلوك ، وهو أقرب للمصلين ، فرأوا أخذ الدار المهدمة ، فادتنع اليهود ، ورفعوا الأمر للقضاء ، فعقد مجلس القضاء بالمسجد الأقصى ، وحكم لليهود بحقهم في الدار ، فلم يرض المسلمون ، وذهبوا الى أن الكنيسة محدثة ، وأن الدار من جملة حقوق المسجد ، وهي بأيدي اليهود بغير حق . ورفع المسلمون أمرهم الى السلطان بالقاهرة ، فأصدر السلطان مرسوما بالنظر في القضية ، فعقد مجلس بالمدرسة التنكزية حضره ناظر الحرمين ، والقضاة ، وشيخ المدرسة الصلاحية ، وعدد من أعيان الفقهاء ، وكبير اليهود . وانتهى المجلس الى أن الكنيسة محدثة حقا في دار الاسلام ، فمنع اليهود من اتخاذها كنيسة ، وكتب محضر بذلك . ثم رفع اليهود أمرهم الى السلطان ، فأوعز الى قضاة الديار المصرية وعلماؤها بعقد مجلس لبحث الأمر ، ورأوا أن يمنع اليهود ليس كافيا في رفع اليد ، وأرسل مرسوم بذلك الى القدس ، فعقد المجلس بالمسجد الأقصى ، حضره ناظر الحرمين ، ونائب السلطنة ، وقاضيا الشافعية والحنفية ، وأعيان الفقهاء ، وعدد من اليهود ، دخلوا بإذن الى المسجد . وقرئ المرسوم السلطاني في ذلك المجلس ، وقرئ ما قاله قضاة مصر وعلماؤها ، وقال القاضي في المجلس : « أما قول علماء مصر ان هذا المنع ليس بكاف في رفع اليد ، فأنا موافق على ذلك ، أنا ما رفعت أيديهم عنها ، وإنما منعتم من اتخاذها كنيسة ، وهي مستمرة في أيديهم ، وأذنت لهم أن يتصرفوا فيها حاتوتا » . وكتبوا جوابا بذلك ، وأرسلوه الى السلطان ، ولكن السلطان مركز اليهود من الكنيسة المذكورة ، وأمر بعدم معارضتهم على عادتهم .

وأرسل جماعة من العلماء ، قيل انهم من مشايخ الصوفية ، كتابا الى السلطان يتضمن اتهامًا بان اليهود قد هؤوا رشوة للحصول على بغيتهم . وأرسل السلطان كتابا للبحث في أمر ذلك ، فعقد مجلس بالمسجد الأقصى . حضره ناظر الحرمين ، ونائب السلطنة

=

ووقف العلماء والقضاة والشيوخ في وجه من اقترف الظلم والسوء من نواب السلطنة في بيت المقدس . وذكر أن عدة مجالس عقدت بالمسجد الأقصى للنظر في أمر نائب القدس (خضربك) ، وكان النائب المذكور قد ارتكب المظالم ، ونهب أموال الناس ، وسفك الدماء ، فوقف أعيان العلماء والفقهاء في وجهه ، وكان على رأسهم شيخ الصلاحية آنذاك ، نجم الدين ابن جماعة ، وكتبوا للسلطان بما اقترفه النائب ، ثم كتبوا للسلطان ثانية بعد الكشف عما ارتكبه النائب المذكور ، وطلبوا منه أن يحضر بنفسه الى القدس ، وشارك في ذلك علماء القدس والخليل ، وروي أن أهل مدينة الخليل حضروا ، وهم يرفعون أعلام المسجد الشريف والطلبخانات (١٤٤) ، وشاركوا في ثورة على النائب وظلمه . وقد قام ناظر

= وشيخ الصلاحية نجم الدين بن جماعة ، وقاضيا الشافعية والحنفية ، وجمع من الفقهاء ، وكان مجير الدين الحنبلي نفسه ممن حضروا ذلك المجلس ، وشاركوا فيه .
وعقد مجلس آخر بالمدرسة التنكزية حضره شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف ، والشيخ برهان الدين الانصاري ، ونائب السلطنة ، وقاضيا الشافعية والحنفية ، « وكان مجلسا حافلا » كما يقول مجير الدين ، ثم هدم المسلمون الكنيسة ، فشكا اليهود أمرهم الى السلطان ، فلما علم غضب لهدم الكنيسة بغير مرسومه . وغضب على الشيوخ والقضاة الذين قاموا بالدور الرئيسي في هذه القضية . واصيدبر عدد من العلماء في مصر فتوى بجواز اعادة الكنيسة ، واعتقل السلطان عددا من الشيوخ والقضاة في بيت المقدس ، وعزل بعضهم ، ونفى بعضهم الآخر . (انظر : الانس الجليل ٢/٣٠٠ - ٣٠٣ ، ٣٠٥ - ٣١٠ ، ٣١٢ - ٣١٤) . وحدث مثل هذا أو قريبا منه حول هدم القبة المحدثة عند دير صهيون . (انظر : الانس الجليل ٢/٣٤٩ - ٣٥٢) .

(١٤٤) الطلبخاناه : وهي الطبول ، والبوقات ، وكانت من شعار الملك القديم ، وكان يضرب بها عشية كل ليلة بباب الملك ، وخلقه اذا ركب في المراكب ونحوها . (صبح الاعشى ٢/١٣٤) .

الحرمين بدور رئيسي في هذا المجال، وشارك فيه شيخ الاسلام كمال الدين ابن أبي شريف ، وشيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة ، والقضاة ، وغيرهم . وعقد أولئك الأعيان مجلسا آخر للنظر في قضية النائب ، وكتبوا للسلطان يخبرونه بما حدث ، ثم توجه النائب وناظر الحرمين ، في أول سنة ٨٩٣هـ ، الى السلطان بالقاهرة ، وانتهى الأمر بعزل النائب وضربه وسجنه (١٤٥) . ومن هذا يتبين لنا كيف كان المشرفون على الحرمين ، والعلماء والقضاة والفقهاء وغيرهم ، يعملون جاهدين للحفاظ على حقوق المسلمين في بيت المقدس ، والوقوف في وجه أكثر الحكام ظلما ، وهو الذي لحقت الكوارث ، في عهده ، بأهل بيت المقدس ، فانتشر الظلم ، وفشا الغلاء (١٤٦) ، وغير ذلك مما وضع فيما تقدم .

ووقف علماء بيت المقدس في وجه النائب دقماق لظلمه أيضا ، وشكوه الى السلطان ، ثم عقدوا مجلسا في المسجد الأقصى ، وتحدثوا في سوء سيرة النائب وظلمه ، وكتبوا كتابا بذلك الى السلطان . وقد كتبه امام الصخرة الشريفة الامام ناصر الدين بن السننير . وحمل امام الصخرة المذكور المحاضر المكتوبة الى السلطان ، ولكن السلطان أمر بالقبض عليه ، بعد أن استطاع النائب بذل الرشوة للسلطان . ورفض العلماء والقضاة والأئمة وغيرهم موقف السلطان ، وأصرروا على التحدي ، واستمروا في عقد المجالس للنظر في أمر النائب ، وبقوا كذلك حوالي شهر ، وشارك العامة في الثورة على النائب، ولكن السلطان انتصر للنائب في غير وجه حق (١٤٧) . ويتبين لنا من هذا ، أن المجالس التي كانت تعقد في المسجد الأقصى ، لم تقتصر على المجالس الخاصة ، بل كانت الاجتماعات العامة تعقد فيه أيضا للنظر في الشؤون العامة ، الدينية والاجتماعية والسياسية .

(١٤٥) أنظر : الاسن الجليل ٢/٣٣٩ - ٣٤١ .

(١٤٦) أنظر : نفسه ٢/٣٣٧ - ٣٣٩ .

(١٤٧) أنظر : نفسه ٢/٣٠٠ ، ٣٥٣ - ٣٥٤ ، ٣٥٧ - ٣٥٨ .

ويتبين لنا أن العلماء والقضاة والشيوخ ، كان لهم دور كبير في العمل على احقاق الحق ، وازهاق الباطل . وكانوا العنصر الفعال في توجيه الشؤون العامة في بيت المقدس . ووقف شيوخ الاسلام في بيت المقدس للحفاظ على حقوق الناس ، ومن ذلك موقفهم في وجه أبي العويسر أمير عربان جرم وحاجبه ، حيث أراد أن يفرض مظلمة على فلاحي جبل القدس ، ويأخذ أموالهم ، فمنعه شيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة ، ثم عقد مجلسا في المسجد الأقصى مع شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف ، والقضاة ، والمشايخ ، وكتبوا كتابا الى السلطان بما حدث ، وقالوا : «ان ذلك لم تجر به عادة قبل اليوم» . وانتهى الأمر بمنع أبي العويسر مما أراد فعله (١٤٨) . وبذلك حافظ العلماء على حقوق الفلاحين وأموالهم .

ولما حدث خلل في نظام الوقف ، عمل العلماء والقضاة والشيوخ على الحفاظ على أموال الوقف . وكتبوا الى السلطان بذلك ، وورد مرسوم سلطاني سنة ٨٩٢هـ ، للكشف على الأوقاف ، وتحرير أمرها . ثم عقد مجلس بالمدرسة الأشرفية في بيت المقدس ، حضره أعيان بيت المقدس من أمثال شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف ، وشيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة ، وناظر الحرمين ، والقضاة ، وحضره الخاص والعام ، وقرئ المرسوم السلطاني في ذلك المجلس ، ونوقش الأمر ، وضبط الخلل (١٤٩) . وهذا يوضح لنا أن العلماء كانوا ذوي دور جلي في الشؤون الاقتصادية كما تقدم في الحديثين السابقين .

وواضح من هذا كله ، ومن غيره مما يشبهه ، أن المسجد الأقصى كان يقوم بدور جلي سياسي واجتماعي واقتصادي كما تقدم . وكانت له مكانة كبيرة في نفوس المسلمين ، فهو مسجد له قدسيته ، ولهذا وجدناهم يتجهون اليه في كل وقت ، وبخاصة عندما تنزل بهم الخطوب . ويدل على ذلك ما ذكره مجير الدين الحنبلي في حوادث سنة ٨٩٣هـ مثلا ، عندما

(١٤٨) أنظر : الأنس الجليل ٢/٣٤٦ - ٣٤٧ .

(١٤٩) أنظر : نفسه ٢/٣٢٨ .

احتبس المطر ، وقل الماء ، وحصل غلاء عظيم ، وقلت الأقوات ، فضج الناس ، واتجهوا الى الله يدعونه ويضرعون اليه ، في كل مكان في بيت المقدس بعامة ، وفي الأقصى والصخرة بخاصة . وفي سنة ٨٩٥هـ ، احتبس المطر أيضا ، فاتجه الناس الى بارئهم ، وصاموا ثلاثة أيام ، ثم استسقوا في صبيحة يوم الأحد خامس عشر ربيع الآخر بالصخرة الشريفة . وخطب الخطيب شرف الدين بن جماعة خطبة بليغة ، وتضرع وابتهل ، وضح الناس الى الله بالدعاء ، ودخلوا الى الجامع الأقصى بالذكر والتهليل . وفي اليوم التالي ، أغاث الله عباده بالمطر الغزير (١٥٠) . ومن هذا يتضح أن خطباء الأقصى كانوا يقومون بدورهم متمثلا في خطب الجمع ، والعيدين ، وخطب الاستسقاء . هذا بالاضافة الى الخطب التدريسية ، وخطب تقال في الجهاد ، وغير ذلك كما تقدم .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال ، أن المسجد الأقصى كان المكان الذي تعلن منه المراسيم السلطانية ، والمناشير ، والخطابات ، وغير ذلك ، وكانت تقرأ فيه ، وتعد رسمية بعد ذلك ، فيعمل بموجب ما جاء فيها . وقد تقدم القول في المراسيم السلطانية التي كانت تقرأ في المسجد الأقصى ، في المجالس التي عقدت لحل مشكلة ، أو النظر في أمر النائب ، أو غير ذلك .

كان النائب في بيت المقدس ، يعين بمرسوم سلطاني ، ويرسل التوقيع الى بيت المقدس ، فيعقد مجلس بالمسجد الأقصى ، ويقرأ التوقيع ، وهو بذلك اعلان بتولي النائب زمام الأمور في بيت المقدس . وكانت قراءة التوقيع تقترن بالاحتفال ، ولبس خلعة السلطان ، فلما عسین (خضربك) نائبا في بيت المقدس ، سنة ٨٩١هـ ، «قرىء المرسوم الشريف بالمسجد الأقصى بعد صلاة الجمعة» في الثاني عشر من ذي القعدة (١٥١) . وفي سنة ٨٩٦هـ ، صدر مرسوم سلطاني باستمرار الأسير دقماق ناظرا

(١٥٠) انظر : الأنس الجليل ٢/٢٨٥ ، ٢٨٤ .

(١٥١) انظر : نفسه ٢/٣٣٦ .

لحرمين ونائبا للسلطنة في بيت المقدس ، وقرىء مرسوم السلطان بالمسجد الأقصى ، وكان دقماق لابسا الخلعة السلطانية (١٥٢) .

وكان شيخ المدرسة ، والقاضي ، والخطيب ، يعين كل واحد منهم في وظيفته بمرسوم سلطاني ، ففي صفر سنة ٨٧٦هـ استقر شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف شيخا للمدرسة الصلاحية ، وعين القاضي شهاب الدين أبو حامد بن عتبة الشافعي قاضيا للشافعية ، والقاضي خير الدين أبو الخير محمد بن عمران الحنفي قاضيا للحنفية ، والشيخ شهاب الدين العميري شيخا للمدرسة التي بناها الناظر حسن (المدرسة الأشرفية فيما بعد) ، وقبل أن تقرأ التواقيع السلطانية ، «ألبس شيخ الاسلام الكمالي بن أبي شريف ، والقاضي الشافعي ، والقاضي الحنفي التشريف السلطاني على العادة» ، ولما دخلوا على السلطان نزل عن سريره احتراماً لهم ، وسلم عليهم ، ثم خرجوا ليلبسوا الخلع السلطانية ، «ثم عادوا الى السلطان ، وهو واقف لم يجلس» ، ثم صرح السلطان بتوليبتهم ، وانصرفوا الى منازلهم بالجامع الأزهر ، ثم سافروا الى بيت المقدس ، وقرئت التواقيع في المسجد الأقصى ، بعد صلاة الجمعة ، في السادس عشر من شهر ربيع الأول ، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً كما يقول مجير الدين الحنبلي (١٥٣) .

ومن ذلك ما ذكر في سنة ٨٧٧هـ ، ففيها عين محب الدين بن جماعة ، وشيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة ، في مشيخة الصلاحية ، ونصف الخطابة في الأقصى ونصف مشيخة الخانقاة الصلاحية ، ودخلا الى المسجد الأقصى الشريف ، وجلسا في المحراب ، وحضر أعيان العلماء ، والقضاة ، وحضر الناس ، وقرىء توقيع كل منهما ، وهما جالسان . وقد قرىء

(١٥٢) أنظر : الأنس الجليل ٣٥٥/٢ .

(١٥٣) الأنس الجليل ٢٩٠/٢ - ٢٩١ ، وأنظر أمثلة أخرى : نفسه ٢٧٨/٢ ، ٣٠٣ ، ٣١١ ، ٣١٢ وغيرهما .

التوقيعات في غير الموعد المحدد لقراءة التواقيع ، وذلك على خلاف العادة ، وكان الموعد المحدد بعد صلاة الجمعة (١٥٤) .

ولما عيّن نائب للقدس في سنة ٨٨٨هـ ، دخلها «بخلعة السلطان ، وأوقد له السوق ، وكان يوماً حافلاً ، وقرىء توقيعه في يوم الجمعة بحضور ناظر الحرمين الشريفين وشيخ الصلاحية ، والقضاة» (١٥٥) .

لاقت قراءة التواقيع السلطانية عناية كبيرة ، فقد عين قارئ خاص لقراءتها في المسجد الأقصى ، ومن هؤلاء القراء الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن غضية الشافعي (المتوفي سنة ٨٧٥هـ) ، فقد ذكر أنه كان «يقرا المراسيم الشريفة الواردة من السلطان على دكة المسجد الأقصى» . وكان ابن غضية المذكور مقرئاً ومؤذناً ، حسن الصوت في كليهما ، وكان فقيهاً من فقهاء المدرسة الصلاحية في بيت المقدس (١٥٦) . ومنهم أيضاً شمس الدين بن عجور ، فقد ذكر مجير الدين أنه قرأ توقيع كل من محب الدين بن جماعة ، ونجم الدين بن جماعة ، في المسجد الأقصى (١٥٧) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ، التوقيعات السلطانية بعامة، والتوقيعات التي كانت تصدر بشأن تولية العلماء : قضاة أو خطباء أو مدرسين أو غيرهم، وهي ما تسمى التوقيعات التدريسية . وهي التوقيعات التي تهتمنا أكثر من غيرها ، لصلتها الوثيقة بالحركة الفكرية في المراكز العلمية المختلفة ، في الأقصى ، والمدارس وغيرها . وكانت هذه التوقيعات السلطانية بعامة ، والتدرسية بخاصة ، تصدر عن ديوان الانشاء . ولا شك أن تلك التوقيعات لها أهمية في توضيح بعض معالم الحركة الفكرية ، فانها تحدثنا عن التعليم والمعلمين ، ومكانتهم (١٥٨) . وكانت تلك التوقيعات

• (١٥٤) الأنس الجليل ٢/٢٩٨ .
• (١٥٥) نفسه ٢/٣٣١ .
• (١٥٦) نفسه ٢/١٩٤ .
• (١٥٧) نفسه ٢/٢٩٨ .
• (١٥٨) انظر : التوقيعات التدريسية ٢١ .

تتضمن توجيهات فيما يتصل بالعمل في المسجد أو المدرسة . وقد ذكر
أن هذه التوقيعات التدريسية «لم تكن تصدر من الخلفاء أو الملوك أو
الأمراء ، الا بعد أن تطورت الدراسة من الجامع الى المدرسة والجامعة» (١٥٩) .

ومما تقدم ، يتضح لنا أن المسجد الأقصى كان مركزا تعلن منه أوامر
الدولة وقراراتها . ونضيف هنا ، أنه ربما كانت بعض المراسيم السلطانية
تنقش على بلاطة في حائط ، ومن ذلك ما فعلوه عندما أمر الظاهر خشقدم
«بإبطال المظالم من القدس الشريف ، ونقش بذلك رخامتين ، وجهزهما
الى القدس الشريف في أواخر عمره ، وألصقتا بحائط المسجد الأقصى من
جهة الغرب» (١٦٠) . وكان مثل هذا العمل يعطي المرسوم صفة الدوام
والاستمرار .

ويجدر بنا أن نشير الى أن المسجد الأقصى ، شأنه شأن غيره من
المساجد الجامعة ، كان مكانا رسميا أو شبه رسمي ، تقام فيه صلاة
الجمعة ، وصلاة العيد ، وكانت مجالس القضاء ، وغيرها من المجالس
المختلفة ، تعقد فيه ، كما تقدم . وكان المسجد الأقصى يقوم بدوره الجلي
في المناسبات الدينية ، مثل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، أو المعراج ،
أو ختم القرآن ، أو غير ذلك .

(١٥٩) انظر : التوقيعات التدريسية ٢٥ - ٢٧ .

(١٦٠) الأنس الجليل ١٠٠/٢ .

الفصل الثامن

دار كتب المسجد الأقصى

تمثل دور الكتب صروحا فكرية وحضارية في تاريخ العالم الاسلامي ، وهي ذات رسالة سامية تتمثل في التشجيع على نشر العلم والفكر . ولم يقتصر دور دور الكتب على أنها مكان تحفظ فيه الآلاف من الكتب بل كانت مراكز علمية تعقد فيها المجالس والدروس ، وكان طلاب العلم يقصدونها من كل حذب وصوب ، للأخذ عن أمنائها أو العلماء فيها .

كانت مدينة بيت المقدس عامرة بخزائن الكتب في الأقصى والمدارس والزوايا والخوانق وغيرها . هذا بالإضافة الى المكتبات الخاصة ، وهي كثيرة أيضا .

وقبل أن نتحدث عن دار الكتب بالمسجد الأقصى ، يحسن بنا أن نشير الى المكتبات الأخرى .

من المعلوم أن الجوامع والمدارس ودور القرآن والحديث وغيرها من المعاهد العلمية ، كانت تهتم بإنشاء المكتبات واثرائها ، فكل جامع كانت له مكتبته الخاصة ، وكل مدرسة كانت لها مكتبتها الخاصة بها أيضا . وكذلك كان الأمر بالنسبة للمعاهد العلمية الأخرى .

كثرت المدارس في بيت المقدس ، في العصرين الأيوبي والمملوكي ، ومن الطبيعي أن تكون لكل مدرسة منها ، خزانة كتب . ومما يؤيد هذا ما ذكر عن المدرسة الفارسية ، والمدرسة البلدية ، والمدرسة الاسعدية ، وغيرها ، فقد كان في كل منها خزانة كتب كما سنفصله في الحديث عن دار كتب المسجد الأقصى . وهكذا كثرت خزائن الكتب مع كثرة المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي . وكانت خزائن الكتب في المدارس مخصصة للأساتذة والطلبة وغيرهم ، فقد ذكر أنها أنشئت لتحقيق الغرض العلمي وغيره (١) .

(١) أنظر : خطط الشام ٦/ ١٩٠ .

وذكر محمد كرد علي أنه «قلت عناية الملوك بخزائن الكتب ، لما كثرت المدارس في هذه الديار - الشام - في القرن الخامس الهجري ، وأضاف أنهم اكتفوا «بخزائن كتب المدارس التي أثبتوها من حيث أنها بذلك أمس» ، ولم تكد تخلو مدرسة من المدارس في الشام من خزانة كتب . وكان لبيت المقدس نصيب كبير من ذلك ، شأنه في ذلك شأن غيره من المراكز الفكرية الأخرى ، وذلك واضح في قوله : «وكان لحلب ودمشق والقدس الحظ الأوفر من ذلك» (٢) .

وكانت في الخانقاة الفخرية دار كتب كبيرة ، وكانت تلك الدار تحتل قسما من الخانقاة المجاورة لجامع المغاربة ، وكان بابها من داخل المسجد الأقصى (٣) . وقد ذكر أن هذه المكتبة كانت غنية بالمخطوطات الدينية والفلكية ، وكان عدد الكتب فيها يقدر بنحو عشرة آلاف مجلد (٤) (٥) .

ومن المكتبات التي كانت موجودة في ساحة الحرم الشريف مكتبة آل البديري . وفي أغلب الظن أن هذه المكتبة كانت موجودة في القرن التاسع الهجري وما بعده ، فقد ذكر أن عائلة البديري «قطنت القدس منذ أكثر من ستمائة سنة» (٦) . وقد كانت تلك المكتبة غنية بالمخطوطات الكثيرة (٧) .

(٢) خطط الشام ١٨٦/٦ .

(٣) أنظر : المفصل في تاريخ القدس ٢٤٦ .

(٤) اقتسم آل أبي السعود الذين كانوا يشرفون على هذه المكتبة ، كتبها ومخطوطاتها . (أنظر : المفصل في تاريخ القدس ٤٥١ ، مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد العشرون ٢٣٨) .

(٥) المفصل في تاريخ القدس ٤٥١ ، مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد العشرون ٢٣٨ .

(٦) المفصل في تاريخ القدس ٤٥١ ، مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد العشرون ٢٣٨ .

(٧) اقتسمها أفراد عائلة البديري ، وكان أكثرها عند « محمد البديري » ، فوضعها في جناح من أجنحة المسجد الأقصى (أنظر : المفصل في تاريخ القدس ٤٥١ ، مجلة المجمع

العلمي العربي - المجلد العشرون ٢٣٨) .

ومن المكتبات التي كانت موجودة في القرن التاسع الهجري ، مكتبة آل قطينة^(٨) ، فقد ورد ذكرها في مستندات القرن التاسع الهجري ، وذلك يؤكد ما أشرنا اليه . ولا شك أن هذه المكتبة استمرت تؤدي دورها بعد القرن التاسع الهجري أيضا . وذكر أنه كانت فيها «مخطوطات نفيسة في الرياضيات والفلك والتنجيم» ، وكانت فيها «بعض المخطوطات التاريخية»^(٩) .

ومن خزائن الكتب الخاصة خزانة كتب خطيب المسجد الأقصى ، والمدرس في المدرسة الصلاحية قاضي القضاة شيخ الاسلام برهان الدين أبي اسحق ابراهيم بن عبد الرحيم الكناني الحموي ثم المقدسي الشافعي^(١٠) ، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني أن الشيخ برهان الدين «خلف من الكتب النفيسة ما يعز اجتماع مثله ، لانه كان مغرما بها ، فكان يشتري النسخة من الكتاب التي اليها المنتهى في الحسن ، ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنفه فيشتريه ، ولا يترك الأولى ، الى أن اقتنى بخطوط المصنفين مالا يعبر عنه كثرة» . لقد اقتنى برهان الدين «من الكتب النفيسة بخطوط مصنفها ما لم يتهيا لغيره»^(١١) كما يقول ابن حجر العسقلاني .

(٨) كانت تقع بباب العامود (أنظر : خزائن الكتب العربية في الخائفين ١/٢٩٣ .

(٩) أنظر : المفصل في تاريخ القدس ٤٥١ ، مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد العشرون . ٢٣٩ .

(١٠) ولد في سنة ٧٢٥هـ ، وتلقى العلم على والده وجده وعمه . وأخذ عن العلماء بمصر والشام ، انتهت اليه رياسة العلماء في زمانه كما يذكر ابن حجر العسقلاني . وقد ولى الخطابة بالأقصى ، والتدريس بالصلاحية ، وياشر القضاء . توفي سنة ٧٩٠هـ . (أنظر : الدرر الكامنة ١/٣٩ - ٤٠ ، انباء الغمر ١/٣٥٥ ، المنهل الصافي ٧٩ ، الانس الجليل ١٠٧/٢ - ١٠٨) .

(١١) انباء الغمر ١/٣٥٥ .

ومثل هذا يقال عن خزائن كتب علماء آخرين في بيت المقدس .
وهكذا يتبين لنا حقا أن بيت المقدس كانت عامرة بخزائن الكتب في
العصرين الأيوبي والملوكي كما تقدم .

وبعد هذا ، نتحدث عن دار كتب المسجد الأقصى ، وهي هدفنا في
هذا المجال .

تقدم القول في أن صلاح الدين الأيوبي وقف على الصخرة المشرفة
مصاحف وختمات وربعات شريفة . وزاد صلاح الدين في «كتب المسجد
الأقصى ، وبخاصة الربعات ونسخ القرآن» (١٢) . ومن المحتمل أنه
وقف كتباً أخرى على المعاهد العلمية التي أنشأها بعد تحرير بيت المقدس
مثل المدرسة الصلاحية ، والزاوية الختنية ، وغيرها .

وتقدم القول في أنه كانت في الحرم القدسي مصاحف لا يستقلها
الرجال .

ولم يكن صلاح الدين هو السلطان الوحيد الذي فعل ذلك ، فقد نهج
الأيوبيون نهجه من بعده ، ومما يدل على ذلك ما فعله الملك المعظم عيسى ،
عندما جدد الزاوية النصرية لاقراء القرآن والاشتغال بالنحو ، فقد وقف
عليها كتباً نفيسة مثل اصلاح المنطق لابن السكيت ، والايضاح في النحو
لأبي علي الفارسي ، والكتاب لسيبويه ، كما تقدم . ومن هذا يتبين لنا
كيف كان الأيوبيون «ينتقون لمدارسهم أنفس المخطوطات وأصحها» (١٣) .

وسار الأمر كذلك في العصر الملوكي ، ففيه كثرت المدارس ، وصاحب
ذلك الاكثار من خزائن الكتب الخاصة بالمدارس كما تقدم . ومن المرجح
أن الممالك عنوا بخزائن الكتب في الأقصى ، كما عنوا بها في المدارس ،
ولا شك أنهم وقفوا كتباً كثيرة عليها ، كما فعل الأيوبيون من قبل ، وهذا
واضح في سجل دار كتب المسجد الأقصى ، كما سنتبينه فيما بعد .

(١٢) أنظر : مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد العشرون ٢٣٤ .

(١٣) أنظر : نفسه ٢٣٥ .

لقد أشار السخاوي الى دار كتب المسجد الأقصى ، وذلك في حديثه عن شمس الدين محمد بن أحمد بن حبيب الغانمي المقدسي (١٤) ، فقد ذكر أنه لقي الغانمي المذكور في بيت المقدس ، وأنه قرأ عليه بعض الأجزاء ، ولكن السخاوي لم يحدد تلك الأجزاء التي قرأها على الغانمي . وأضاف السخاوي أن الغانمي المذكور كان «خازن الكتب بالأقصى» (١٥) . ومن الواضح أن خازن الكتب المذكور كان ذا مكانة علمية كبيرة جعلت السخاوي يقرأ عليه ، ويقرأ عليه غير السخاوي دون شك .

ويحسن بنا أن نتساءل : أين قرأ السخاوي على الغانمي ؟ أغلب الظن أن السخاوي قرأ على خازن دار كتب المسجد الأقصى بالدار نفسها داخل المسجد الأقصى ، وهذا يبين لنا كيف أن تلك الدار كانت تؤدي دورا كبيرا في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، فقد كانت دارا للكتب ، ومكانا للدرس . ومما يرجح هذا أن خازن دار العلم ببغداد مثلا ، كان طلاب العلم يقصدونه للأخذ عنه ، ومنهم أبو العلاء المعري . وكذلك كان الأمر في دور الكتب الأخرى . ولا شك أن دار كتب المسجد الأقصى تشبه مثيلاتها في الدور الذي كانت تؤديه في مجال العلم والاشتغال به .

يدل هذا القول دلالة مؤكدة على أن دار الكتب بالمسجد الأقصى كانت تؤدي دورها الفكري .

ويذكر محمد كرد علي أن دار كتب المسجد الأقصى كانت بالمدرسة الفارسية (١٦) ، ثم ذكر أن المجلس الأعلى الاسلامي نقل دار الكتب المذكورة الى المدرسة الأسعدية (١٧) . ثم ذكر أن المدرسة النحوية اتخذت مكانا

(١٤) ذكر السخاوي أن الغانمي « شيخ حسن من أهل القرآن ، سمع على أبي الخير بن العلابي ، والشمس القلقشندي وغيرهما . ولد في عشر الثمانين وسبعمائة ، وتوفي سنة ٨٦٠هـ تقريبا (أنظر : الضوء اللامع ٣٠١/٦) .

(١٥) الضوء اللامع ٣٠١/٦ .

(١٦) خطط الشام ١١٧/٦ .

(١٧) نفسه ١١٩/٦ .

لدار الكتب تلك ، وقد «جمع فيها ما أبقته عوادي الأيام من المصاحف الشريفة القديمة النادرة ، والكتب المخطوطة وغير المخطوطة» (١٨) .

لقد كانت دار كتب المسجد الأقصى مكتبة عامرة بالكثير من المصاحف والكتب والمخطوطات ، وذكر أنه كان في خزائنها ما يزيد على عشرة آلاف كتاب ، وألف مخطوطة نصفها مصاحف وربعات نفيسة (١٩) . ويذكر محمد كرد علي أن خزانة كتب المسجد الأقصى ، تعد من أهم خزائن الكتب في الشام (٢٠) . وإذا كانت هذه المكتبة كذلك في أيام محمد كرد علي ، فكيف بها في عهد ازدهارها ، قبل أن يضيع الكثير من نفائسها .

لا شك أن الكتب والمخطوطات في دار كتب الأقصى ، كانت أكثر من العدد المذكور قبل قليل ، وبخاصة إذا علمنا أن دور الكتب في بيت المقدس ، تعرضت للفساد والضياع ، فمثلا تعرضت «ربعة أبي الحسن المريني» للضياع ، على الرغم من أهميتها وقداستها ، وقد كانت موجودة في خزانة بالصخرة المشرفة ، وبقيت مصونة فيها مدة ستة قرون ، ثم فقدت في هذا القرن . وجاء في بيان وجهه المجلس الاسلامي الأعلى في القدس ، الى العالم الاسلامي عامة ، أنه قد نقلت الربعة المذكورة «الى المتحف تنفيذًا لشروط واقفها ، وحفظ عينها» . وأضاف البيان متحدثًا عن أهمية هذه الربعة ، وضياعها : «فهذه الربعة التي هي من أنفس الآثار الاسلامية ، قد سرق منها الجزء الثلاثون ، وقد رثاها العلامة الكبير أحمد زكي باشا ، ولو بقيت في مكانها في خزانتها في الصخرة المشرفة كما كان يجب أن يكون ، لما تعرضت الى السرقة والضياع . وقد مضى عليها ستة قرون وهي مصونة، ففقدت الآن في عهد المجلس الاسلامي» (٢١) .

(١٨) بيان المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى بـفلسطين ١٣٤٠/١٣٤١هـ ، ١٢ .

(١٩) الفتح القدسي ١٤٢ .

(٢٠) خطط الشام ١٩٥/٦ .

(٢١) بيان الى العام الاسلامي عن الاماكن المقدسة في الاسلامية في فلسطين ١٣٥٠هـ

١٩٣٢م ، ٢٠ .

ويذكر الشيخ محمد الخليلي (٢٢) أن عددا من الكتب قد نقلها غير أهلها من محلها ، وباعوها بأبخس الأثمان ، وما علموا أن بيعها هو عين الخسران» ، ويضيف الشيخ الخليلي ، في القرن الثاني عشر الهجري ، أن «بيت المقدس يجب على أهلها زيادة الاعتناء بأمر الدين ، والتنافس على تحصيل العلوم والكتب ٠٠٠» ، ولهذا وقف الشيخ الخليلي كتبه الكثيرة كما يبدو في قوله : «انه وقف ، وحبس ، وخلد ، وسبل ، وتصدق بجميع ما يملكه من الكتب الجارية في تصرفه وحوزه ويده ٠٠٠ على اختلاف أنواعها» (٢٣) ، وهي كثيرة جدا (٢٤) . ولا يسمح المجال بالحديث عنها هنا ، لأن الشيخ الخليلي عاش في القرن الثاني عشر الهجري ، وينتهي هذا البحث مع نهاية العصر المملوكي في الربع الأول من القرن العاشر الهجري . ولكننا ذكرناها هنا لنشدر الى تعرض دور الكتب في بيت المقدس للضياع والفساد .

ويؤكد هذا ما يذكره الدكتور اسحق موسى الحسيني ، فقد ذكر أنه «يظهر أن تجار المخطوطات من الغرباء سطوا على كثير من الكتب الثمينة التي وقفها السلاطين والأمراء والأعيان ، وهربوها الى خارج البلاد في غفلة من أهلها ، فهناك صناديق مليئة بالمخطوطات في جامعة هايدلبرغ في ألمانيا عليها ختم المسجد الأقصى ، عدا ما تسرب الى أوروبا وأمريكا من تراثنا الثمين» (٢٥) .

(٢٢) محمد بن محمد بن شرف الدين ، الخليلي بلدا ، القدسي سكنا ، الشافعي مذهبا . كان مشهورا في الحديث والتفسير والفقه . درس بمصر ، وأخذ عن العلماء بالجامع الأزهر ، وحصل على الاجازات من عبد الغني النابلسي وغيره . ثم أقام بالقدس ، وسكن بالمدرسة البلدية في جوار الأقصى . ودرس في بيت المقدس . وجمع خزانة كتب فريدة . توفي سنة ١١٤٧هـ . (انظر : وثيقة مقدسية تاريخية - الشيخ محمد الخليلي ٧ - ١٤) .

(٢٣) انظر : نفسه ٢٢ .

(٢٤) انظر : نفسه ٢٢ - ٢٣ .

(٢٥) انظر : نفسه ٤ .

ويذكر محمد كرد علي أن من المصائب التي أصيبت بها دور الكتب «أن بعض دول مثل فرنسا وألمانيا وبريطانيا وهولندا وروسيا» أخذت تجمع ، منذ القرن السابع عشر الميلادي ، كتباً تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشرين من رجال الدين» ، وخان المشرفون على دور الكتب الأمانة ، وباعوا الكثير من الكتب والمخطوطات بأبخس الأثمان (٢٦) .

ويذكر فيليب دي طرازي أن المسجد الأقصى حوى «منذ قرون عديدة خزانة كتب أهداها إليه الملوك والعلماء والأشراف من جميع الأقطار ، لكنها أصبحت كباقي المكاتب عرضة لذوي المطامع ، فضاغ كثير من كتوزها التي لا تقدر بثمن» ، هذا بالإضافة إلى أن الصليبيين كانوا قد أحرقوا المصاحف في محراب داود ، عليه السلام ، في بيت المقدس (٢٧) .

ان الناظر في سجل دار كتب المسجد الأقصى ، يجد أن مصاحف وكتباً ومخطوطات كثيرة ، قد وقفت عليها منذ العصر الأيوبي ، فالعصر المملوكي . وقد قمنا بالاطلاع على سجل المصاحف والربعات فيها ، وهي موجودة بالمتحف الإسلامي في بيت المقدس ، ولكنه تعذر الاطلاع على سجل الكتب والمخطوطات الأخرى القديم ، وأمكن الاطلاع على سجل كتب مكتبة المسجد الأقصى القائمة في جزء من المدرسة الأشرفية في أيامنا هذه .

وقد تبينا من الاطلاع على سجل المصاحف والربعات ، غنى دار كتب المسجد الأقصى بالمصاحف والربعات ، ولا شك أن هذا ينطبق على سجل الكتب والمخطوطات الأخرى غالباً .

ومن تلك المصاحف والربعات «نصف مصحف قديم بخط كوفي كتب عليه : «كتبه محمد بن الحسن بن الحسين بن بنت رسول الله» .

لقد ذكر أنه كان في المسجد الأقصى سبعون مصحفاً من المصاحف الجامعة ، وستة مصاحف من المصاحف الكبيرة الموضوعة على كراسي» (٢٨) ، كما تقدم .

(٢٦) خطط الشام ١٩٣/٦ .

(٢٧) تاريخ ابن يسر ٤٦٣ ، خزائن الكتب العربية في الخاقين ١٤١/١ ، ١٠٠٣/٣ .

(٢٨) العقد الفريد ٢٦٣/٦ ، ٢٦٤ ، خطط الشام ١٩٥/٦ ، خزائن الكتب العربية في الخاقين ١٤١/١ .

ومنها ما أرسله ملك المغرب سنة ٧٤٥هـ ، فقد جاء في السجل أنه في السنة المذكورة أرسل ملك المغرب عبد الله علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف بن عبد الحق» ربعة كاملة ، ووقفها على المسجد الأقصى . وكان قد كتبها بيده ، وهي ربعة تقع في ثلاثين جزءا (٢٩) ، وهي مكتوبة على رق غزال ، بقلم مغربي . وقد كتبت أسماء السور مزخرفة بكل عناية ، وكل جزء من أجزائها مجلد بجلد مزركش بالفضة والذهب ، وفي آخر كل جزء من أجزائها ، ما يشير الى من كتبها ووقفها على المسجد الأقصى (٣٠) .

ومن هذه المصاحف ما يعود الى سنة ٦٤٨هـ ، فقد وقف في ذلك العام ثلاثة أجزاء من المصحف الشريف ، وهي مكتوبة على رق غزال بخط مغربي جميل ، وكتبت أسماء السور بماء الذهب (٣١) .

ومنها ما يعود الى عام ٧٦٠هـ (٣٢) .

وفي سنة ٧٧٨هـ ، وقفت أجزاء عديدة من المصحف الشريف على دار كتب المسجد الأقصى ، وقد وقفها علاء الدين بن قرمان (٣٣) .

ووقفت أجزاء أخرى من المصحف الشريف في القرن الثامن الهجري أو بعده ، دون تحديد السنة التي وقفت فيها تلك الأجزاء (٣٤) . وقد ذكر

(٢٩) الموجود من أجزاء هذه الربعة أربعة وعشرون جزءا ، أما الأجزاء الخامس ، والعاشر ، والسادس عشر ، والثامن عشر ، والسادس والعشرون ، فقد وجدت مكتوبة بخط مغربي ، وكاتبها الحاج مبارك بن عبد الرحمن مبارك ، وكان ذلك سنة ١٢٢٢هـ . وقد كتبت هذه الأجزاء الأصلية المفقودة . وما زالت هذه الربعة موجودة اليوم في المتحف الاسلامي في القدس ، ورقمها م . ش ٣ .

(٣٠) أنظر : سجل دار كتب الأقصى - المخطوطة رقم م . ش ٣ .

(٣١) أنظر : سجل دار كتب الأقصى - المخطوطة رقم م . ش ١١ .

(٣٢) أنظر : سجل دار كتب الأقصى - المخطوطة رقم م . ش ١٨ .

(٣٣) أنظر : سجل دار كتب الأقصى - المخطوطات ذوات الأرقام : م . ش ٤٢ ، ١٠٧ .

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ .

(٣٤) أنظر : سجل دار كتب الأقصى - المخطوطة رقم م . ش ١٧ .

أنه وقفت مصاحف شريفة كاملة في العصر المملوكي دون تحديد السنة التي وقفت فيها المصاحف أيضا .

ووقف الملك الأشرف قايتباي مصحفا شريفا كاملا ، وقد وقفه بمدرسة في غزة ، ثم نقل الى دار كتب المسجد الأقصى (٣٥) .

ومنها ما يرجع الى العصر المملوكي دون تحديد سنة الوقف أيضا ، وهو «النصف الثاني من القرآن الكريم ، مكتوب على ورق صقيل ، هوامشه مذهبة ، وأسماء السور مكتوبة بحبر أبيض براق على أرض ذات زخارف جد بديعة غنية بنقوشها الهندسية ، وألوانها الذهبية الزاهية الحمراء والزرقاء ، وكل ألفاظ الجلالة مكتوبة بالذهب» (٣٦) .

وفي سنة ٨٤٠هـ وقف مصحف شريف على دار كتب المسجد الأقصى (٣٧) .

وفي سنة ٩١٨هـ وقف مصحف شريف على دار كتب المسجد الأقصى ، وقد وقفه محمد بن الحاجي عثمان ، وهو مكتوب برواية أبي عمرو بن العلاء . ووقفت مصاحف أخرى بعد العصر المملوكي ، وهو ما لا يتسع المجال لذكره هنا ، لأن هذا البحث ينتهي بنهاية العصر المملوكي .

وأما الكتب في دار كتب المسجد الأقصى ، فقد كانت متنوعة بين العلوم المختلفة : العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، والعلوم الانسانية ، والعلوم الرياضية ، وكتب في التصوف والمنطق وعلم الكلام والطب والفلك ، وغير ذلك . وذلك واضح جلي في حديثنا عن الحركة العلمية في المسجد الأقصى ، وسيبدو واضحا أيضا في الحديث عن حركة التأليف .

وإذا لم نجد قوائم كاملة بتلك الكتب كما كانت حتى أواخر العصر المملوكي ، فإننا نستطيع القول بأن كتب الدراسة التي كانت تدرس في

(٣٥) أنظر : سجل دار كتب الاقصى - المخطوطتان : م ش ٢ ، ٨ .

(٣٦) أنظر : سجل دار كتب الاقصى - المخطوطة رقم م ش ١ .

(٣٧) أنظر : سجل دار كتب الاقصى - المخطوطة رقم م ش ١٨٠ .

العلوم المختلفة في بيت المقدس ، كانت توجد نسخة أو نسخ منها في تلك الدار . ومن المرجح أن ينطبق مثل هذا القول على المصنفات التي صنفها العلماء في بيت المقدس ، فلا شك أن نسخة أو نسخا منها كانت توجد في دار الكتب تلك . وإذا كان بعض المصنفين يرسلون نسخة أو أكثر من مصنفاتهم الى بيت المقدس ، فكيف كان الأمر بالنسبة للمصنفين هناك ؟ وما يذكر في هذا الصدد ، أن الامام العلامة الزاهد الكبير موفق الدين أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الموصللي الكواشي* (٣٨) المفسر (٣٩) ، أرسل نسخة من كلا مصنفيه التفسير الكبير والتفسير الصغير الى القدس ، كما أرسل نسخة أخرى الى مكة ، وثالثة الى المدينة (٤٠) . وأما تفسيره الكبير فهو « التبصرة في التفسير » ، ثم لخصه وسماه « التلخيص في التفسير » ، وتحدث فيهما عن القراءات أيضا ، وكان الكواشي قد فرغ من تأليف كتابه الأخير في ربيع الآخر سنة ٦٤٩هـ . وذكر الزركلي

(٣٨) نسبة الى كواشة ، وهي قلعة من عمل الموصل . وذكر ياقوت أنها « قلعة حصينة في الجبال التي في شرقي الموصل ، وكانت قديما تسمى أردشت ، وكواشي اسم لها محدث » (معجم البلدان ٤٨٦/٣ ، وانظر : الوافي بالوفيات ٢٩١/٨ ، نكت الهميان ١١٦ ، طبقات الشافعية الكبرى ٤٢/٨) .

(٣٩) ولد بكواشة سنة ٥٩٠هـ أو ٥٩١هـ ، وقرا القرآن على والده ، وبرع في القراءات والتفسير والعربية والفضائل . وكان الكواشي « عديم المثل زهوا وصلاحا وصدقا وتبتلا . وكان السلطان ومن دونه يزورونه ، ولا يعبا بهم ، ولا يقوم لهم ، ولا يقبل منهم شيئا » . وكان لأهل الموصل فيه اعتقاد عظيم . وذكر أنه أضر قبل موته نحو عشرين سنة . وذكر أن شمس الدين الذهبي قرأ عليه تفسيره ، ثم حدث عنه بالكتاب سنة ٧١٢هـ . توفي الكواشي سنة ٦٨٠هـ . (انظر : نكت الهميان ١١٦ - ١١٧ ، طبقات الشافعية الكبرى ٤٢/٨ ، بغية الوعاة ٤٠١/٨ ، شذرات الذهب ٣٦٥/٥ - ٣٦٦) .

(٤٠) الوافي بالوفيات ٢٩١/٨ - ٢٩٢ ، نكت الهميان ١١٧ ، بغية الوعاة ٤٠١/٨ .

الكتاب الأول باسم «تبصرة الحقائق» (٤١) ، وذكر أن الجزء الثالث منه يسمى «كشف الحقائق» (٤٢) . وكان الكواشي المذكور قد زار بيت المقدس (٤٣) . وذكر السيوطي أن تفسير الكواشي كان من كتب التفسير التي اعتمد عليها ، فقد «اعتمد عليه الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره» ، واعتمد عليه السيوطي نفسه (٤٤) . ونتبين من هذا أن الكتب والمخطوطات ذات الأهمية ، كانت ترسل الى بيت المقدس كما تقدم .

وقد تقدم القول في أن المكتبات في عدد من المراكز العلمية في الحرم الشريف ، تحوي كتباً ومخطوطات في العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية ، والتاريخ ، والرياضيات والفلك والتنجيم ، وغيرها .

وفي أغلب الظن أن دور الكتب التي وجدت بعد العصر المملوكي ، ضمت مصاحف وكتباً ومخطوطات كثيرة ، وكان كلها أو جلها موجود في بيت المقدس قبل ذلك ، فالمكتبة الخالدية كان فيها عشرة آلاف مصنف ، نصفها مخطوط ، ولم تكن هذه الكتب الا «بقية كتب آبائهم وأجدادهم» ، أي آباء الخالدين وأجدادهم .

وجاء في برنامج المكتبة الخالدية أنهم «أضافوا إليها بعضاً من الكتب الموجودة عندهم أيضاً . وتنوعت مخطوطاتها وكتبها بين «كل نوع من الأنواع العلمية العربية الإسلامية» (٤٥) . ومما يقوي ما نحن بصدده ، وهو أن دار كتب المسجد الأقصى القديمة ، كانت تتضمن مخطوطات وكتباً مما ورد ذكره في سجلات المكتبات الأخرى ، «اننا نجد في سجل الخالدية مخطوطات وضعت في بيت المقدس منذ الفتح القدسي ، ومنها

(٤١) نكت الهميان ١١٧ ، طبقات الشافعية الكبرى ٤٢/٨ ، بغية الوعاة ٤٠١/١ ، شذرات

الذهب ٣٦٦/٥ ، كشف الظنون ٣٣٩/١ ، ٤٥٧ ، ٤٨٠ .

(٤٢) الاعلام ٢٦٠/١ .

(٤٣) نكت الهميان ١١٦/١ ، شذرات الذهب ٣٦٦/٥ .

(٤٤) بغية الوعاة ٤٠١/١ .

(٤٥) انظر : برنامج المكتبة الخالدية العمومية ، مجلة الجمع العلمي العربي المجلد

المشرون / ٢٣٦ .

«مناذح المادح» و «روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر» ، المعروف بالمدبجات(٤٦) ، لعبد المنعم بن عمر بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني(٤٧) ، وقد صنفه للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، وأنشأه سنة ٥٨٩هـ ، وهو أول ديوان المبشرات والقدسيات للجلياني المذكور . ومن المرجح أن نسخة من هذا الكتاب ، وضعت في بيت المقدس ، منذ أن صنف الكتاب ، وهو كتاب يدور حول تحرير بيت المقدس .

ومنها كتاب «مثير الغرام بفضائل القدس والشام» ، ومختصره «منتهى الغرام في تحصيل مثير الغرام» ، وكتاب «اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى» وغيرها(٤٨) .

وكان في مكتبة الشيخ محمد الخليلي « بالمدسة البلدية في جدار المسجد الأقصى » ، كتب ومخطوطات كثيرة ومتنوعة بين المصاحف الشريفة وكتب التفسير ، وكتب الحديث الشريف ، وكتب الفقه ، وكتب الأصول وكتب التوحيد ، وكتب التصوف ، وكتب القراءات ، وكتب الفرائض ، وكتب الحساب والفلك ، وكتب النحو ، وكتب المعاني والبيان ، وكتب المنطق ، وكتب التصريف والعروض ، وكتب الأدبيات ، وكتب الطب ، وكتب التواريخ وغير ذلك(٤٩) . وهكذا كان الأمر في دار كتب المسجد الأقصى .

(٤٦) أنظر : كشف الظنون ١٦٤١/٢ .

(٤٧) أديب ، شاعر ، طبيب . ولد سنة ٥٣١هـ ، ثم رحل من الأندلس ، ودخل بغداد . اتصل بالسلطان صلاح الدين ، وحظي بلكانة كبيرة لديه ، وله فيه مدائح كثيرة . وله عشرة دواوين ، ومنها ديوان « أدب السلوك » ، وديوان « الغزل والنسيب والموشحات والدوبيت » ، وديوان « مناذح المادح » و « روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر » ، وديوان المبشرات والقدسيات ، وغيرها . توفي بدمشق سنة ٦٠٢هـ . (أنظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٦٣٠ - ٦٣٥ ، فوات ٤٠٧/٢ - ٤٠٩ ، الأعلام ١٤٧/٤) .

(٤٨) أنظر : مجلة المجمع العلمي العربي ، المجد العشرون / ٣٣٦ .

(٤٩) أنظر : وثيقة مقدسية تاريخية - الشيخ محمد الخليلي ، ٢٨ ، ٢٢ - ٣٣ .

تقدم القول في أن الكثير من الكتب في الحديث والتفسير والقراءات والفقهاء ، واللغة والنحو والأدب والبلاغة والعروض ، والتاريخ ، والتصوف ، والمنطق ، والرياضيات ، وغيرها ، درست بالمسجد الأقصى ، ففي الحديث درست الكتب الستة ، وعلى رأسها صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وفي القراءات درست الشاطبية ، والتيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، وغيرهما . وفي التفسير عني بالاشتغال بتفسير الكشاف للزمخشري ، وتفسير البيضاوي ، وتفسير الفخر الرازي ، وغيرها . وفي الفقه اشتغلوا بكتب كثيرة مثل المقنع في الفقه ، والحاوي الصغير في الفروع وغيرهما . وفي اللغة والنحو عني العلماء بالاشتغال بالكتاب ، وألفية ابن مالك ، واصلاح المنطق ، وملحة الاعراب ، والكافية ، والشافية ، وغيرها . وفي الأدب عنوا بدواوين شعرية ، ومقامات ، وخطب ، وغيرها . وفي البلاغة عنوا بالتلخيص والمطول وغيرهما . وفي العروض عنوا بالعروض الخليلي ، ومن ذلك كتاب «السبيل الأحمد الى علم الخليل بن أحمد» . وفي العلوم الرياضية عنوا بالياسمينية في الجبر والمقابلة ، ومصنفات ابن الهائم مثل : المعونة ، واللمع في الحساب ، والمقنع في الجبر والمقابلة ، وغيرها . وفي التصوف عنوا ببعض مصنفات الغزالي ، وعني بعضهم ببعض مصنفات ابن عربي ، وغير ذلك ، كما تقدم في الحديث المفصل عن الحياة العلمية في المسجد الأقصى .

وعني العلماء بتاريخ بيت المقدس بخاصة . ومن المؤكد أن الكتب في الموضوعات المتقدم ذكرها ، وفي تاريخ بيت المقدس بخاصة ، كانت مما تضمنته دار كتب المسجد الأقصى . هذا بالإضافة الى المصنفات التي صنفتها العلماء في بيت المقدس ، كما أشرنا فيما تقدم ، فمن المؤكد أن أهم مكتبة في بيت المقدس ، كانت تحتوي نسخة أو نسخا من تلك المصنفات . ولما كان المجال لا يسمح هنا بذكر كل تلك المصنفات ، فاننا اكتفينا بالإشارة إليها على أن نتحدث عنها في كتاب عن حركة التأليف في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والملوكي . ولعل ما يؤكد ما نحن بصدد

أن كتبنا في تاريخ بيت المقدس ، صنفت هناك ، ووجدت في المكتبات ، وخاصة دار كتب المسجد الأقصى ، ومنها : كتاب «الاشارات في معرفة الزيارات» (٥٠) لعلي بن الحسن بن محمد الهروي (٥١) ، وكان الهروي قد زار بيت المقدس سنة ٦٧٢هـ ، وألف الكتاب المذكور حوالي ذلك التاريخ (٥٢) .

ومنها كتاب فضائل بيت المقدس والشام» للشيخ أبي المعالي المشرف ابن المرجئي بن ابراهيم المقدسي (٥٣) ، وكتاب في تاريخ بيت المقدس وفضائله للشيخ أبي القاسم مكي بن عبد السلام الأنصاري الرميلسي الشافعي (٥٤) ، وكتاب في فضائل بيت المقدس للخطيب أبي بكر محمد ابن أحمد الواسطي المقدسي (٥٥) ، وكتاب «الفتح القسي في الفتح القدسي»

(٥٠) كتاب يتضمن ما رآه الهروي من المزايدات والمشاهد ، وذكر فيه زيارات الشام ، وبلاد الفرنج ، والأرض المقدسة ، ومصر ، والمغرب ، وبلاد الروم ، والجزيرة ، والعراق ، وغيرها . أنظر : الكتاب نفسه - تحقيق جانين سورديل - دمشق - ١٩٥٣ - المعهد الفرنسي بدمشق ، كشف الظنون ٩٦/١ .

(٥١) وهو علاء الدين علي بن الحسن بن محمد الهروي الحنفي . ولد سنة نيف وخسين وستمائة ، وقدم حلب فأقام بها ، وتصدر لاقراء مذهبه . وكان شيخ الخانقاه المقدمة بها . توفي في سنة ٧٢٢هـ (الدرر الكامنة ١٠٩/٣) .

(٥٢) أنظر : تاريخ الحرم القدسي ١١٠ .

(٥٣) أنظر ص ١٤٨ من هذا البحث .

(٥٤) أنظر ص ١٤٩ من هذا البحث .

(٥٥) صنّفه الواسطي المذكور متحدثاً عن فضائل بيت المقدس . وتوجد نسخة مخطوطة من الكتاب في دار الكتب المصرية ٧٨١ مجاميع ، مصورة عن نسخة في مكتبة أحمد باشا الجزائر في عكا . توفي الواسطي المذكور سنة ٥٢٣هـ في دمشق . أنظر : فهرس المخطوطات المصورة - التاريخ - ج ٢ ق ٢/١١٣ - ١١٤) .

للعقاد الأصفهانى ، وكتاب «الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى»
 للإمام الحافظ شىخ الإسلام أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن
 عساکر (٥٦) ، وكتاب «الأنس فى فضائل القدس» للقاضى الإمام العالم أمين
 الدين أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعى (٥٧) ، وكتاب
 «فضائل القدس» لابن الجوزى (٥٨) ، وكتاب «مثير الغرام الى زيارة
 القدس والشام» للشىخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن سرور المقدسى
 الشافعى (٥٩) ، وكتاب «النحلة الأنسية فى الرحلة القدسية» للشىخ جمال
 الدين محمد بن محمد بن نباتة (٦٠) ، وكتاب «الروض المغرس فى فضائل
 بيت المقدس» لشىخ الإسلام تاج الدين أبى النصر عبد الوهاب الحسينى
 الشافعى (٦١) ، وكتاب «اتحاف الأخصا فى فضائل المسجد الأقصى» للشىخ
 محمد بن أحمد المنهاجى السيوطى (٦٢) ، وكتاب «الأنس الجليل فى تاريخ
 القدس والخليل» لمجير الدين الحنبلى ، وغيرها .

ومن الجدير بالقول أن السيوطى المذكور كان قد زار بيت المقدس
 سنة ٨٧٤هـ ، وصنف كتابه فيها سنة ٨٧٥هـ كما تقدم . ويذكر
 السيوطى فى كتابه هذا عدداً من الكتب التى صنف فى تاريخ بيت المقدس

(٥٦) أنظر ص ١٤٩ من هذا البحث .

(٥٧) أنظر ص ١٥٠ من هذا البحث .

(٥٨) أنظر ص ١٥٠ ، ١٥١ من هذا البحث .

(٥٩) أنظر ص ١٥٢ من هذا البحث .

(٦٠) أنظر كشف الظنون ١٩٣٤/٢ .

(٦١) أنظر ص ١٥٢ ، ١٥٣ من هذا البحث .

(٦٢) ولد بأسىوط سنة ٨١٢هـ ، ونشأ وتعلم بها ، فتلا بالقراءات ، وقرأ الفقه ، وعرض
 على عدد من أشهر العلماء ، ودرس النحو ، وتعمق فى الأدب ، تميز فيه . وأجاز له
 ابن حجر . سافر الى الشام ، وكتب عنه الفضلاء (الضوء اللامع ١٣/٧) .

وفضائله ، ومنها الكتب التي تقدم ذكرها . ومن الواضح أنه اطلع عليها في بيت المقدس ، بل في خزائن كتب المسجد الأقصى .

ويذكر عارف العارف أنه «يرجع الفضل في العثور على أكثر الكتب التي بحثت عن المسجد الأقصى في العهود الغابرة» الى الشيخ السيوطي ، لأنه ذكر في كتابه «اتحاف الأخصا» المذكور ، الكتب التي نقل عنها ما كان في خزائن المسجد الأقصى (٦٣) .

ويذكر محمد كرد علي عددا من كتب خزائن المسجد الأقصى ، ومنها : كتاب «نشق الأزهار في عجائب الأقطار» لمحمد بن اياس الحنفي ، وكتاب «المعرفة والتاريخ» ، وغير ذلك .

وكان موفق الدين عبد اللطيف البغدادي قد فرغ من تأليف كتاب «الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر» في بيت المقدس . وتم ذلك في العاشر من شعبان سنة ٦٠٣هـ (٦٤) . وأغلب الظن أنه كانت نسخة من الكتاب بدار كتب المسجد الأقصى في بيت المقدس .

ومن هذه الكتب كتاب «أسد البقاع الناهضة في معتدى المقادسة» للشيخ برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي (٦٥) .

ومنها ما ألفه ابن تيمية مستنكرا خرافات وأساطير قيلت حول الحرم القدسي . وهناك كتب أخرى رد أصحابها فيها على ابن تيمية (٦٦) .

(٦٣) أنظر : تاريخ الحرم القدسي ١١١ .

(٦٤) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ٦٩٤ .

(٦٥) أنظر : كشف الظنون ٨١/١ - ٨٢ .

(٦٦) أنظر : تاريخ الحرم القدسي ١٠٧ .

تقدم القول في أنه كانت في بيت المقدس كتب كثيرة ، ومن تلك الكتب ما كانت توصف بأنها نسخة القدس مثل تفسير الكواشي ، ونسخة القدس من كتاب «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لمجد الدين بن مبارك ابن الأثير الجزري ، وقد وصفت نسخة القدس من هذا الكتاب بأنها تقع في سبعة أجزاء (٦٧) .

هذا غيض من فيض ، فقد كانت دار كتب المسجد الأقصى غنية بالمخطوطات النفيسة ، والكتب النادرة كما تقدم .



ومن الجدير بالإشارة أن عوامل اثناء دور الكتب واغنائها ، كان يتم عن طريق وقف الكتب أو شرائها أو غير ذلك مما تقدم الحديث عنه . ونجد عاملا آخر مهما ، وهو عملية نسخ الكتب ، فقد كان النساخ في بيت المقدس ينسخون الكثير من نفائس الكتب ، فيثرون المكتبات العامة والخاصة دون شك ، وذكر أنه كان كثير من العلماء في بيت المقدس «ينسخون نسخا لا بأس به ، ويعيشون من نسخهم . ومنهم من كانوا يتعففون عن القضاء أو تولي شيء من أمر الأمة ، ويؤثرون أن يعيشوا بالنسخ أو الوراقاة أو الاتجار بالكتب» ، ومنهم من أثروا منها . ومن العلماء من قاموا بنسخ المئة بل المئات من الكتب ، ومنهم من نسخ ألف مجلد في حياته . وقيل : لم يكد الكتاب يخرج من يد مؤلفه خصوصا اذا كان من المشاهير الموثوق بهم حتى تتعاوره الأيدي بالنسخ ، وينتقل من قطر الى قطر ، ويتداول في الأيدي (٦٨) .

وإذا ما استعرضنا عددا من النساخ في بيت المقدس ، تبين لنا الدور الذي كانوا يقومون به في اثناء دور الكتب . وسنقتصر على ذكر عدد منهم لتوضيح دورهم في اثناء المكتبات بخاصة ، وفي الحركة الفكرية بعامة .

(٦٧) أنظر : مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد العشرون ٤١٠ .

(٦٨) خطط الشام ١٨٩/٦ .

كان شمس الدين أبو بكر محمد بن أحمد المقدسي الحنبلي المعروف بالصامت (٦٩) ، قد نسخ كتباً منها : تهذيب الكمال للمحافظ عبد الغني الجماعيلي المقدسي .

وليس هذا فحسب ، فقد بيّض شمس الدين المقدسي كثيراً من مصنفات ابن تيمية (٧٠) .

وذكر مجير الدين الحنبلي أن قاضي القضاة شمس الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد العمري العلمي ، الخطيب ، الفقيه ، المحدث (٧١) ، « كتب بخطه الكثير من نسخ البخاري » (٧٢) .

وذكر مجير الدين الحنبلي أيضاً أن تاج الدين عبد الوهاب بن محمد المؤدب (٧٣) كان ينسخ الكتب ، وكان ذا خط حسن ، وقام بنسخ الكثير من أمهات الكتب (٧٤) .

(٦٩) ولد سنة ٧١٣هـ ، وعني به والده ، فأسعاه من العديد من العلماء ، وحصل على الاجازات العلمية . وقد أكثر من السماع . كما طلب بنفسه ، فقرأ الكثير ، وأصبح عالماً متفتناً . وحدث شمس الدين دهرا . واشتغل بالافتاء والتدريس . وتوفي بالصالحية في سنة ٧٨٩هـ . (أنظر : الدرر الكامنة ٨٤/٤ - ٨٥) .

(٧٠) انباء الغمر ٣٤٤/١ ، وأنظر : كشف الظنون ١٥١١/٢ .

(٧١) ولد بالرملة في سنة ٨٠٦هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، ثم توجه الى صفد ، فأقام بها ، وقرأ القرآن ، وحفظه برواية عاصم ، وحصل على اجازات عديدة ، ثم عاد الى الرملة ، واشتغل بالعلم . وتوجه شمس الدين الى الشام ومصر وبيت المقدس طالبا العلم . ثم اشتغل بالافتاء والمناظرة والحديث والكتابة . وكانت كتابته جيدة مضيطة . وكان خطيبا ، بارعا في العربية . ولي قضاء الرملة ، ثم قضاء القدس ، وغيرهما . توفي سنة ٨٧٣هـ بالرملة (أنظر : الأنس الجليل ٢/٢٦٢ - ٢٦٦) .

(٧٢) الأنس الجليل ٢/٢٦٣ .

(٧٣) كان من أعيان العدول بالقدس ، وكان القضاة والحكام يعظونه . باشر الشهادة . توفي بالرملة سنة ٨٧٣هـ (أنظر : الأنس الجليل ٢/١٩١) .

(٧٤) الأنس الجليل ٢/١٩١ .

وكان الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الكردي الحلبي البسطامي الشافعي ، شيخ البسطامية بالقدس الشريف ، يقوم بنسخ الكتب ، وكان خطه جيدا ، وكان شهاب الدين «من جملة الفقهاء بالمدرسة الصلاحية ، والصوفية بالخانقاة ، ثم استقر في مشيخة الزاوية البسطامية بالقدس الشريف» . واستمر شهاب الدين كذلك الى أن توفي سنة ٨٨١هـ في بيت المقدس . وكان يقوم بنسخ الكتب خلال ذلك كله (٧٥) .

وكان قاضي القضاة الامام خير الدين أبو الخير محمد بن محمد بن عمران الغزي الأصل ، المقدسي ، الحنفي ، عجبيا في سرعة الكتابة والملازمة لها كما يذكر مجير الدين الحنبلي . وقد قام بنسخ الكثير من «المصاحف الشريفة ، والبخاري ، وكتب الحديث والفقه ، وغير ذلك» ، وعمل طريقة في كتابة المصحف الشريف كما تقدم في الحديث عن القراءات . واستمر خير الدين كذلك الى أن توفي سنة ٨٩٤هـ في بيت المقدس . ومن الجدير بالإشارة أن خير الدين المذكور كان متصدرا للافتاء والتدريس ، وقد انتهت اليه رئاسة المذهب الحنفي في بيت المقدس (٧٦) . ومن هذا يتبين لنا المستوى العلمي لأولئك العلماء الذين كانوا يقومون بالنسخ . ويتبين لنا أيضا أن أولئك النساخ كانوا ينسخون لأنفسهم ، وينسخون لغيرهم . ولا شك أن ذلك العمل كان يؤدي الى اثناء المكتبات العامة والخاصة كما تقدم . لقد كانت الوراقة أو صنعة الكتب من نسخ وتجليد وتذهيب صناعة رائجة ، ومن أهم الصناعات في العهد القديم ، والناسخ يرزق بقدر اجادته الخط أو الخطوط التي يعرفها ويحسنها ، وكذلك المجلد أو المذهب (٧٧) .

(٧٥) الأثر الجليل ١٩٧/٢ ، ١٩٨ .

(٧٦) نفسه ٢٤٠/٢ - ٢٤١ .

(٧٧) خطط الشام ١٨٩/٦ .

ذكر بدر الدين الكناني المقدسي أن طالبي العلم كانوا يعنون عناية كبيرة بتحصيل شراء ، أو اجارة ، أو عارية (٧٨) ، ولكنه كان يفضل شراء الكتب على الاشتغال بالنسخ (٧٩) . وبين بدر الدين أن العناية كانت كبيرة بجمع الكتب ، وأن العلماء كانوا معتنين «بالاستنساخ والكتابة حتى أفنوا أعمارهم في تحصيل الكتب ، وأخذ الاجازات ، بسبب قلة أموالهم ، وشدة توقانهم الى العلم» . وكان هذا الاعتناء بالكتابة شديدا ، وبخاصة في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وما بعدهما (٨٠) .

وهذا يؤكد أن استنساخ الكتب كان رافدا مهما يثري دور الكتب ، ومنها دار كتب المسجد الأقصى كما رأينا فيما تقدم .

(٧٨) أنظر : تذكرة السامع ١٦٧ - ١٧٠ .

(٧٩) نفسه ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٨٠) أنظر : تذكرة السامع ١٦٤ - ١٦٦ .

الغاتمة

هذه صورة للحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في بيت المقدس .
في العصرين الأيوبي والمملوكي ، وأرجو أن تكون واضحة المعالم أو قريبة
من ذلك .

جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثمانية فصول ، وفي التمهيد ، حددت
مفهوم المسجد الأقصى ، واعتمدت على ما ذكره المؤرخون والجغرافيون
والرحالة ، وانتهت الدراسة الى أن مفهوم المسجد الأقصى يشمل الأقصى
المعروف اليوم ، والصخرة الشريفة ، وكل المنشآت في ساحة الحرم
القدس الشريف ، والمدارس والزوايا الموجودة فيه ، أو المحيطة به .
ان المفهوم الصحيح للمسجد الأقصى ، هو كل ما كان داخل سور الحرم
القدس الشريف .

ثم أقيمت نظرة موجزة على الحركة الفكرية في بيت المقدس قبيل
الاحتلال الصليبي ، فتحدثت بايجاز ، عن دار العلم الفاطمية في بيت
المقدس ، والمدرسة أو الزاوية النصرية أو الغزالية، وأشرت الى البيمارستان
الذي أنشئ في بيت المقدس في العهد الفاطمي . وتحدثت عن دور عدد
من العلماء المقادسة ، والعلماء الوافدين الى بيت المقدس ، وأثرهم في
الحركة الفكرية ، كما تحدثت عن الصورة التي رسمها أبو بكر العربي
للحركة الفكرية .

ثم أقيمت نظرة على الحركة الفكرية في بيت المقدس في ظل الاحتلال
الصليبي ، وتبينت أن الحركة الفكرية قد ركبت ، فقد كانت الحكومة
الصليبية في بيت المقدس حكومة عسكرية ، ولا تولي الثقافة عناية ما .
هذا بالإضافة الى أن الغزو الصليبي أدى الى استشهاد عدد كبير من
العلماء ، وهجرة عدد آخر منهم الى الشام أو مصر أو غيرها .

وتحدثت في الفصل الأول عن العوامل التي أسهمت في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، وقد تمثلت تلك العوامل في عناية الملوك والسلاطين ، ببيت المقدس بعامة ، والأقصى والصخرة بخاصة . وتمثل ذلك في انشاء الكثير من المعاهد العلمية من مدارس ، ومكتبات ، وزوايا ، وخوانق ، وغيرها . ويكفي أن أشير الى أن المدارس في بيت المقدس ، زادت على خمسين مدرسة ، في العصرين الأيوبي والمملوكي . وكانت الخوانق والزوايا مؤسسات دينية وثقافية واجتماعية ، وأدت دورا في الحركة الفكرية في بيت المقدس .

وشجع الملوك والسلاطين العلم والعلماء ، وعقدوا المجالس الفكرية والأدبية في بيت المقدس . ومن ذلك مجالس صلاح الدين الأيوبي بعد الفتح القدسي ، ومجالس الملك المعظم عيسى ، ومجالس الملك المؤيد شيخ المحمودي ، وغيرها . وقد شارك في تلك المجالس عدد من أشهر العلماء من أمثال بهاء الدين بن شداد ، والعماد الأصفهاني ، وابن واصل الحموي ، والخطيب البغدادي ، وغيرهم . وعين بعض السلاطين في العصر المملوكي عددا من أشهر القراء للاقراء في الأقصى والصخرة ، وأصبحت مدينة بيت المقدس ، في عهد الظاهر بيبرس ، على سبيل المثال ، مأوى العلماء . ووقف الملوك والسلاطين الكتب على المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، والمدارس . ومن ذلك ما فعله صلاح الدين ، أو ما فعله الملك المعظم عيسى ، أو غيرها .

ولم يقتصر الأمر على الملوك والسلاطين ، فقد كان القضاة والعلماء وغيرهم ، قد قاموا بدور كبير في تشجيع العلم ، والاشتغال به في المسجد الأقصى ، وقاموا بانشاء المراكز العلمية ، وغير ذلك .

وظهر عدد كبير من أعلام الفكر والأدب في بيت المقدس ، في العصرين الأيوبي والمملوكي ، وكان ذلك عاملا فعلا ، وظاهرة من ظواهر الحركة الفكرية في بيت المقدس .

وكان للأوقاف أثر فعال في تسيير شؤون الحركة الفكرية في بيت المقدس بعامه ، والمسجد الأقصى بخاصة . وساهم في ذلك الملوك والسلاطين ، والنواب ، والقادرون من الرجال والنساء ، من حيث الحالة المادية .

وتحدثت في الفصل الثاني عن نظام التعليم وطرقه ، وتبينت اهتمام التعليم الاسلامي بالدين والدنيا معا ، كما تبينت أن التدريس قام في المساجد أولا ، فكان المسجد مركز علم الى جانب كونه مركز عبادة . وكان التدريس يقوم على نظام الحلقات العلمية خلال أيام الأسبوع . هذا بالإضافة الى عقد المجالس العلمية والأدبية .

وتنوعت طرق التحصيل العلمي ووسائله بين الحفظ ، والرواية ، والسماع ، والاملاء ، والقراءة ، والمناقشة ، والمناظرة ، وغيرها . وتبينت أن ظاهرة الحفظ كانت كثيرة الشيوخ ، وبخاصة في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية . ولكن الحفظ كان يقترن بالشرح والفهم والمناقشة ، وكان الربط محكما بين الحفظ والفهم .

وشاع نظام الحصول على الاجازات العلمية بكتاب معين أو بأكثر من كتاب ، أو في موضوع معين ، أو في الافتاء والتدريس ، أو غير ذلك .

وكان طالبو العلم يهتمون بالأخذ المباشر عن الشيوخ ، وأكثروا من الرحلة في سبيل العلم ، والسماع من أشهر العلماء مباشرة . وكان طالبو العلم يلقون رعاية بالغة ، فيؤمن لهم المأكل والملبس والمسكن ، وكل المتطلبات الضرورية التي تساعد في طريقه العلمي . ولا شك أن تلك الرحلات العلمية ، وما يتصل بها ، تمثل صورة مجسدة للعالم الوحدة الثقافية في بلدان العالم الاسلامي . ولم يكن طالب العلم يجد عائقا في سبيل طلب العلم في أي بلد من بلدان العالم الاسلامي .

وتحدثت في الفصل الثالث عن تدريس العلوم الشرعية في ظل المسجد الأقصى ، وتبينت أنه قد كثر المشتغلون بتلك العلوم ، من قراءات ، وحديث ، وتفسير ، وفقه ، وغيرها .

لقد نالت القراءات عناية كبيرة ، وأنشئت مراكز خاصة لتدريس القراءات السبع وغيرها . ومنها القبة التي بناها الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الأيوبي ، والزاوية أو المدرسة النصرية أو الغزالية التي جدها الملك المعظم عيسى أيضا ، وقد وقف عليها عددا من الكتب . ومنها مكتب باب الناظر .

وظهر عدد من أشهر القراء في بيت المقدس ، وصنفوا مصنفات كثيرة فيها . وتعددت أمهات كتب القراءات التي عني المختصون بتدريسها ، ومنها الشاطبية ، والتيسير في القراءات السبع ، وغيرها . وتصدر عدد من أشهر القراء لاقراء القرآن وتدريس القراءات ، في المسجد الأقصى ، وكانوا من العلماء المقدسة ، والعلماء الوافدين الى بيت المقدس .

وكانت للحديث مشيخة في المسجد الأقصى ، وتعد هذه المشيخة بمثابة قسم علمي يعنى بالحديث الشريف ، وكان للمشيخة شيخ عالي الاسناد ، وقارئ للحديث ، وطلاب يشتغلون به ، هذا بالإضافة الى المخصصات المالية . وقد تولى مشيخة الحديث هذه عدد من أشهر المحدثين في بيت المقدس . وعني المحدثون بتدريس أهم الكتب في الحديث ، مثل صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وباقي الكتب الستة ، وغير ذلك من كتب الحديث . ومنح العلماء المحدثون الاجازات العلمية فيها ، أو في الموضوع بشكل عام ، ولم يقتصر المحدثون على تدريس كتب الحديث تلك ، فقد درسوا مصنفاتهم أو عددا منها .

ونال التفسير عناية كبيرة أيضا ، فكانت له مشيخة خاصة مثل مشيخة الحديث ، وربما كانت المشيخة للحديث والتفسير معا ، فيقال :

مشيخة الحديث والتفسير ، ودرّس التفسير في المسجد الأقصى . وقد عني أهل التفسير بكتب عديدة في هذا المجال ، ومنها : كشاف الزمخشري ، وتفسير البيضاوي ، وتفسير الرازي ، وغير ذلك . هذا بالإضافة الى تدريسهم مصنفااتهم . ولا شك أن التفسير قد تأثر باتجاهات المفسرين العلمية : لغوية أو فلسفية أو غير ذلك .

وكان الفقه مادة تدرس في المسجد الأقصى أيضا ، وقد تصدر فيه عدد من أشهر الفقهاء ، فدرّسوا الفقه الشافعي ، والفقه الحنفي ، والفقه المالكي ، والفقه الحنبلي . ودرّسوا عددا من أمهات الكتب في المذاهب المختلفة ، ومنحوا الاجازات . وقد شارك في هذا من تصدروا للتدريس في المسجد الأقصى من العلماء المقادسة ، والعلماء الوافدين الى بيت المقدس . ومن الجدير بالإشارة أن العلماء الوافدين من المغاربة عنوا بالمذهب المالكي عناية خاصة .

وتحدثت في الفصل الرابع عن علوم اللغة العربية في ظل المسجد الأقصى ، وتبينت أن علوم اللغة العربية قد لاقت عناية كبيرة . ولم يقتصر الأمر على تدريسها ، فقد وضع العلماء والأدباء مصنفاً كثيرة فيها . وخصصت مراكز علمية لتدريس النحو بخاصة ، مثل المدرسة النحوية في صحن الصخرة الشريفة ، وقبة الملك المعظم عيسى ، وغيرها . ولا شك أن صلة علوم اللغة العربية بالعلوم الشرعية ، قد دعت الى الاهتمام الكبير بها . هذا بالإضافة الى اهتمام كل أمة بلغتها وتراثها . وتبدو الصلة جلية بين علمي النحو والقراءات على سبيل المثال . ولهذا وجدنا عددا من المراكز العلمية قد خصصت لدراسة القراءات والنحو معا . ويبدو الاهتمام بالعربية واضحا في دراسة العلوم الشرعية مثل التفسير والحديث وغيرهما .

وكانت للعربية مشيخة تتوافر لها شروط المشيخات في المعاهد العلمية المشابهة ، فكان فيها نحوي يشتغل بالعربية ، وطلاب يدرسون العربية ، وخصصت لها مخصصات مالية ومعيشية .

وعني العلماء بعدد من كتب العربية مثل الكتاب لسيبويه ، والايضاح لأبي علي الفارسي ، واصلاح المنطق لابن السكيت ، وملحة الاعراب للحريري ، وألفية ابن مالك ، والكافية والشافية لابن الحاجب . ومنها : ديوان أبي الطيب المتنبي ، وخطب ابن نباتة الفارقي ، ومقامات الحريري ، والمطول للتفتازاني ، والتخليص للقزويني ، وغير ذلك . هذا بالاضافة الى مصنفاتهم في اللغة والأدب والبلاغة ، وغير ذلك .

وقدم عدد من علماء العربية الى بيت المقدس ، وشاركوا في الحركة الفكرية هناك ، ومنهم الفيروز أبادي ، وجمال الدين الشريشي النحوي ، وصلاح الدين الصفدي ، وجمال الدين بن شيث ، وغيرهم .

وتحدثت في الفصل الخامس عن العلوم الانسانية في ظل المسجد الأقصى ، وقد قصرت الحديث فيه على التاريخ ودارسته . وتبينت أن عددا من المؤرخين عنوا عناية كبيرة بتاريخ بيت المقدس ، وصنفوا مصنفات عديدة في تاريخه وفضائله ، وأقرأوها في المسجد الأقصى ، فسمعها طالبو العلم من مصنفها أو من غيرهم . ومن هذه الكتب : «فضائل بيت المقدس والشام» للشيخ أبي المعالي المشرف بن المرجي بن ابراهيم المقدسي ، و«الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى» للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، و«فضائل القدس» لأبي الفرج ابن الجوزي ، و«مثير الغرام الى زيارة القدس والشام» لابن هلال المقدسي ، و«اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى» لشمس الدين السيوطي ، وغيرها .

وقدم الى بيت المقدس ، عدد من مشهوري المؤرخين ، ومنهم : بهاء الدين بن شداد ، وابن واصل الحموي ، وكمال الدين بن العديم ، وابن حجر العسقلاني ، وجمال الدين القفطي ، والسخاوي ، وابن الشحنة الحلبي ، وغيرهم . وسمعوا في بيت المقدس ، وشاركوا في الحركة الفكرية أيضا ، وكانت مشاركتهم فعالة ، وتمثلت في التدريس وغيره .

وتحدثت في الفصل السادس عن العلوم العقلية في ظل الأقصى ،
ووجدت أن العلوم العملية منها قد حظيت بعناية واضحة ، ومنها :
الميقات ، والحساب ، والجبر والمقابلة .

وتصدر عدد من العلماء لتدريس العلوم الرياضية ، وشارك في ذلك
العلماء المقدسة من أمثال ابن شرف المقدسي ، والعلماء الوافدين الى بيت
المقدس من أمثال شهاب الدين بن الهائم .

وصنفت مصنقات عديدة في العلوم الرياضية ، ولا شك أن مصنفيها ،
من العلماء في بيت المقدس ، كانوا يدرسونها كما يدرسون غيرها .

وتخصص عدد من العلماء بالتوقيت ، وبأشروه في المسجد الأقصى ،
وأتقنوه ، وتفوقوا فيه . وقد قام المشتغلون بالميقات بدور ملموس في
الحركة الفكرية . وأما العلوم العقلية النظرية ، فلم تنل عناية مثل تلك العناية
التي نالتها العلوم الأخرى . ويمكن القول بأن عددا من العلماء عنوا
بموضوعات تخدم العلوم الشرعية مثل المنطق ، وعلم الكلام ، وغيرها .
فقد شعر العلماء بأن هذين العلمين من مستلزمات العلماء الثقافية ،
ويحتاجون اليهما في دراساتهم .

وشارك عدد من العلماء الوافدين الى بيت المقدس مشاركة ملموسة
في هذا المجال ، ومنهم : سراج الدين الرومي ، وشمس الدين الحصفكي ،
وغيرهما ، فقد كانا من المهتمين بالمعقولات اهتماما بالغا .

ومن العلوم الأخرى التي لاقت عناية كبيرة ، علم التصوف . وقد
شاع التصوف شيوعا كبيرا ، فقد شجع الملوك والسلاطين المتصوفة ،
وعملوا على انتشار التصوف ، وأنشأوا الخوانق ، والزوايا ، والرباطات ،
ووقفوا عليها أوقافا كثيرة .

ولم يقتصر التصوف على كونه سلوكا ، فقد كان علما الى جانب كونه
سلوكا . وكان التصوف موضوعا للدراسة . وقد تبينت عناية كبيرة بأبي

حامد الغزالي في هذا المجال ، وبخاصة في كتابه احياء علوم الدين ،
وبالسهورودي في بعض كتبه مثل كتاب العوارف . وأقرأ بعض العلماء
الوافدين المغاربة ، بعض كتب ابن عربي ، ووقف علماء آخرون ينكرون
قراءة ابن عربي ، ويحطون من شأنه .

وتحدثت في الفصل السابع عن دور الخطباء ، والأئمة ، والوعاظ ،
وشيوخ الحرم القدسي ، في الحركة الفكرية . وتبينت أنهم قاموا بدور
فعال في هذا المجال ، وشاركوا في التدريس ، والافتاء ، والقضاء ،
وحدثوا . وذلك الى جانب اشتغالهم بالخطابة ، والامامة ، والوعظ ،
وغير ذلك . ويضاف الى هذا الدور السياسي والاجتماعي الذي قاموا به ،
فقد وقفوا في وجه من اقترف الظلم والسوء من نواب السلطنة ، وعقدوا
المجالس في المسجد الأقصى لهذا الغرض ، وعملوا على المحافظة على حقوق
الناس ، ولم يكن يتولى هذه الوظائف الا أشهر العلماء .

كانت الخطابة وظيفة مهمة ، وخصصت لها دار تسمى دار الخطابة .
وتنوعت الخطابة بين الخطب الأدبية ، والخطب الدينية ، والخطب
التدريسية ، وخطب الاستسقاء ، وغيرها .

ورتب في المسجد الأقصى أربعة من الأئمة ، وهم امام الشافعية ،
وامام الحنفية ، وامام المالكية ، وامام الحنابلة . وذلك الى جانب أئمة
آخريين .

وكان الوعاظ من أشهر العلماء في بيت المقدس ، مثل أبي العباس
المقدسي ، وكانوا يعقدون مجالس خاصة في المسجد الأقصى . ولم يقتصر
دور هؤلاء على مجالس الوعظ ، فالمقدسي المذكور مثلا ، شارك مشاركة
فعالة في الحركة الفكرية ، في التدريس والتصنيف وغيرها .

وتولى مشيخة الحرم القدسي عدد من كبار العلماء الذين كان لهم
دورهم في الحركة الفكرية أيضا .

وتحدثت في الفصل الثامن عن دار كتب المسجد الأقصى ودورها في الحركة الفكرية ، وأشرت الى عدد من دور الكتب الأخرى في بيت المقدس . وتبينت أن السلاطين وغيرهم من أمثال العلماء ، وقفوا كتباً ، وزادوا في كتب دار كتب المسجد الأقصى ، وذلك كما فعل صلاح الدين ، والملك المعظم عيسى ، والأشرف فايتباي ، وغيرهم .

وتحدثت عن اثناء دار الكتب تلك ، عن طريق الوقف كما تقدم ، أو عن طريق شراء الكتب ، أو عن طريق نسخها . ومن الجدير بالإشارة أن نسخ الكتب كان أمراً شائعاً ، وقام النساخ بدور ملموس في هذا المجال .

وتحدثت عن الخازن في دار كتب المسجد الأقصى ، وتبينت أنه كان من العلماء الأجلاء في بيت المقدس .

وحاولت أن أتبين مجموعة من الكتب التي كانت بدار كتب المسجد الأقصى ، في العلوم المختلفة .

وأشرت الى تعرض كتب تلك الدار في المسجد الأقصى للضياع .

ثبت بالمصادر والمراجع

- اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى - شمس الدين المنهاجي السيوطي - خ - ومنه نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - رقم ٧٦ .
- اتحاف الأخصا بتاريخ وفضائل المسجد الأقصى - أحمد بن حجر الهيثمي - خ - ومنه نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - رقم ٥٩٧ .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - أبو عبد الله بن أحمد المقدسي .
- احياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - تقديم الدكتور بدوي طبانة - مكتبة عيسى البابي الحلبي - ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .
- أدب الدنيا والدين - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي - حققه وعلق عليه مصطفى السقا - الطبعة الثالثة - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .
- الأدب في العصر الأيوبي - الدكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر - ١٩٦٧م .
- الأدب في العصر المملوكي - الدكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر - ١٩٧٠م .
- أصالة الحضارة العربية - ناجي معروف - الطبعة الأولى - مطبعة الزمان - بغداد - ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها - ادوارد جيبون - نقله الى العربية محمد علي أبو درة - راجعه وقدم له : أحمد نجيب هاشم - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .
- الاعتبار - أسامة بن منقذ - حرره الدكتور فيليب حتى - مطبعة جامعة برنستون - الولايات المتحدة - ١٩٣٠م .

- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - عز الدين بن شداد -
عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامي الدهان - دمشق -
١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .
- الأعلام - خير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة .
- أعلام النبلاء بتاريخ جلب الشهباء - محمد راغب الطباخ - الطبعة
الأولى - المطبعة العلمية - حلب - ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م .
- أنباء الغمر بأبناء العمر - ابن حجر العسقلاني - تحقيق الدكتور حسن
حبشي - القاهرة - ج ١ ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ج ٢ ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
ج ٣ / ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .
- الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل - مجير الدين الحنبلي -
مكتبة المحتسب - عمان - ١٩٧٣م .
- أهل العلم بين مصر وفلسطين - أحمد سامح الخالدي - المطبعة العصرية
القدس .
- الايضاح لمختصر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع - الخطيب
القزويني - الطبعة الثانية - مطبعة محمد علي صبيح - مطبعة
الجمالية الحديثة بمصر .
- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون -
اسماعيل بن محمد البغدادي - عني بتصحيحه وطبعه علي نسخة
المؤلف ، محمد شرف الدين - مكتبة المثني - بغداد .
- بيلو جرافية مختارة عن بيت المقدس - اعداد الدكتور عبد الرحمن
زكي - ١٩٧٨م .
- البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع - محمد علي الشوكاني -
الطبعة الأولى - مطبعة السعادة بمصر - ج ١ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م . ج ٢
١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين عبد الرحمن
السيوطي - تحقيق - محمد أبو الفضل ابراهيم - الطبعة الأولى -
مطبعة عيسى البابي الحلبي .

- بلادنا فلسطين - الجزء التاسع - القسم الثاني - بيت المقدس (١) - مصطفى مراد الدباغ - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- بلدانية فلسطين العربية - جمع نصوصها ، وأبجدها الأب أ . س . مرموجي الدومنكي - مطبعة جان ذارك - بيروت - ١٩٤٨ .
- البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام هرون - الطبعة الثانية - مكتبة الخانجي بمصر - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- بيان المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى بفلسطين - ١٣٤٠ / ١٣٤١هـ .
- بيان الى العالم الاسلامي عن الأماكن المقدسة في فلسطين - مطبعة بيت المقدس - القدس - ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م .
- تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان - الجزء السادس - نقله الى العربية الدكتور السيد يعقوب بكر ، والدكتور رمضان عبد التواب - دار المعارف بمصر - ١٩٦٧م .
- تاريخ الحروب الصليبية - ستيفن رنسيومان - نقله الى العربية الدكتور السيد الباز العريني - دار الثقافة - بيروت - الطبعة الأولى - ج ١ / ١٩٦٧م ، ج ٢ / ١٩٦٨م ، ج ٣ / ١٩٦٩م .
- تاريخ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم - المجلد السابع - حققه وضبط نصه الدكتور قسطنطين زريق - بيروت - ١٩٤٢م . المجلد الثامن - حققه وضبط نصه الدكتور قسطنطين زريق ، والدكتورة نجلاء عز الدين - بيروت - ١٩٦٩م .
- تاريخ الجامع الأزهر - محمد عبد الله عنان - الطبعة الثانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .
- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الدكتور فيليب حتى - ترجمة الدكتور جورج حداد ، وعبد الكريم رافق - أشرف على مراجعته

و تحريره الدكتور جبرائيل جبور - دار الثقافة - بيروت - ج ١ / ١٩٥٨ ،
ج ٢ / ١٩٥٩ .

- التاريخ والجغرافيا في العصور الاسلامية - عمر رضا كحالة - المطبعة
التعاونية بدمشق - ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

- تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار - أبو المعالي محمد بن رافع
السلامي - صححه وعلق حواشيه عباس الغزاوي - مطبعة الأهالي -
بغداد - ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .

- تاريخ علماء المستنصرية - ناجي معروف - مطبعة العاني - بغداد -
الطبعة الثانية - ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

- تاريخ القدس - عارف العارف - دار المعارف بمصر - ١٩٥١م .

- تاريخ قبة الصخرة المشرفة والأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس -
عارف العارف - مطبعة دار الأيتام الاسلامية الصناعية بالقدس -
١٩٥٥م .

- تاريخ الحرم القدسي - عارف العارف - مطبعة دار الأيتام الاسلامية
الصناعية بالقدس - ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .

- تبیین كذب المفتری فیما نسب الی الامام أبي الحسن الأشعري أبو
القاسم علي بن الحسن بن عساكر - مطبعة التوفيق - دمشق -
١٣٤٧هـ .

- تذكرة الحفاظ - شمس الدين محمد الذهبي - الطبعة الثالثة - مطبعة
مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٧٧هـ /
١٩٥٨م .

- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم - بدر الدين أبو اسحق
ابراهيم بن سعد الله الكناني المقدسي - حيدر آباد الدكن - الهند -
١٣٥٢هـ .

- تراث الاسلام - تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سيرتوماس
آرنولد - عربيه وعلق حواشيه جرجس فتح الله المحامي - دار الطليعة
للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة - بيروت - ١٩٧٨ م .
- تراث العصور الوسطى - مجموعة بحوث أشرف على تحريرها ج . كرمب ،
١ . جاكوب - راجع الترجمة (في الجزء الأول) محمد بدران ، ومحمد
مصطفى زيادة - ١٩٦٥ م .
- ج ٢ : ترجمة ومراجعة مجموعة من أساتذة الجامعات المصرية بالاشتراك
مع محمد مصطفى زيادة - مؤسسة سجل العرب - ١٩٦٧ .
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع (الذيل على الروضتين) - شهاب
الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي - عرف
الكتاب ، وترجم للمؤلف ، وصححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري -
عني بنشره وراجع أصله ، ووقف على طبعه عزت العطار الحسيني -
دار الجيل - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٤ م .
- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي - أنيس المقدسي - دار العلم
للملايين - الطبعة الأولى - بيروت - ١٩٦٠ م .
- تعليم المتعلم طريق التعلم - برهان الدين الزرنوجي - الطبعة الثانية -
مطبعة الجوائب بالأستانة - ١٢٩٢ هـ .
- تغليس ابليس - عز الدين بن غانم المقدسي - مطبعة مدرسة والدة
عباس الأول - القاهرة - ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م .
(ومعه قصيدة في القضاء والقدر لابن تيمية) .
- تقويم البلدان - عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي
الفداء - طبع في مدينة باريس بدار الطباعة السلطانية - ١٨٤٠ م .
- التوقيعات التدريسية - ناجي معروف - مطبعة العاني - بغداد -
١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- حجة وقف السلطان فايتباي بالقدس الشريف .

- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول - الدكتور عبد اللطيف حمزة - دار الفكر العربي - مصر - الطبعة الثامنة - ١٩٦٨ م .
- الحروب الصليبية - أنتوني وبست - ترجمة شكري محمود وديم - مراجعة الدكتور محمود حسين الأمين - شركة النبراس للنشر والتوزيع - بغداد - ١٩٦٧ م .
- حضارة العرب - الدكتور غوستاف لوبون - نقله الى العربية عادل زعيتر - مطبعة عيسى البابي الحلبي - ١٩٦٩ م .
- الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية - عبد الغني النابلسي - خ - ومنه نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - رقم ٥٩٧ .
- الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية - عبد الغني النابلسي - طبعت بمطبعة جريدة الاخلاص بمصر - مكتبة القاهرة - ١٩٠٢ م (طبع جزء صغير فقط) .
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة - كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي - المكتبة العربية - مطبعة الفرات - بغداد - ١٣٥١ هـ .
- الحياة العقلية في مصر والشام في عصر الحروب الصليبية - الدكتور أحمد بدوي - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - ١٩٧٣ م .
- خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء الشام - عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل - المطبعة الهاشمية بدمشق -
- خزائن الكتب العربية في الخافقين - الفيكننت فيليب دي طرّازي - منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة - لبنان .
- خطط الشام - محمد كرد علي - دار العلم للملايين - بيروت - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - محمد أمين بن فضل الله المحبي - مكتبة خباط - بيروت .
- دائرة المعارف الاسلامية .

- الدارس في تاريخ المدارس - عيد القادر بن محمد النعيمي - عني
بنشره وتحقيقه جعفر الحسني - مطبعة الترقى بدمشق - ج ١ /
١٣٦٧هـ / ١٩٤٨ ، ج ٢ / ١٣٧٠هـ / ١٩٥١ م .
- درة الحجال في أسماء الرجال (ذيل وفيات الأعيان) - أبو العباس
أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي - تحقيق محمد الأحمد
أبو النور - دار التراث - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٣٩٠هـ /
١٩٧٠ م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - ابن حجر العسقلاني - حققه
وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق - مطبعة المدني - مصر -
الطبعة الثانية - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦ م .
- ذيل تاريخ دمشق - أبو يعلي حمزة ، المعروف بابن القلانسي - مطبعة
الآباء اليسوعيين - بيروت - ١٩٠٨ م .
- ذيل تذكرة الحفاظ - أبو المحاسن الحسيني الدمشقي .
- ذيل طبقات الحفاظ - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .
- الذيل على رفع الاصر (أو بغية العلماء والرواة) - محمد بن عبد الرحمن
السخاوي - تحقيق الدكتور جودة هلال ، ومحمد محمود صبيح -
مراجعة علي البجاوي - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر -
١٩٦٦ م .
- الذيل على طبقات الحنابلة - زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن
أحمد الحنبلي - وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي - مطبعة
السنة المحمدية - ج ١ / ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢ م . ج ٢ / ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣ م .
- رحلة ابن جبير - دار صادر دار بيروت - بيروت - ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م .
- رحلة ابن بطوطة - دار التراث - بيروت - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م .
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين - أبو شامة المقدسي - دار الجيل -
بيروت .

- زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك - غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري - باريس - المطبعة الجمهورية - ١٨٩٤م .
- سجل دار كتب المسجد الأقصى .
- سجل المصاحف الشريفة بالمتحف الاسلامي في القدس .
- سفرنامه - ناصر خسرو - نقلها الى العربية الدكتور يحيى الخشاب - دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٩٧٠م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك - أحمد بن علي المقرئ - صححه ووضع حواشيه الدكتور مصطفى زيادة - الطبعة الثانية - مطبعة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٦م .
- سنا البرق الشامي - قوام الدين الفتح بن علي البنداري - تحقيق الدكتور رمضان ششن - دار الكتاب الجديد بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٧١م .
- سير أعلام النبلاء - الجزء السابع والعشرون - خ - ومنه نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - رقم ١٥ .
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي) - بدر الدين محمود ابن أحمد ، الشهير ببدر الدين العيني - حققه وقدم له فهم محمود شلتوت - راجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٦ / ١٩٦٧م .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلي - دار الآفاق - بيروت .
- شرح نخبة الفكر (في مصطلح أهل الأثر) - ابن حجر العسقلاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م .
- صبح الأعشى في صناعة الانشاء - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي - وزارة الثقافة والارشاد القومي - المطبعة الأميرية - مصر - ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

- طبقات الشافعية - أبو بكر هداية الله الحسيني - حقه وعلق عليه
عادل نويهض - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الأولى -
١٩٧١ م .

- طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين عبد الوهاب السبكي - تحقيق
محمود الطناحي ، والدكتور عبد الفتاح الحلو - الطبعة الأولى ، مطبعة
عيسى البابي الحلبي - ج ١، ٢ / ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م - ج ٣ / ١٣٨٤ هـ /
١٩٦٥ م - ج ٤ / ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م - ج ٥ / ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م -
ج ٦ / ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م - ج ٧ / ١٩٧٠ م - ج ٨ / ١٩٧١ م ،
ج ٩ / ١٩٧٤ م - ج ١٠ / ١٩٧٦ م .

- طبقات المفسرين - شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي -
تحقيق علي محمد عمر - الطبعة الأولى - مكتبة وهبة - مصر -
١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - محمد بن عبد الرحمن السخاوي -
دار مكتبة الحياة - بيروت .

- العمر في خبر من عبر - شمس الدين الذهبي -

الجزء الثالث - تحقيق فؤاد سيد - الكويت - ١٩٦١ م .

الجزء الرابع - تحقيق الدكتور صلاح المنجد - الكويت - ١٩٦٣ م .

الجزء الخامس - تحقيق الدكتور صلاح المنجد - الكويت - ١٩٦٦ م .

- العدوان الصليبي على بلاد الشام - هزيمة لويس التاسع في الأراضي
المقدسة - الدكتور جوزيف نسيم يوسف - دار الكتب الجامعية -
الطبعة الثانية - الاسكندرية - ١٩٧١ م .

- العرب والروم واللاتين في الحملة الصليبية الأولى - الدكتور جوزيف
نسيم يوسف - دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية - ١٩٦٧ م .

- العصر المالكي في مصر والشام - الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور -
الطبعة الأولى - دار النهضة العربية - ١٩٦٥ م .

- العقد الفريد - أحمد بن عبد ربه الأندلسي - شرحه وضبطه وضححه
وعنون موضوعاته ورتب فهارسه : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم
الأبياري - الطبعة الثالثة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر -
القاهرة - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م - الجزء السادس .
- العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج -
الدكتور زكي النقاش - الطبعة الثانية - ١٩٦٧م .
- علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر
الميلادي - الدكتور عبد القادر يوسف - منشورات المكتبة العصرية
- صيدا - بيروت - ١٩٦٩م .
- العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الدكتور عبد المنعم
ماجد - مكتبة الجامعة العربية - بيروت - ١٩٦٦م .
- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء - موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم
المعروف بابن أبي أصيبعة - شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا - دار
مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٥م .
- عمائر السلطان فايتباي في بيت المقدس - جلال أسعد ناصر - رسالة
ماجستير - جامعة القاهرة - كلية الآثار - ١٩٧٤ .
- غاية النهاية في طبقات القراء - شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد
الجزري - عني بنشره ج . برجستراسر - مكتبة الخانجي - مصر -
ج ١ / ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م - ج ٢ / ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م .
- الفتح القسي في الفتح القدسي - العماد الأصفهاني - تحقيق وشرح
وتقديم محمد محمود صبح - الدار القومية للطباعة والنشر .
- فضائل القدس - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - حققه
وقدم له الدكتور جبرائيل جبور - دار الآفاق - بيروت - الطبعة
الأولى - ١٩٧٩م .
- الفن ومذاهبه في النثر العربي - الدكتور شوقي ضيف - الطبعة
الثالثة - دار المعارف بمصر ١٩٦٠م .

- فهرس المخطوطات المصورة - التاريخ - وضعه فؤاد سيد - معهد المخطوطات العربية - مطبعة السنة المحمدية - القسم الثاني ١٩٥٧م ،
القسم الثالث ١٩٥٩م ، القسم الرابع ١٩٧١م .
- فهرس المخطوطات المصورة - الرياضيات - وضعه فؤاد سيد - القاهرة - ١٩٦٠م .
- فوات الوفيات والذيل عليها - محمد بن شاکر الکتبي - تحقيق الدكتور احسان عباس - دار صادر دار بيروت - بيروت - ج ١ / ١٩٧٣م ،
ج ٢ ، ٣ / ١٩٧٤م .
- القدس الخالدة - الدكتور عبد الحميد زايد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٤م .
- القديس لويس - حياته وحملاته على مصر والشام (مذكرات جوائفيل) - ترجمة وتعليق الدكتور حسن حبشي - الطبعة الأولى - دار المعارف بمصر - ١٩٦٨م .
- الكامل في التاريخ - عز الدين بن الاثير - دار صادر دار بيروت - بيروت - ج ١ - ٧ / ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م - ج ٨ - ١٢ / ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- كشاف مصطلحات الفنون - محمد علي التهانوي - حققه الدكتور لطفي عبد البديع - ترجم النصوص الفارسية الدكتور عبد المنعم محمد حسنين - راجعه أمين الخولي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة - مكتبة المثنى - بغداد .
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة - نجم الدين الغزي - حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل جبور - دار الآفاق - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٩م .

- لحظ الالفاظ بذيل طبقات الحفاظ - تقي الدين محمد بن فهد
المكي .

- مثير الغرام بفضائل القدس والشام - أحمد بن محمد بن هلال
المقدسي - صححه وشرحه وعلق عليه أحمد سامح الخالدي - المطبعة
العصرية - يافا .

- مجلة الأبحاث - الجامعة الأمريكية - بيروت - ١٩٦٨ م :

رحلة ابن العربي الى المشرق كما صورها قانون التأويل - بقلم الدكتور
احسان عباس .

- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - المجلد العشرون - ١٣٦٤ هـ /
١٩٤٥ م :

• دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها - الدكتور أسعد طلس .

• نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف - عبد الله مخلص .

- محاضرات في تاريخ العرب والاسلام - الدكتور عبد اللطيف الطيباوي -
دار الأنس - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٩ م .

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - شمس الدين يوسف ، الشهير بابن
الجوزي - الطبعة الأولى - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية -
حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

- مساجد القاهرة ومدارسها - الدكتور أحمد فكري - دار المعارف
بمصر - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .

- مسالك الممالك - أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري
المعروف بالكرخي - تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني -
مراجعة محمد شفيق غربال - وزارة الثقافة والارشاد القومي - مصر -
١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

- المعاهد المصرية في بيت المقدس - أحمد سامح الخالدي - المطبعة
العصرية - القدس .

- معجم الأدباء - ياقوت الحموي - دار المشرق - بيروت .
- معجم البلدان - ياقوت الحموي - دار صادر دار بيروت - بيروت -
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- المغرب في حلئ المغرب - تحقيق الدكتور شوقي ضيف - الطبعة الثانية -
دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - أحمد بن
مصطفى الشهرير بطاش كبرى زادة - مراجعة وتحقيق الدكتور كامل
بكري ، وعبد الوهاب أبو النور - دار الكتب الحديثة - مصر - ١٩٦٨م .
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - جمال الدين محمد بن سالم بن
واصل الحموي - حققه وعلق حواشيه وقدم له الدكتور جمال الدين
الشيال - المطبعة الأميرية - القاهرة ج ٢ - مطابع دار القلم - القاهرة -
ج ٣ - تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - وزارة الثقافة والارشاد
القومي - دار القلم - ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م ج ٤ : حققه ووضع حواشيه
الدكتور حسنين محمد ربيع - راجعه وقدم له الدكتور سعيد عبد الفتاح
عاشور - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٧٢م .
- المفصل في تاريخ القدس - عارف العارف - مطبعة المعارف بالقدس -
الطبعة الأولى - ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .
- مقدمة ابن خلدون - المكتبة التجارية الكبرى .
- مكانة القدس في الاسلام - عبد الحميد السائح - سنة ١٩٧٣م .
- ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - جمعة سنة
١٣٤٨هـ محمد بن يحيى بن زيادة الحسيني اليمني الصنعاني - (مطبوع
مع البدر الطالع) .
- الممالك والفرنج في القرن التاسع الهجري - الدكتور أحمد دارج -
دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٦٩م .

- المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي - الدكتور نظير حسان سعداوي - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٢م .
- المنقذ من الضلال - أبو حامد الغزالي - مع أبحاث مستفيضة عن التصوف بقلم الدكتور عبد الحليم محمود - الطبعة الثالثة - الأنجلو المصرية - ١٩٦٢م .
- الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب - اشترك في تأليفه الدكتور محمد كامل حسين وآخرون - بإشراف الدكتور محمد كامل حسين .
- النجوز الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة - ابن ثغرى بردي .
- نظم العقيان في أعيان الأعيان - جلال الدين السيوطي - حرره الدكتور فيليب حتى - المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك - ١٩٢٧م .
- نكت الهميان في نكت العميان - صلاح الدين الصفدي - وقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي - المطبعة الجمالية بمصر - ١٣٢٩هـ / ١٩١١م .
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية - بهاء الدين بن شداد - تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - الطبعة الأولى - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٤م .
- هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين - اسماعيل البغدادي - أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المتنبي - بغداد .
- الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي -
- ج ١ - ٤ : باعتناء هلموث ريتز - ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .
- ج ٥ : باعتناء ريدرينغ - ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .
- منشورات دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان - تحقيق الدكتور احسان عباس - دار صادر - بيروت .

فهرست المحتويات

٣	المقدمة :
٧	التمهيد :
٧	مفهوم المسجد الأقصى
١٤	الحركة الفكرية في بيت المقدس قبيل الاحتلال الصليبي
٣٤	الحركة الفكرية في بيت المقدس في ظل الاحتلال الصليبي
	الفصل الأول :
٤٩	عوامل الحركة الفكرية في بيت المقدس
	الفصل الثاني :
٩١	التعليم : نظامه وطرقه
	الفصل الثالث :
١١٦	العلوم الشرعية في ظل المسجد الأقصى
	الفصل الرابع :
١٤٣	علوم اللغة العربية في ظل المسجد الأقصى
	الفصل الخامس :
١٧٠	علم التاريخ في ظل المسجد الأقصى
	الفصل السادس :
١٨٢	العلوم العقلية في ظل المسجد الأقصى
	الفصل السابع :
٢١٣	دور الخطباء والأئمة والوعاظ وشيوخ الحرم القدسي في الحركة الفكرية
	الفصل الثامن :
٢٦٠	داز كتب المسجد الأقصى
٢٨١	الخاتمة :
٢٩٠	المصادر والمراجع :

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنها الفردوس
www.moswarat.com